صاحب القلم

أفلح اليعربي

تدوينات



تدوينـــات

تأليف

أفلح اليعربي



بسم الله الرحمن الرحيم

لا غالب إلا الله

(كنتُ أحسُّ أحساساً أسطورياً بأنني قَادرٌ بالأدبِ وحــــده على أن أقوض ألف عام من الفساد و الظلم و الطغيان) .

المناضل اليمني الشهير محمد محمود الزبيري .

المقدمة

سبحان الله و الحمدلله و الصلاة و السلام على رسول الله .

لقد قمت بانتقاء عدد من مقالات قديمة لي و وضعها في هذا الكتيب تسهيلا للقارئ ، لعله يجد فيها نفعا أو معرفة أو رشدا .

كل مقال كان ابن وقته فكرا ، و مضمونا ، و توجها ، و ثقافة ، لذا لم أغير في هذه المقالات شيء ، كل ما أرجوه هو أن لا يكون القاريء و هو يقرأ مقالاتي متحفزا لصيد العثرات أو لتصنيف كتابتي أو تصنيفي أو أنه يقرأ ليجادل ، فما هذا الذي رجوته ، بل رجوت النفع و الصلاح ، و ما أنا إلا مواطن عادي تمنى الخير لوطنه ، أن كرهت منك موقفا فهذا لا يعني أني أكرهك أنت ، و انتقادي لسلوكك أو موقف لك لا يعني أنك عدوي أبدا ، بل الهدف الإصلاح ، و أن واجهتك بسوء موقف لك فأني لن أفندك بصفتك الشخصية بل سأفند موقفك بما أملك من حجة ، فأن كان لك ما تحاججني به فأني أقبل ، فأن دمغتْ حجتك حجتي أقررت لك و أذعنت ، فليس هدفي التناحر و الخلاف ، ولا التحذلق و التخاصم ، بل البحث عن السبيل الصائب نحو وطن عظيم .

أرجو أن يكون فيما كتبت نفعا و خيرا .

و الله من وراء القصد .

اليعربي

سلطنة عُمان

6 ربيع الأول 1436 هـ

28 ديسمبر 2014 م

البحث عن مرسى عربي[1]

خَلوا التَّعصب عنكم واستووا عُصباً
على الوئام لدفع الظلم تعتصبُ
هذا الذي قد رمى بالضعف قوتكم
و غادر الشّمل منكم و هو مُنشعبُ

شعر عربي



استوقفني موقفان كادا يتزامنا في وقت حدوثهما ، فنظرت لهما فوجدتهما ينبعان من منبع واحد ، ثم نظرت فوجدتهما يصبان في ذات المصب ، و أن افترقا في المنتصف فنحن أمة يحب منا الأخ أخاه ، لكنه لا يظهر له في حياته غير الجفاء فإن مات بكاه ، فعجبا لنا .

أني لأعرفكَ بعد اليوم تندبني
وفي حياتي ما زودتني زادي

حين يشتد الحصار و المعاناة في فلسطين ، وحين قصفتْ لبنان ، وحين دُمرتْ العراق وجعلتْ ركاما بعد حضارة رائعة ، رأينا العيون تدمع أسفا على ما يجرى لإخواننا هناك ، حتى عيون الرجال سالت منها الدموع ، سمعنا الدعوات والصلوات تعلوا ليغيث الله أخواننا هناك ، وحين نادى المنادي لجمع التبرعات لإغاثة الأخوان

[1] - تم النشر في يوم **الجمعة، 20 مارس، 2009** .

هناك ، وجدنا الفقير يتبرع بقوته و يجود بموجودهِ ، لأنه يرى أن أخوانه أحق منه بها في نكبتهم . و أنما تُعْرف معادن الرجال في الشدائد .

كم قد سمعنا منادٍ يستغيث في ذلك القِطْر المنكوب ويقول : (أين العرب ؟) ، ثم ما أن تخف نكبتهم ، ويطرأ طارئ ما ، و يخرج الناس للشوارع معارضين لما يحل في قطرهم الشقيق ، نجد في المقابل أصحاب ذلك القطر المنكوب يقولون معترضين على تدخل أشقائهم العرب : (ما شأنكم أنتم في بلادنا ؟) .

عجب عُجاب ، فأي صوت نسمع ؟ هل صوت المنادي : (أين أنتم يا عرب) ، أم صوت القائل : (ما شأنكم أنتم يا عرب في بلادنا)؟!!!!!

من جهة أخرى هل يصح أن نترك المجال لرياضة ما مثل (كرة القدم) أن تبث الكراهية وتشيع السب والشتم واللعن ودعاء الشر بيننا ؟؟! ، ونحن يا عباد الله أخوان.

فالعاقل الفطن يعلم بأن تلك ما هي إلا تسلية ، ما أن تنتهي ينتهي معها كل شيء ، و الجاهل قبل العالم يعرف بأن الأمة العربية في طريق و ملوكها و حكامها في طريق آخر ، ما يحدث في الساحة يحتاج لموقف سياسي حقيقي من قبل أولى الأمر ، وليس للشعوب حول ولا قوة ، لكنهم يسعون بما أوتوا من حول وقوة لنصرة أخوانهم كلما أمكنهم ذلك .

لذا على الغاضب إلا يخلط الحابل بالنابل ، يقول تعالى :{ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ }[1]

يقول صلَّ الله عليه وسلم : (عليكم بالجماعة ، فإن الذئب إنما يُصيب من الغنم الشاردة) .

---

[1] - الأنفال46

حذاء يساوي مليار دولار[1]

"سلمت يمينك منتظر إن العراق سينتصر
ضربته قذيفتين بهما العروبة تفتخر"
بيت قاله أحد المعلقين على حدث قذف الحذاء
في وجه بوش .



"خذها قبلة وداع أيها الكلب" ، "إنها من الأرامل واليتامى العراقيين، إنها من كل من ماتوا في العراق" كلمات قالها الصحفي العراقي الغاضب (منتظر الزيدي) وهو يقذف بوش بزوج حذائه .

لقطة صارت مشهورة جدا ، أسعدت الآلاف القلوب ، لقطة طغت على كل الأخبار في ذلك اليوم ، حتى على خبر تلك الزيارة المفاجئة لبوش الابن ، وعلى مؤتمره الصحفي هو و نوري المالكي ، ذلك المؤتمر الذي جعل بوش ـ وربما لأول مرة في حياته ـ يرى حذاءاً طائراً .

نهاية[2] تبدو رائعة لفلم الألم و المذلة الطويل جدا الذي تابعه العرب والمسلمون بمرارة كبيرة .

---

[1] ـ تم النشر في يوم الاثنين، 23 مارس، 2009 .
[2] ـ لم تنتهي مأساة العراق لكن الكلام مجرد مجاز .

ربما قد لا يتفق البعض مع ما فعلهُ (الزيدي) ، لكن العاقل العارف يدرك تماما ، بأن المقهور سيدافع عن نفسه بأي سلاح يمكنه أن يكون في متناوله .

وعلى أية حال فنحن - العرب والمسلمون - في نظر الكثيرين وحتى المثقفون - التائهون في هويتهم - لسنا سوء همج ، بدائيين ، وكل ما نفعله همجي ، حتى مقاومتنا للغزاة ، تعدْ همجية ، و أن طلبنا التحاور فنحن همج ، حتى أن بكينا من مرارة ما نلاقي ، فنحن همج ، لن يشفع لنا أي شيء ، مهما فعلنا ، لأنه وببساطة الآخر لا يريد أن يرى أو يسمع الحقيقة .

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمدٍ
وينكر الفم طعم الماء من سقمِ

أما الغربيون - من وجهةِ نظر ذات الفئة - فهم التحضر ، والتمدن و قمت اللباقة والذوق ، حتى و هم يقتلون و يغتصبون ، و يذلون الأخر و يحتقرونه ، فهم ديمقراطيون ، يقتلون بديمقراطية ، ويسرقون بديمقراطية .

وهنا أودُّ أن أقول - حتى لا يقال بأني أخلط عبسي بدبسي - لأولئك الخارجين عن السرب ، أنظروا للواقع بحقيقته وبعين المبصرين ، ستعلمون بأن هذا الغرب المتحضر له نصيب الأسد في مأساتنا يعاونهم أناس - للأسف - يعدون منّا .

لعمرك ما الأبصار تنفع أهلها
إذا لم يكن للمبصرين بصائرُ

أن كنت تحلم بوطن عربي متحضر مثقف متطور ، فأنا أحلم بذات حلمك ، أن كنت تتمنى أن يشار بالبنان لهذه الأمة في كل الشؤون ، فأنا أيضا أتمنى مثل ذلك ، لكني أختلف عنك ، بأني لا أميل كل الميل . فعلينا أن نعري الأمور لنرى الحقيقة كما هي ، بالتالي نسير معا مسير الواثق نحو طموحنا الأسمى .

وفي الأخير أقول ..

قد لا أؤيد (منتظر الزيدي) بتصرفه ، لكنني لا ألومه ، ولا أخفي سعادتي بما فعله لبوش ، وقلت : ليتها أصابته ، لأنه كان يستحق - منذ زمن بعيد - أن يصفع على وجهه عله يصحو ، وينتبه بأنه من تراب كما باقي العالمين من تراب ، ولو أن هذا لن يكون أبدا لا عند بوش ولا عند غيره من الغربيين المعتلين سدة حكم بلادهم .

خــضــراء الــدمــن[1]

فما أنتَ أولُ سارٍ غرهُ قمر
و رائد أعجبته خضرة الدمن
شعر عربي



في خضراء الدمن على العصفور أن يكون دودة حتى يتمكن من نيل غذائه ، و إلا سيموت جوعا ، و بقاء الشاة في حقل ما لعهد طويل يجعلها تُفني كل ما فيه من زرع ما دام الحبل طويل والراعي نائم ، فهي ترى أن الحقل ملكها ، ولن تفكر أن تفعل شيء غير أفناء ما فيه لتشبع معدتها .

عندما يكون (الديك) فرخ تجده يتودد لجميع الدجاجات ، وتراه هادئاً مستكينا ساكنا ودودا ، وحين يكبر ، ويقضي على كل ديك منافس ، و تكبر أجنحته فإنه يصبح أكثر شغبا و إزعاجا من قطة البيت المدلله ، ويعلوا صوته ، حتى يصير صوته الذي يوقظ الناس للصلاح و الفلاح ، مزعجا ، يتحول لنعيب بغيض ، لكنه يظن نفسه في زهوه وغروره ـ الذي ينمو معه كلما تقدمت السنين ـ أنه ذاك الصوت المحبوب ، عندها لا يمكن أن تخرسهُ إلا أن قصصتَ جناحهُ .

[1] ـ السبت، 4 أبريل، 2009 م .

وفـي المزرعـة البائسة التـي يكـون صـاحبها مُـزارع أبلـه تجـده دومـا يحنـوا علـى شجرته القديمة المعوجة ، فهو لا يجتث الشجرة العفنة ليضع مكانها شجرة صالحة تعود بالخير على مزرعته ، ولا يلومها بل يسقيها بالماء أكثر وأكثر ، ويغذيها أكثر وأكثـر ، و يكتفـي بلـوم الأغصان الضعيفة وتكسيرها ، لكـن هـل تكسير الأغصان الضعيفة يُصلح اعوجاج الشجرة المهترئة من الداخل ؟!!!.

لا يمكن لنبتة الماء التي تنبت وأغلب جسمها مغمور بالماء أن تشعر بعطش شجرة تنمو في الصحراء القاحلة ، لذا لن تهتم النبتة المائية أن تبذل جهدا ولو بالتفكير في كيفية تخزين أو توفير الماء ، فهي مغمورة بالماء .

دودة القز تُفني حياتها في نسج الحرير بكد وتعب لكنها تموت بسببه لأن هناك من يقتلها طمعا في ذلك الحرير ، دون أن يفكر للحظة ما عانته تلك الدودة البائسة ، المهم هو كيف يُرضي جشعه و يرضي غروره .

أيها المواطن العربي ، يا دودة القز الحزينة ..

لن أقول لك ثور وقص أجنحة الديك المغرور ، ولا أقول أطرد المزارع الأبله عن مزرعتك بثورة ، ولا أقول أيقض الراعي بثورة ليربط شاته ، أو ليمنعها عن الحقل الخصيب ، فأنا ما عدت أؤمن بالثورات ، فكم من كرسي في وطني العربي أتى إليه راع قال لنا بأنه (ثائر) ، ثم صار (جائر) ، لا أرى أي فرق بين (ثائر و جائر) ، فلا انقلاب (الثاء) (جيم) يعنيني ، و لا انقلاب (الجيم) (ثاء) يشفيني ، فالمعنى واحد ، والبؤس واحد ، و ربك الرؤوف الرحيم .

يا دودة القز المسكينة ..

أشجار التوت كثيرة ، حين تزرع وحين تتم رعايتها يقال أنها من أجل مصلحة دودة القز ، وحين تسقط ورقة التوت ، تُسحل دودة القز و تُسلق ، ليصير القز للقزّاز ، وتبقى الدودة لا بالقز و لا بالتوت ، ولا حتى بحياتها الضعيفة الكادحة .

و تأخذ باسمه الدنيا جميعاً
و ما من ذاك شيء في يديهِ

في سوق الخضار لا يشترى طباخ مطعم الفندق الفارة الخضار التي تنتجهُ مزرعة الفلاح البأس ، ليس لأنه بائس ، ولكن لأن خضارهُ نتجتْ من مزرعة بسيطة لا رونق في نباتها ، فسمادُها بسيط بدائي ، وتصنيع محلي ، أنه مستعد أن يدفع ، لكنه يريد الأجود ، والأجود بيد الأوجد ، فالأوجد يجد في ماله ما يمكنه من شراء أفضل

الأسمدة المصنعة عالميا لمزرعته الراقية الفارهة حتى ديدان الأرض فيها متخمة ، هنا لا مكان لك يا من حتى ديدان أرضك هزيلة .

هنا طباخ المطعم الفاره أعلن في دستوره أنه سيشتري الخضار من أي بائع ، لكنه سيحرس على أن يكون الشراء .. (بما يتناسب و الأطر المناسبة) و ما قد تراه (الجهات المسئولة مناسبا) بهذه العبارات أستثنى الطباخ الكبير من قائمة مشترياته ما تنتجهُ مزرعتك البائسة من ثمار وخضار ، لكنك لن تستطيع أن تحاسبه لأن ما تنتجه (لا يتناسب و الأطر المناسبة) ، وهو لم يقول أنه لن يشتري منك ، هو سيشتري لكن عندما تصبح ديدان مزرعتك سمينة .

في خضراء الدمن يحق للجميع أن يسير ، لكن أصحاب القامات القصيرة ، والذين لا يملكون سيقانا طويلة أو أحذية طويلة تغلف أقدامهم ، ستتلوث قامتهم لذا لن يسمح بمرور الرائحة العفنة في هذه الأرض ، هنا يوضع القانون (لأجْل المصلحة العامة)، و أن أردت أن تعرف قيمة القانون ، فخذ الجملة وأطرح منها الكلمة الوسطى وأفتح الجيم في الكلمة الأولى ، وستوقن فائدة القانون ، لتكتفي دودة القز بالموت من أجل أطماع الآخرين الفارهين بكدحها ، فهي لا تهتم بالترانيم والأغاني التي يغنيها العاملين على فنائها ، فالغناء و كلمات الغناء لا تشفى ألمها ، ولا تخفف محنتها .

يا دودة (الكَدِّ) المسكينة ...

لماذا النظر للبعيد ؟ ولماذا الحلم بالسهول المنبسطة الجميلة ؟ المغشاة بشقائق النعمان و التوليب الربيعي الجميل ، لا تضحك .. لا تبكي .. لا تحزن .. لا تشكي ، أفتح عينيك وأنفك لخضراء الدمن ، وأحمد ربك أن هنالك خضرة تنظرها ، وتريح بها عينيك ، أتظن أنك تستحق أكثر من ذلك ؟! أليست أفضل من فضاء قفر قاحل ؟ على الأقل هي (خضراء) ولننسى أو نغض الطرف أو لنتناسى (الدمن) ، لا تسأل لماذا ؟ وأين ؟ ولمن ؟ المهم هنا خضراء لا غبراء قفراء ، يا من يشتكي من الفقر والمحن عليك بخضراء الدمن .

و أخيرا ... أيها الشعب :

سنُغلق القضية ، أليست يا شعبي سياستنا مرضية ؟!.

لا تقل : لا .. فقط قف وصفق ، وأنت مبتسم ، فسياستنا ذكية لا شيء فيها يُغْضِبْ ، ولا أحد بينا يكذب ، كلنا صادقون مخلصون ، وللفلّاح ساعون .

في الأخير ...

يا من لم يفهم ما هي خضراء الدمن ، هو النبات ينبت على البعر في الموضع الخبيث فيكون ظاهره حسناً و باطنه قبيحاً فاسداً . فالدمن : جمع دمنة و هي البعر ، باختصار هو ما ينبت في المستنقعات ، ومع أنها خضراء إلا أن أرضها نجسه ، ورائحتها نجسة ، لكن المهم من كل هذا أنها خضراء .

الخصام والموت[1]

" ولو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت ،
كانوا إذا مدّوها أرخيتها ، وإذا أرخوها مددتها ".

الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان .



نعيش في هذه الحياة في مجتمع ، و مهما كانت نوع شخصيتنا ، أكانت اجتماعية أم لا ، فأنه لابد لنا من أن تربطنا مشاعر ما مع البشر ، ولابد أن يكون في حياتنا أشخاص لهم منزلة طيبة في قلوبنا مثل الوالدين أو الأخوة أو الأصدقاء أو الأبناء أو الزوج أو الزوجة .. إلخ .

لكن الحياة لا تمضي بصفاء دوما ، فلابد أن يعكر صفوها كدر ما ، فهذا من المسلمات المفروغ منها ، لكن هل نقف عند هذه المسلمات ؟؟
تمضي الأيام ونحن لا نأمن غوائلها ، وفجأة تكر علينا بمصائبها ، فجأة تجد نفسك قد سلبك الموت شخص عزيز غالٍ ، والموت زلزال يهز كيان البشر ، فيعمل الحزن الذي يملأ قلبنا حينئذ على إعادة شريط الذكريات مع ذلك الإنسان الذي فقدناه ، كل

[1] - الأربعاء، 11 نوفمبر، 2009 م .

الذكريات : الخير والشر ، السعادة والحزن ، الخصام والصلح ، ثم نتوقف كثيرا ـ بغير إرادة منا ـ مع تلك اللحظات التي خاصمنا فيها ذلك الشخص وخاصة أن كان غال على قلبنا ، و حتى الذي نحمل له مشاعر عادية ، و أحيانا كثيرة حتى من كنا نحمل له العداء . نتوقف و نقول بندم حارق :

ليتنا لم نضيع العمر في خصام .
ليتنا لم نتخاصم ولا لحظة واحدة .
من كان يعلم أنه سيرحل عنا بهذه السرعة .
لو كنت أعلم أن حياته قصيرة هكذا لما خاصمته ولا غضبت منه .
ليته يعود للحياة لن أخاصمه مهما فعل .
اللهم شغبه ولا فقده ....

لكن وسط عجاج الحزن والألم والندم تبقى حقيقة واحدة هي الحاضرة ، وهي أنه قد رحل عن عالمنا ، وأنه لات حين مندم .

لنأخذ وقفة مع أنفسنا ، لحظات صادقة نتساءل فيها :

كم من عمرنا يضيع في الخصام مع من نحب ؟
ماذا نستفيد من تلك العزة التي تأخذنا بالإثم في الخصام ؟؟
ماذا حققنا من كل تلك الأيام التي ضاعت في تلك السخافات ؟
ألم يكن في وسعنا حقا تجاوز تلك الخصومات ؟
ألم يكن من الممكن أن نغضب ولكن دون أن نتخاصم وتحدث قطيعة بيننا ؟
ألم يكن يوم واحد أو ساعات كافيه حتى يحاول أحدنا أن يُسكت غضبه ، لتعود بعد ذلك المياه إلى مجاريها ؟
ماذا كان سيحدث لو أننا حاولنا بشجاعة أن نتفادى الغضب ، وعدنا لبعضنا لنقول حبا في الله : إنني أسف ؟
ألم يكن كثير من ذلك العتاب وتلك الكلمات التي تثير حنق الأخر ألم نكن قادرين حقا على تجاوزها وتفاديها حتى لا نزيد اشتعال الموقف و احتقانه ؟
إذا أغضبك من إنسان صفة أفلا يمكنك أن تتجاوزها لتنظر لصفة أخرى فيه تعجبك ؟
ألم تفكر في لحظة أنه : ربما يكون هذا الإنسان أيضا يكره مني صفات قد لا أنتبه لها أنا ؟
ألم تفكر أنه : ربما أن هذا الإنسان يتجاوز عن بعض ذنوبي في حقه ، أفلا أتجاوز عن ذنوبه ؟
ألم تفكر في يوم أن تصفح وتعفو حباً في الله ، فتكظم غيظك ، ليبدلك الله خيرا من هذا ؟
هل تعرف حقا ما هو الصفح والعفو ؟

هل تعتقد أنك قد صفحت عن ذنب إنسان أخطأ في حقك ، وأنت مستمر في كل فرصة تذكر ما فعله بك ؟
أن فعلت هذا فدعني أقولها لك بصراحة : أنت لم تسامحه .

الحقيقة كل هذا ممكن أن توفرت رغبة الإنسان ، كل هذا ممكن لأن الله كَرَم بني البشر بالعقل فميزه عن الحيوان به ، لذا هو في الأصل سيد نفسه ، وسيد مشاعره .

أن من يعتقد أن الصفح والعفو سذاجة ، فهو شخص غبي ، ولا يثق في الثواب من الله أبدا ، فمن فعل شيء لله عوضه الله .

و فاعل الخير لا يعدم جوازيه
لا يذهب العُرف بين الله والناس

وليس الشجاعة أن تغضب ، فأكثر الناس يغضبون و ينجرون خلف غضبهم ، لكن الشجاعة الحقيقية تكمن في مقدرتنا على امتصاص غضبنا ، وتمالك أعصابنا ، ومن الشجاعة أيضا أن تعترف بخطئك ، وأن تملك شجاعة على الاعتذار . قال صلَّ الله عليه وسلم : (ليس الشديد بالصرع إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب).

إذا كرهت من حِبّك خُلق ، رضيت منه غيره ، وأجعل ولو خيط صغير يربطك بأحبتك ، ليشفع لهم عندك ، مثلا ليشفع حبك لأولادك لتصفح عن زوجتك ، وحاول أن تحيى معها محبا ، وليشفع حبكِ لأولادكِ لتصفحي عن زوجكِ ، لتكوني له محبةً ، وليشفع حبك لوالديك عندك لتصفح عن شقيقك ، وليشفع حبك لله عندك لتصفح عن صديقك وجارك وزميلك ، وهكذا .

و إذا الحبيب أتى بذنب واحد
جاءت محاسنه بألف شفيع

أنت الوحيد القادر على أن تبقى مُحِباً ، وأن تصفح عن الأخر ، ولو أن كل منّا فكر هكذا ، لوجدنا أن الصفح صفة غالبة في حياتنا ، ونحن أحق بها كمسلمين لأننا أمة الصفح والتسامح ، يقول المولى جل سبحانه في علاه :{ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ }[1] . أننا نعيب على ملوكنا ضعف سياساتهم وتدبيرهم ، لكن هل وقفت للحظة للتدبر سياستك في بيتك ، وفي مجتمعك ، ومع من حولك ؟؟

[1] - آل عمران 134

الحياة كلها تتطلب العمل بالحكمة والسياسة "والحكمة ضالة المؤمن" ، لا تخدع نفسك بأنك كامل ، ولا تخدع نفسك بأنك حقير أو ناقص ، بل كن حكيما ، وعين الحكمة الوسطية ، **أنقد نفسك نقدا بناءًا لترتقي بها ، وسُس حياتك ، لأنك فيها الراعي والرعية .**

وأخيرا ..

نصيحة محب مجرب ، لا تسمح أن يأتي عليك يوم تندم فيه على خصام حبيب ، فتبحث عنه فلا تجده ، و قد لات حين مندم .

لا تطلب أن يكون الآخرين ملائكة بينما أنت لست كذلك .

قف ساعة تأمل صادقة لما حولك وستعرف الطريق ، فالتأمل عبادة الأنبياء .

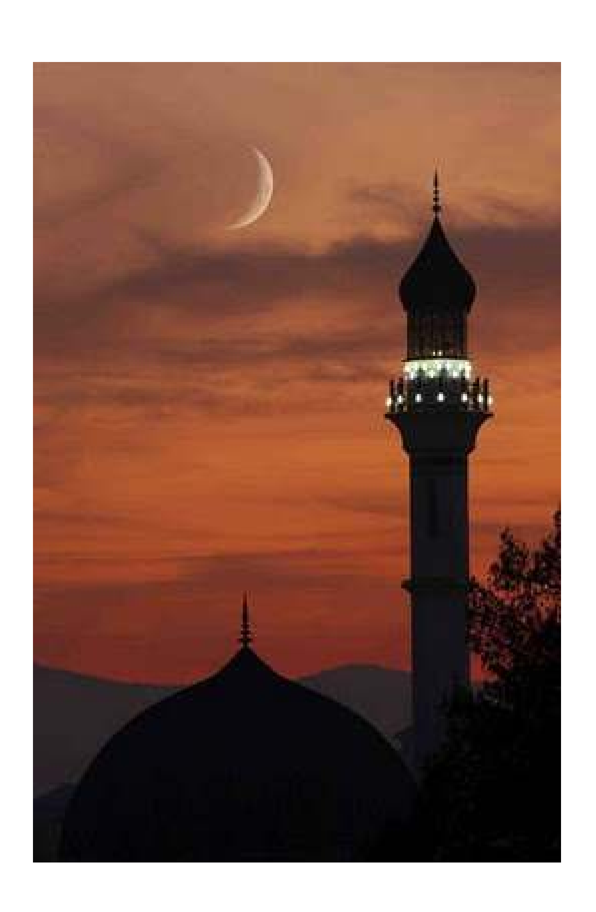
قال نبيكم صلَّ الله عليه وسلم : (ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصدقة والصلاة " أي درجة الصيام النافلة وصدقة نافلة والصلاة النافلة " ، فقال أبو الدرداء : قلنا : بلى يا رسول الله . قال : إصلاح ذات البين) .

فتذكر أن "خيرهما الذي يبدأ بالسلام" .

وتذكر أن من صفات المنافق " إذا خاصم فجر " أي تجاوز الحد في الخصام والقطيعة والكلام البذيء وغيره من الأمور التي تزيد الموقف سوء .

لا تقسموا الإسلام لتُرضوا أهوائكم[1] ...

" لا يمكن أبدا أن تكونَ علمانياً و مسلماً في آنٍ واحد "
رئيس الوزراء التركي / رجب طيب أردوغان



كثيرا ما صرنا نسمع (الإسلام السياسي) ، (مسلم علماني) ، (مسلم ليبرالي) ، (مسلم سلفي) وغيرها من الألفاظ ، الإسلام هو الإسلام بذات التعاليم منذ أن أنزله الله على سيدنا محمد ـ صلَّ الله عليه السلام ـ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

لا يوجد إسلام متشدد وأخر غير متشدد ، ولا يوجد إسلام سياسي وأخر غير سياسي ، الإسلام هو دين أتى بمبادئ وقيم معينة لم تتغير ، لذا لا يمكن تقسيمه ، وهو نهج

[1] - الثلاثاء، 30 مارس، 2010

قويم أنزله الله بما يناسب فطرة الإنسان السوية شأنه شأن باقي الديانات السماوية التي سبقته .

الإسلام هو دستور رباني شامل ، وأتحدى ـ وأنا أقولها بكل ثقة ـ أن يوجد أي دستور وضعي في الكون كله يستطيع أن يكون بمنهجية وشمولية ودقة وتسامح و اعتدال ووسطية الإسلام . يقول ميشال شودكيفيكس : (ليس هناك من حلّ وسط في مجال الأديان ، إما أن نؤمن أو لا نؤمن . و الإسلام ليس بإمكانه فقط أن يكون منفتحا ، بل إن تاريخه كله يثبت أنه كان كذلك ، وأن دعوته في الأساس هي دعوة إلى الانفتاح).

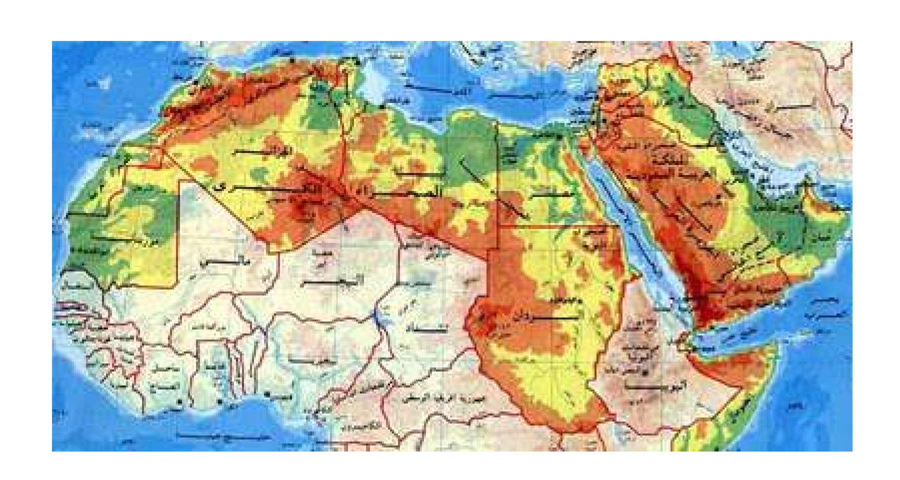
جعل الله الإسلام منظما لكافة التفاصيل البشرية (سياسية ، و اقتصادية ، و إنسانية حياتية وغيرها) ، لا يمكنك أن تصنف الإسلام بين إسلام عبادة وإسلام سياسي وإسلام متشدد وإسلام متسامح ، إنما تلك تصنيفات يراد بها تظليل الناس ، لكن لا يبرأ أحد على جهله بالإسلام ، فمن أراد الحق فالحق أبلج والباطل لجلج ، ولا يمكن أن تغطي نور الشمس بغربال .

البحث عن المعرفة قبل الحكم على الشيء هي الطريق الأقوم والأقرب للمنطق والفطرة البشرية التي كرم الله الإنسان بعقله لأجل الحفاظ على نقاء الفطرة .

لماذا تسخرون من حلم الوحدة العربية ؟[1]

"طالما سمعت تكرار شعار "أوروبا" من رجال السياسة ، بينما كانوا بنفس الوقت يتوجهون إلى قوى أخرى بطلبات لا يتجرؤون على صياغتها بأسمائهم الصريحة "

أوتو بسمارك ، المستشار الألماني الأسبق.



في كثير من المحافل تدور النقاشات بين المواطنين العرب سواء بين أبناء الجنسية الواحدة أو الأقطار العربية المختلفة ، هناك الكثيرون - وأنا أحد هؤلاء - يتمنون أن يرون أمتنا موحدة تملئها العدالة وتنعم بالتنمية الحقيقة الفاعلة وأن يكون المواطن فيها مكرما ، وأن يتنقل بين أقطاره بحرية وسلاسة كما يحدث في أوروبا اليوم إذ لا حواجز بين دولها .

لستُ قُطْرِيًّا و لا حزبيا ، و أرفض رفضا تاما أن أرى وطني من ثقب صغير ، دوما حين أسأل أقول : أنا مواطن عربي وبس . فأنا أمقت التحزب لأنَّ أفُقَهُ ضيق جدا . وطني ليس القطر الذي نشأتُ فيه ، فهو بالنسبة لي فقط أشبه بمدينتي الصغيرة التي نشأت بها و ترعرعت ، أنما وطني هو الوطن العربي الكبير .

[1] - الخميس، 20 مايو، 2010 م .

أحلامي هذه التي يشاطرني بها أغلب أبناء هذه الأمة هي مدعاة لسخرية بعض المتهكمين الذي لا يرون أبعد من أنوفهم . فأنت لا يحق لك أن تسخر من حلم أي إنسان مهما كان حلمه .

فالعلم ، و التاريخ ، و العقل المنير يقولون جميعهم أن لا شيء مستحيل ، كم من حلم كان حلم وظنه الناس خرافة لا يمكن تحقيقها ، لكنها اليوم حقيقة ، ففي العلم نجد الطيران والهاتف وباقي التكنولوجيا . يقول اديسون : (الآمال العظيمة تصنع الأشخاص العظماء)

كيف كانت آمال التحليق في السماء والتحدث عن بُعْد عبر أسلاك قبل أن تصبح حقيقة ؟

كانت مجرد حلم ظنه الجميع و هماً و جنوناً لا يمكن تحقيقه و ها هو اليوم أصبح أمرا معتادا وعقلانيا ، وفي السياسة ـ مثلا ـ كانت أوروبا دُوقيات ، و دويلات ، و إمارات تسعى كل منها لالتهام الأخرى . حَلُم كثير من ساستها بالوحدة ، وكانوا مَثار تهكم البعض وسخريتهم ، وها هي اليوم حقيقة رغم أنها كانت أشبه بتحقيق معجزة . يقول المثل الغربي : "لا تفزع من أن أفكارك غير المعقولة ، فكل الأفكار العظيمة بدأت كذلك"

لذا أقول ..

يمكن لأمتنا أن تعيش في الوحدة التي تريدها ليس شرط أن تكون وحدة سلطة و وحدة حدود ، أنما وحدة تكاملية يسودها التعاضد ، و التكافل ، و التعاون ، و المحبة المتبادلة ، كما هو الحال في الاتحاد الأوروبي .

نحن أجدر منهم بها ، لأننا نمتلك من المقومات ما يجعل تلك الوحدة التكاملية أكثر نجاحا عندنا منهم ، فنحن نشترك في اللغة (حتى الأعراق غير العربية في الوطن العربي تجيد العربية) ، ونحن نشترك في الدين ، ونشترك في القيم والعادات إلى حد بعيد جدا ، ونشترك في الدم (وحتى غير العرب فينا يعيشون أخوة لنا وأنساب وأصهار) ، عندنا موارد اقتصادية يمكننا أن نشكل بها تكاملا اقتصاديا غنيا و رائعا يغنينا إلى درجة كبيرة عن الحاجة للأخر .

هذا النوع من الوحدة التكاملي ـ أن صح الاصطلاح عليه هكذا ـ أرى أنسب ما يكون وخاصة في الوضع الراهن ، وهو يناسب الوضع الحالي للأقطار العربية ، و به لن يهمش احد ولن يكون بعيدا ونائيا .

فقط على حكامنا أن يكونوا شجعان ، وأن لا يضعوا العقبات الوهمية أمامنا ليسدوا هذا الباب كالمعتاد طبعا . فأوهامنا دائما تحول بيننا وبين قدراتنا على تحقيق أهدافنا ، وأن يتركوا تلك ألاعيب الأطفال التي تنشأ عن الغيرة من بعضهم البعض أو عن أنانية في حب الظهور بمظهر الزعيم الخالد ، أو القائد الفريد الملهم لهذه الأمة ، أو الركض وراء مصالح خاصة ضاربا بعرض الحائط مصالح الأمة وحتى مصالح شعب قُطره ودولته ، فخزعبلات كهذه كانت دوما سبب انحطاط أمتنا وتخلفنا وتعين عدونا علينا ، وليس الدين واللغة كما زعم الجاهلين ، إضافة إلى قصر نظرهم و عدم حب الخير لأمتهم ، وأن أدَّعو غير ذلك .

إذن نحن لا نتحدث عن شيء خيالي أو محال ، هناك أمكانية فقط أن توفرت الإرادة الصادقة والقرار السياسي المخلص كما حدث في أوروبا فهي على اختلاف لغاتها واختلاف أعراقها وعدم تكاملها إلى حد بعيد ، وحتى الدين رغم أن الشائع هو المسيحية إلا أنها بمذهبيتها تكاد يشكل كل مذهب دين مستقل بكتبه وقيمه الدينية .

في أوروبا كان الأوروبيين في عهد بسمارك يحلمون بأوروبا موحدة ، كانت العقبات كثيرة ، لذا كان تحقيق الأمر أشبه بمعجزة ، أما نحن فلنا من الأسباب الكثير يسهله ، فإذا كانت قد نجحت مع أوروبا بهذا القدر العظيم مع كل تلك الصعاب فحريٌ بها أن تنجح عندنا نحن العرب ، ولن تعتبر معجزة بل وضع صحيح سليم .

أذن فالمُرددين لسخرية بعض أعداء الأمة في أن حلم الوحدة هو تخلف أو شيء شاذ ، أو التساؤلات التي يطرحها بعض السياسيين الغربيين بهدف مغرض مثل : لماذا تبكون على قضية فلسطين مثلا ، فتلك دولة أخرى لا شأن لكم بها .

فأنا أطرح سؤال واحد فقط على هؤلاء الساسة وعلى المرددين خلفهم :

لماذا يتباكى الأوروبيون والأمريكيون على الكيان الصهيوني ؟

رغم أن لا صلة بينهم أبدا لا دينيا ولا عرقيا ولا لغويا ولا ثقافيا ولا بحدود ولا بأرض ، وهم يعلمون أن اليهود لا يحبون أحد أبدا ، وتاريخ أوروبا كله يشهد كره أوروبا لهؤلاء اليهود بسبب أفعال الأخيرة المشينة في حق أبناء أوروبا و أيضا لأسباب دينية مسيحية .

أما نحن فأهل فلسطين هم من لغتنا وديننا وتاريخنا العميق المشترك ، و من دمنا فحق لنا الألم لألمهم ، والفرح لفرحهم وغير ذلك ، وقس على هذا كل دول الوطن العربي الكبير .

هم لا يفهمون مدى ترابط شعبنا العربي والإسلامي ، حتى المسيحيين من أبناء هذه الأمة أثبتوا ارتباطهم بهذا الوطن وأثبتوا وطنيتهم .

وأخيرا ...

في هذا الوطن العربي الكبير نحن نكمل بعضنا البعض فنحن حقا كجسد واحد لا يمكن أن تنزع طرفا منه وتطلب منه أن يعيش معافى . أنما سيعيش بعلهٍ و أعاقه .

ورغم الساخرين سأظل و معي كل العاشقين لهذا الوطن العظيم نردد قصيدة فخري البارودي :

بلادُ العُربِ أوطاني ** منَ الشّـامِ لبغدان
ومن نجدٍ إلى يَمَـنِ ** إلى مِصـرَ فتطوان

فـلا حـدٌّ يباعدُنا ** ولا ديـنٌ يفـرّقنا
لسان الضَّادِ يجمعُنا ** بغـسَّانٍ وعـدنان

بلادُ العُربِ أوطاني ** من الشّـامِ لبغدان
ومن نجدٍ إلى يمـنِ **إلى مصـرَ فتطوان

لنا مدنيّةٌ سَـلفَـتْ ** سنُحييها وإنْ دُثرَتْ
ولو في وجهنا وقفتْ ** دهاةُ الإنسِ و الجانِ

بلادُ العُربِ أوطاني ** من الشّـامِ لبغدان
ومن نَجدٍ إلى يَمَـنِ ** إلى مصـرَ فتطوان

فهبوا يا بني قومي ** إلى العـلياءِ بالعلمِ
و غنوا يا بني أمّي ** بلادُ العُربِ أوطاني

كُونْ مُعَارِضاً شريفاً أو لا تكون[1]

مَتى يَبلُغ البُنيانُ يَوماً تَمامَه
اِذا كُنت تَبنيهِ وَ غَيرك يَهدِمِ
صالح بن عبد القدوس الأزدي ، شاعر عربي عباسي



المعارضة أمر مهم لأي دولة تهدف للبناء وتسعى للرقي و الازدهار ، لأن وجود المعارضة في أي دولة تنبه لوجود رقباء على مصالح البلد بالتالي تكون كالرادع للنفس الأمارة بالسوء ، و وجودها يؤكد على وجود شعب حُرّ حيّ يسمو للحياة الكريمة على أرض وطنه ، لا تخلو دولة من معارضة مادام بها أشراف يحبون وطنهم ، و أيضا مادام بها أناس يلبسون عباءة المعارضة (لحاجة في نفس يعقوب).

وبما أن المعارضة هي عين الرقيب على الحكومة ، فإننا نجد عبر التاريخ أن الحكومات الفاسدة تسعى لذبح و وأد المعارضة والمعارضين ، لأنها لا تحب أن تسمع صوت يذكر مثالبها ، هؤلاء لا يُطِيقون إلا نَهيق المُمجدين لهم أن استحقوا أو لم يستحقوا ذلك التمجيد .

بسبب الوضع في منطقتنا وكثرة المتربصين ، فإن هذه الحكومات الفاسدة دوما تُفَنّد المعارضة على أنها مجرد عميلة لجهات أجنبية وأنهم مجرد مخربين ، في حين نجد أن هذه الحكومات لم تكلف نفسها يوما لتختبر هذه المعارضات هل هي صادقة أو لا

[1] - الثلاثاء، 25 مايو، 2010 .

، ومع اعترافي بأن ليس كل معارضه شريفة ، ولكن أيضا ليس كل معارضة عميلة ، ثم أي عدو تتحدث عنه هذه الحكومات ؟ لست أدري بصدق ، فكل أعداء الأمة هم عبارة عن أصدقاء وأحباب وأسياد لهذه الحكومات .

ورغم كل الظروف أمتنا بحاجة للمعارضة الشريفة ، ولابد للحق أن ينتصر ويكسر حندس العجاج ، فالنور لا يتبدد بينما العجاج لابد أن يأتيه حين ويتبدد . فالمعارضة (الشريفة) هي النور الذي تحتاجه أوطاننا ، فقد سئمنا من تقديس الحُكام والملوك وتأليههم ، هم مجرد بشر لهم أخطأ يحتاجون لمن ينبههم أن أخطئوا ، ويوقفهم أن تمادوا ، وبهذا تسير عجلة البناء للأمام قُدُماً .

أدعو كُلَّ وطنيٍّ غيور - يرى أن له الحق أن يقول للخطأ خطأ كما يقول للصواب صواب - أن يقرأ سيرة الصحابي أبو ذَرٍّ الغِفَاريّ ، ليس شرطاً أن تكون مسلماً لتقتدي به ، لأنَّ (الشُرَفاء) تكون أخلاقهم النبيلة قُدوة لكل إنسانِ نبيل بغض النظر عن دينهِ أو مذهبهِ .

سأل الرسول - صلَّ الله عليه وسلم - يوماً أبا ذَرٍّ الغِفَاريّ - رضي الله عنه - :(يا أبَا ذَرّ ، كيفَ أنتَ إذا أدْركَكَ أُمراءٌ يَستَأْثِرون بِالْفَيء ؟
فأجاب قائلاً : إذاً - والذي بعثَكَ بالحقِّ - لأضربنَّ بسيفي .
فقال له الرسولُ صلَّ الله عليه وسلم : أفلا أدُلُّكَ عَلى خَيْرٍ مِنْ ذلكَ ؟ اصبرْ حتَّى تَلْقَانِي .)

أجل (أصبر) ، ولم يكن قصد النبي عليه السلام - وهو الرجل الحكيم المحنك - إسكات (أبا ذَرّ) و إنما وجهه للصواب ، فلقد كان هذا النبي مُعَلماً مُلهما لتلاميذه ومُريديه ، ولم يكن مُلقنا ، كان يعرف أطباع أصحابه ويسبر أغوارهم ويعلم مواهبهم وقدراتهم - وكذلك كل مُعلما مُلهم يجب أن يكون كذلك - فهو عَلِمَ من أول يوم أسلم فيه أبا ذر - حين أتاه متخفيا يسأل عن الدين الجديد - علم صلَّ الله عليه وسلم قوة شكيمة هذا الرجل ، وعرف شجاعته وصدقه وقوة لسانه . **فأراد أن يكون لسانه هو سيف الحق بدلا من أن يكون سيفه هو سبيل الفتن .**

و (أبو ذَرٍّ) فهم وصية معلمه ونبيه أيما فهم فطبقها خير تطبيق وكان لسانه دوما سيفا مشهرا في وجوه أولئك الأُمَراء الذين أَغْرَقوا في الطيبات ، بينما رعيتهم غارقةٌ في الفقر ، فأطلق في وجوههم اللسان والكلمة المستبسلة وكلمة الحق . فالحق أبدا لا يكون فضيلة خرساء ، وما نفعها وهي جبانة صامتةٌ خرساء .

كان من أولئك الأمراء أصحابه وأخوته في الله أمثال أبو هريرة وأبو موسى الأشعري - رضي الله عنهم جميعا - إلا أنه لم يصمت ويُجامل .

حين كاد يهُزُّ الشام بلسانه لا بسيفه على رأس معاوية بن أبي سفيان الذي كان حينها واليا من قِبل عثمان بن عفان ـ رضي الله عنهم جميعا ـ على الشام ، أرسل معاوية لعثمان يقول له : " أن أبا ذر قد أفسد الناس بالشام "
فاستدعاه عثمان للمدينة المنورة ـ وهي عاصمة الدولة الإسلامية حينئذ ـ فعرض عليه عثمان عرضا رقيقا رفيقا فقال له : " ابقَ هنا بجانبي تغدو عليك اللّقاحُ وتروح "
فقال له أبو ذر : " لا حاجة لي في دنياكم ".

أنه (المعارض الشريف) و (المواطن الغيور) ، لم يكن يعارض ليسكن القصور أو لينال السلطة أو الثروة و يجمع الدثور ، لذا طَبَعِّي جداً أن تسمع منه هكذا جواب :" لا حاجة لي في دنياكم " . لم يكن معارضا لأن له (قضية شخصية) عند أحد المسئولين في الدولة جعلته يتحول (فجأة) إلى شخصية وطنية معارضة ، لذا من الوارد جدا أن يكون جوابه : " لا حاجة لي في دنياكم " .

وفي حين كان لا يَطلب سلطة ولا ثروة من معارضته الشريفة ، فهو أيضا حريص على أن لا يكون (جسرا لفتنةٍ) و هو الذي تعلم الحكمة من كتاب الله { الْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ }[1] ، { وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ }[2] ، وهو الذي يحفظ وصية نبيهِ و مُعلمه "اصبرْ حتَّى تَلْقَانِي " .

فحين أعتزل إلى " الرِّبذَة " جاءه وفد من (الكوفة) يسألونه أن يرفع راية الثورة ضد الخليفة ، فزجرهم قائلاً : (والله لو أن عثمان[3] صلبني على أطول خشبة أو جبل لسمعت و أطعت ، و صبرت واحتسبت و رأيت ذلك خيراً لي . و لو سَيَرني ما بين الأفق إلى الأفق لسمعت و أطعت ، و صبرت و احتسبت و رأيت ذلك خيراً لي . و لو ردّني إلى منزلي لسمعت و أطعت ، و صبرت و احتسبت و رأيت ذلك خيراً لي).

فأهل الفتنة علموا أنه بلسانه و قوة شكيمته و جسارته انقادت له الجموع و لو شاء لأشار لها و لأطاح برؤوس الفساد إلا أنه حفظ وصية نبيه .

هكذا حَسَمَ الرجل الأمر وحدد منهجه ، هو (لا يسكت عن باطل) لكنه (لا يقود فتنةً) أبدا .

من يُلاقِي النار بالنار يزدْهَا
لهَباً أطفاءهُ يغدُو مُحالاً

---

[1] - البقرة217
[2] - البقرة191
[3] - يقصد عثمان بن عفان رضي الله عنه ، و هو حينئذ الخليفة .

كان الإمام علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ يقول في أبا ذرّ : (لم يبقَ اليوم أحدٌ لا يبالي في الله لومة لائم غير أبي ذرّ) .

فلقد عاش يناهض استغلال السلطة و احتكار الثروات حتى منعوه من الفتوى فرفض أن يخرسوه ، فقال لمانعيه : (والذي نفسي بيده ، لو وضعتم السيف فوق عُنقي ثم ظننتُ أني مُنفذٌ كلمة سمعتُها من رسول الله ـ صل الله عليه وسلم ـ قبل أن تَحتزُّوا لأنفذتُها) .

ذلك مثال شامخ للمعارضة الشريفة الأمينة الشجاعة المستبسلة ، وأن المرء ليبصر ما يحدث حوله في أقطار الأمة فصيبه كمدا و حزنا . فكم من متلبس ثوب المعارضة و ما هو إلا عميلٌ خائن ، ما يكاد يظهر حتى تنكشف خباياه الخبيثة ، فينفث سمومه في جسد الأمة . فالخونة في كل زمان ومكان {وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيراً }[1]

والأدهى من المعارض (المَصْلَحْجِي) هو المعارض الغوغائي ، الذي يمضي خبط عشواء ، لا يعلم إلى أين يسير ولا ماذا يريد ، فيكون وبالا على قومه من حيث يدري ولا يدري ، و كم قد تم استغلال أمثال هؤلاء لتنهب ثروات الشعوب وتضيع أوطانها.

فللمعارضة أصول ، فلا تصح المعارضة لمجرد المعارضة أو لاستعراض العضلات أو لتسفيه الأخر ولمجرد الانتقاص منه ، أو يرى أن المعارضة تمنحه وجاهة في الناس ليقال أن لفلان رأي و شجاعة أو فلان من المهتمين بالسياسة ، فإنما تلك سفاهة خطيرة . ولا تصلح المعارضة بدون رؤيا و أهداف محدده واضحة ، ومنهاج قويم تنطلق منه .

لابد أن تكون لك أجندة وأن يكون لك هدف ترتكز عليه أفكاركَ و مبادئكَ ، و يجب أن تكون (معارضا شريفا نبيلا) و إلا كنت مجرد (دُبَاب) يراعي موضع الخلل ليس إلا .

وللمعارضة الشريفة أخلاقيات لا تخفى على ذي لُب ، منها احترام الخصم ، وأن يكون نقدك نقداً بناءًا لا غوغائيا همجياً . أن تكون معارضتك لا ترتكز على انتهاك الحياة الشخصية للخصم و أنما أنتقد أعماله . نريد معارضة تدفع عجلة البناء ، لا معارضة تهدم ما تم بنائه . ولا تكون لأجد الحصول على مكاسب شخصية أنما لآجل رفع مكانة الوطن والمواطن والازدهار والسمو والكرامة .

و المُعَارض الشريف لا يهرب من وطنه إلا مضطرا . وليسوا سواء من بقى في وطنه يناضل من أجل الحق ومن هرب وصار ينادي من مكان سحيق . هو لا يطمح

---

[1] - الأحزاب14

بمعارضته تلك لمجد شخصي ، أو مصالح فردية ، هو لا ينتهك حرمة خصمه ، بل يكون عادلا مع خصمه بذات قدر العدالة التي تمناها أن تسود وطنه الغالي .

فخصمك مهما كان فهو بشر . وكما للبشر سيئات ، لهم كذلك حسنات ، وليس لأنه خصم أو لأنه في السلطة يصبح شيطانا رجيما يحق لك رجمهُ بما شئت و وقت شئت ، فخطيئةٌ كبرى في حقوقنا أن نضيع بين (الإفراط و التفريط) ، بين مُقَدِّسٍ مطلق لمن في السلطة ، و بين كارهٍ مطلق لهم ، كشعب نحتاج أن ننظر بوسطية للأمر ، فأي ملك أو حاكم له ايجابياتهُ و سلبياته ، فواجبنا أن نحافظ على الإيجابيات ونصحح السلبيات و نعارضها .

نحوكم العراق ، يقولون صدام كان (ديكتاتوريا) ـ ولن أُعِقب على هذه أبدا ـ و رأوا أنه يجب أن يزاح ، فأسأل أهل العقول :

هل يزاح بيد قوات أجنبية ؟

سيقولون : أنتم لا تعلمون ما عانينا ، فكيف نزيح هذا الدكتاتوري ؟

أقول : ليست إيران عنكم ببعيدة ـ ولن أُعَقب أيضا على تفاصيل الأمر ـ كيف تم إزالة الشاه (الدكتاتور) عن عرش إيران ؟

لماذا لم يستعن الخميني بقوات أجنبية ؟ وهو الذي جاء إلى طهران على متن طائرة فرنسية وبدعم غربي ، لقد كان يقدر ـ لو شاء ـ أن يجعل الأجنبي يطأ أرضهُ . لكنه كان يعلم علم اليقين ـ و هو مالا يخفى على عقل بشر ـ من { إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ }[1] .

هل تظن أن يأتي الأخر و يضحي بماله و أبنائه لأجلك (ببلاش) ؟

طبعا (لا) ، و هذه لم تخفى على أولئك الذين نصبوا أنفسهم متحدثين باسم العراق ، لكنهم لم تكن (العراق) أجندتهم ، بل (المجد الشخصي) و (المصالح الخاصة) من ثروة و سلطة وغيرها .

ثم أنكم دخلتم البلد و أسقطتم النظام ، فأروني ماذا فعلتم ؟

أين العدل ؟
أين الأمن ؟
أين تقسيم الثروة ؟

[1] - النمل34

أين المساواة ؟

لـي أصـدقاء مـن العـراق يحكـون لـي كيـف يـتم توزيـع المـنح الدراسـية تبعـا لحـصص حزبيـة ، ثم أنه أن تصادف وجود طلب لأحد المحسوبين علـى أحد (المسئولين) فـي السلطة ، فسيتم تقديمهُ على المـواطن العـادي حتـى لـو كـان يتمتـع بأحقيـة مـن الناحيـة القانونية و حتى لو توفرت فيه الشروط أكثر من قريب ذلك (المسئول) .

ثم أكان عهد (صدام) كله سيء ؟؟!

ألم توجد حسنة أبدا ؟

لقد أطلعنا على كثير من التقارير الغربية وتقارير الأمم المتحدة تتحدث عن المستوى العالي في العراق أيام (صدام حسين) في شبكة المواصلات وفي الناحية الطبية وفي ارتفاع عدد العلماء النوابغ وخاصة في الكيمياء ، و الفيزياء ، و الطب ، و في مجال التعليم .

أين كل ذلك الآن ؟

ألم يكن حقيقـا علـى أولئك المُدَّعِين أن يحـافظوا علـى تلـك الإنجـازات ، وليبـدؤوا مـن حيث انتهت ، لأجل سمو الدولة و رُقيّها و ازدهارها ؟

لكن ماذا حدث ؟؟

أحرقة المتاحف ، وأحرقت أكبر مكتبه تضم مآثر هذه الأمة (مكتبة دار الحكمة) ، وضـاعت تحـف سـومرية و آشـورية ، وصـارت مـن المقتنيـات الشخـصية لأثريـاء أوروبـا و أمريكـا ، وقتـل العلمـاء بكافـة تخصـصاتهم ، ومـنهم مـن لاذ بـالفرار نجـاة بحياته فتلقفتهم أمم أخرى لتستفيد من عقلهِ ، لنخسر نحنا أولئك النوابغ و يستفيد من علمهم و نبوغهم غيرنا .

وأمـا (التعلـيم) فتلـك قـصة حزينـة ، تُظهـر الوجـه البـشع لأهـل المطـامع و الـدثور المتسترين بعباءة المعارضة .

إليكم (قصة التعليم الحزينـة) : أيـام كـان صـدام حسين (نائبـا لـرئيس) العـراق بـدء مشروعا طموحـا ، وهـو (محـو الأميـة) فـي دولتـه ، يظهـر مـدى جديـة الرجـل فـي تأكيد هذا الطموح ولبلوغ الهدف السامي له أنـه سـن قانونـا يـصل إلـى (الـسجن ثـلاث سنوات) لمن يتخلف عن فصول محو الأمية لتعلم القراءة و الكتابة .

ماذا كانت النتيجة ؟؟؟

النتيجة هي أن اختارت الأمم المتحدة (العراق) عام 1982م بلدا (خاليا) من الأمية ، بينما كان مستوى التعليم في عام 1973 م أقل من (40%) .

واليوم بعد أن أتى أولئك المعارضين المزعومين ، صار (أطفال العراق) في الشوارع بين (متسول) ، أو (بائع بنزين) يمتص البنزين بفمه ليدفعه عبر الخرطوم ويسكبه في خزان السيارات التي يبيع لها البنزين مقابل دينارات لا تساوي ثمن صحته والخطر المحدق به من هذا العمل ، و آخرون يعملون هنا وهناك في ورش نجارة أو خبازين أو حمالين ، ليعولوا أسرهم ، ضحوا بالتعليم مقابل لقمة العيش .

ستعود الأمية في العراق أقوى مما كانت ، بفضل (المعارضين المزعومين) . فقلي بالله عليك :

مَتى يَبلُغ البُنيانُ يَوماً تَمامَه
اِذا كُنت تَبنيهِ وَغَيرك يَهدِم

في كتاب الأستاذ (خليل الدليمي) - محامي الرئيس صدام حسين أيام محاكمات الأمريكيين له وأعوانهم - (صدام حسين من الزنزانة الأمريكية : ماذا حدث) أورد مقالا للأستاذ (علي الصراف) كنموذج من مجموعة مقالات لهذا الرجل الذي كان طيلة حياته (معارضا) لصدام حسين ، كان هذا المقال شاهد للأستاذ (علي الصراف) كرجل وطني و معارض شريف ، لأنه و ببساطه أمتلك الشجاعة لأن يعلن للملأ - عبر مقالاته - عن حسنات أمتلكها خصمه ، وما خشي أن يتهمه أولئك القابضين على رقاب العباد باتهامات وسب فاحش تعودوا أن يطلقوها على خصومهم حتى في أبسط المقابلات الصحفية ، تحية لشجاعة ذلك المعارض النزيه ، ولكل محب لوطنه ، ولكل نزيه و شريف .

وأخيرا ...

كُنْ معارضاً شريفاً بلسانك ونبل أخلاقك لا بسيفك ولا تكون عونا على أمتك بل عونا لها ، أو أترك المعارضة لمن هم أجدر وأعلم بأصولها منك .

ماذا تعرف عن العرب يا هذا ؟![1]

" الأمور تَتَشابه مقبلة ، فلا يعرفها إلا ذو الرأي ،
فإن أدبرت عرفها الجاهل كما يعرفها العاقل "
أكثم بن صيفي ، أحد فصحاء العرب وحكمائها.



لضمان نجاح تَقَبُل الجسم البشري للأطراف المزروعة من جسد أخر لابد من تناول الشخص الذي تمت لـه عملية زراعة الأطراف ـ كالذراع أو الساق ـ لأدوية تعمل على أضعاف المناعة عنده و ذلك حتى لا تقوم المناعة بنشاط يرفض معه الجسم هذا الدخيل الجديد عليه و بالتالي يتوجب أن يتم استئصال هذا الدخيل .

ولأجل أن يكسب الإنسان تلك الذراع أو الساق ليملك القوة التي فقدها يقبل بتخدير مناعة جسمه ويعرض جسده لأخطار اقتحام أمراض كثيرة لـه بسبب عدم وجود مناعة فيه . كما في حال هذا الجسم مع الأطراف و إيقاف المناعة كان ولا يزال حال أمتنا مع كيانين مزروعين توجب على حُكامنا أن يعملوا بشتى الطرق على تخدير مناعة جسد الأمة ليمكن معه عدم المطالبة باستئصال هذا الدخيل . و الدخيلان هما الصهاينة ، و الرأسماليين .

[1] ـ السبت، 30 أكتوبر، 2010 .

ولأن كريات الدم البيضاء ـ التي تشكل جهاز المناعة للجسم ـ تكون ضعيفة ـ في جسم الشخص الذي تم زراعة الأطراف له ـ يتقبل الجسم ذلك الدخيل على أنه لا مشكلة في وجوده و يعتبره جزء منه فلا يرفضه ، و لأن الأحرار - الذين يشكلون جهاز المناعة للأمة ـ يكونون ضعفاء - في الأمة التي تم زراعة كيان دخيل فيها ـ يتقبل الشعب ذلك الكيان على أنه شيء عادي لا مشكلة في وجوده أو على الأقل الاستسلام لوجوده .

في أمتي الناس ثلاثة :

- عميلٌ خائن .
- و ببغاء مصفقة تردد ما يقال جهلا .
- و عارف مسلوب الحول و القوة .

وأشرُّ كُلِّ هؤلاء على أمتي هو تلك (الببغاوات المصفقة) ، لأنها من حيث تدري ولا تدري تعين الظالمين على أمتي ، فهي تردد ما يقال دون أن تكلف نفسها عناء البحث عن الحقيقة ، وأني لا أعذر من جهل الحقيقة ، وخاصة في عصر توفرت فيه كل الوسائل ، فمن أراد معرفة الحقيقة يمكنه البحث عنها و لا شك سيجدها .

أنا أعترف أن من بين تلك الببغاوات من يُحبون هذه الأمة ، ومن فرط ما قد ساءَهُمْ حالها تجدهم يرددون ما يقال عن مساوئها ، و لكني لا أعذرهم في هذا ، فتلك سياسة المنافق ، (أذا خاصم فجر) ، وصار الحبيب الذي بالأمس (ملاكاً) (شيطانا رجيما) . تلك خطةٌ لن توصلنا إلا لضياع أكثر مما نحن فيه ، وسنظل ـ بسببه ـ ندور في حلقة مفرغة لا نهاية لها .

أنكم تجشمون أمتي مركبا صعب ، فهذه الأمة مكونة من (بشر) و ليستْ من (ملائكة) ، وكما لهم أمجاد لهم أخطاء ، لكنكم تُبَالغُون في تهويل أخطائها وتأخذونها إلى غير محملها ، وأنه أمر نرفضه تماما ، فتلك السلبية الزائدة هي (داء) . ذلك الاضطراب يُعين عدونا علينا ، فإنْ أرتفع العجاج عميت الأبصار ، وأن عميت الأبصار لم تعرف عدوك من صديقك وتلك أحد تدابير (فرق تسُد) .

لا باركَ الله في ساعٍ بتفرقةٍ
بين الصَفيين والجارين من أمم

ولقد ضقنا ذرعا بتلك القاعدة التي يُصرُّ البعض على فرضِها علينا في كل المواقف وفي كل الأحيان ، قاعدة الضياع والتشتيت بين (التهوين و التهويل ، و الإفراط والتفريط) فنحن (أمة الوسط) يا قومي ، فدعونا نكن وسطا .

يظن البعض ـ جهلا ـ أن التشدق بذكر مساوئ الأمة ـ أو ما يظنون أنه مساوئ ـ هي رجاحة عقل لهم أو أنها تدل على فائض علمهم ، وعظيم فهمهم ، و غزير ثقافتهم ، وهم لا يعلمون أنهم ـ من حيث لا يدرون ـ يفضحون جهلا عميقا ، و سفها مقيتا .

فاحبسي الشكوى فلولاك لما
كان في الحُكم عبيد الدرهم

يقارنون بين حال أمتي و بين أمم أخرى ما فقهوا عن أحوالها إلا ما يقرؤون في الجرائد عنها ، و ما قول الجرائد بصادق ، فلوا فهموا الحقيقة ، لعلموا علم اليقين أن تلك قشرة تغلف عفناً مقيتا ، وأن أمتي يخنقها العفن الطافي فوق غلافها ، وأعني أولئك الذين نصبوا أنفسهم أسيادا و أصناما و فرضوا على الناس تقديسهم ، و الواحد منهم لا يحمل طُهرَ الصنم .

يعيبون على أمتي أنها أمة لا تقرأ و والله لقد كذبوا ، يعيبون على أمتي أن عاداتها كلها سيئة و والله ما أبصروا ، يعيبون على أمتي أنها أمة الإسلام ورغم هذا فالغرب أنقى وأفضل وأعدل ، و والله قد جهلوا فزيفوا .

جعلوا صرخة أحرار أمتي في وجه الباطل (إرهابا) و والله لقد خُلط عليهم ، وجعلوا وعْيَ أمتي بعدوها ومكائده (وسواساً قهرية) و (أمراضاً نفسية) ، وقالوا : أن لا مؤامرة ضدنا بل تلك أوهام بسبب ما أوصلكم اليأس إليه ، و والله ما عَقلوا . ثم يأتي الغرب أنفسهم ليشهدوا على مؤامراتهم ضد أمتي ، و وثائقهم دليل يؤيد شهادتهم .

لعمرك ما الأبصار تنفع أهلها
إذا لم يكن للمبصرينَ بصائرُ

مالا تعرفه أيها الجاهل أن ذلك الغرب أقذر مما يبهر عينك ، مالا تعرفه أيضا أن الغرب مجرد تابع لكنه تابع (مُقرب) وليس مثل حُكام هذه الأمة تابع (مُحقر) ، مالا تعرفه أننا أمة تملك أحرارا ، وتملك جهابذة عباقرة في كل المجالات ، لكن أحرارا تكمم أفواههم ، وتمزق أجسادهم تحت سياط الخونة ، و تغيب تلك النفوس الزكية في غياهب السجون العفنة ، التي ليست أكثر عفنا من سَجَّانِيها .

وعباقرتنا ـ أيها الجاهل بأمتي ـ لهم خيارين لا ثالث لهما : أما أن يقبل بجنسية أحد الدول التابعة المقربة ـ أي الغرب ـ و يكون رافها منعما مدللا ، ليكرس عقله وعلمه في خدمة تلك الدول ، أو أن يموت ميتة غامضة ثم تغلق القضية ضد مجهول وتنسى بالتعاون مع أولئك الركع السجود في المحافل الماسونية ، الحاكمين بأمر الله ـ كما يحاولوا أن يوهمونا ـ وأصحاب الحق الإلهي الذي ما أنزل الله به من سلطان .

أمتي كم صنمٍ مجدته
لم يكن يحمل طُهر الصنم

يسعى أولئك الحكام المقدسون لتثبيط العزائم و تكميم الأفواه ، و نشر الجهل ، و توجيه التنمية في الوطن توجيهات لا تخدم الشعب ، و أنما تخدم أسياد ذلك المقدس الراكع في محافل الماسونية ، ليبقى له فتات الخبز : كرسياً ، و نساءً ، و أموالاً ، و تقديساً .

أنظر مصير عباقرة أمتي الذين (رفضوا بيع أوطانهم) ، لأنهم علموا علم اليقين : " أن من يبيع أرضه يبيع عرضه " ، أين (مصطفى مشرفة) ؟ و أين (جمال حمدان) ؟ و أين (سميرة موسى) ؟ و أين (يحيى المشد) ؟ وأين (سامية ميمني) ؟ والكثير الكثير من علمائنا وعباقرتنا ، نالهم التهميش من أولئك الأصنام المقدسة ، وحين كانت عزائمهم وحبهم لأوطانهم وأيمانهم بواجبهم أكبر حافز و إصراراً على العمل والإبداع (قُتلوا) بطُرق غريبة ، حتى حقوقهم بعد الممات سُلبت فلم يكرموا ، و قُتل حتى ذكر انجازهم ، ولم يُحقق أصلا في قضاياهم ألا بقدر إخراس الألسن ثم يتهمون في شرفهم أو يقال انتحروا أو أسباب تافهة لم يُثبتْ صحتها تحقيقاً جنائياً نزيهاً .

وليس العراق عنّا ببعيد ، في السنوات الأولى للاحتلال (الأمريكي ـ الصهيوني ـ الفارسي) كانت الإحصاءات تشير إلى أن هناك أكثر من (350) عالماً نوويا وأكثر من (200) أستاذ جامعي ـ غير العباقرة في مجال الطب والجراحة ـ قتلهم الموساد الصهيوني في غطاء أمريكي ، و لا تتوفر إحصاءات نزيه عن الأرقام الحديثة للاغتيالات . هدفهم أن لا يستيقظ العملاق ، وأن تبقى مناعته مخدرة حتى لا يرفض الدخلاء . فهم يعلمون علما لا مراء فيه :

علمْت أنَّ وراءَ الضَّعْفِ مَقدرَةً
و أنَّ لِلحَقِّ لا للقُوَّةِ الغَلَبَا

وأخيراً ..

استيقظوا وتيقظوا ، لا يعميكم حب الزعماء عن رؤية أباطيلهم و زلاتهم ، وأعلموا أنه ليس في البشر معصومين سوى الأنبياء ، أفتح بصيرتك قبل بصرك ، وأرجع إلى رشدك ، وعليك بالعلم فأنه يقوي البصيرة وينير الطريق ، و أبداء بـ (إصلاح نفسك) وثم كن ايجابيا بأن تصلح من حولك قدر جهدك ، فالرجل القوي يعمل و الرجل الضعيف يتمنى .

عليك أن تسعى لشيء و ما
عليك أن تضمن عقبى النجاح

أنها لغة الأذكياء[1]

"جهلتَ و لم تعلم بأنكَ جاهلٌ
فمن لي بأن تدري بأنكَ لا تدري"
الخليل بن أحمد الفراهيدي ، شاعر ولغوي عربي



اللغة خلقها الله وسيلة تواصل و اتصال بين الكائنات حتى الحيوانات والحشرات لها لغتها ، ولقد كُرِمَّ الإنسان بالنطق لتكون لغُتهُ مميزة عن كُلّ الكائنات الأخرى ، ليُعْبّر به عن ألآمه ، و أحزانه ، و همومه ، و أشجانه ، و أفراحه ، و طموحاته ، و كل ما يجول بخاطره ، و لكل أمة لغتها التي تُعبر بها عن ذاتها ، فاللغة هي هويةُ الشعوب وهي وصف شخصيته ، لأنها ببساطة تُجسد ثقافتها ، و تُسجل حضارتها ، و تنقل بها قيمها وعاداتها أجيالا متعاقبة .

من خلال فهم لُغة شعب ما يمكنك سبر غور تاريخه و حضارته و معرفة أسلوب حياته و قِيَمِهِ .

في كُلّ الأمم و الشعوب تنقسم اللغة إلى قسمين : لغة محكية متداولة يمارسها العامة ، ولُغة أدب تمارسها الصفوة يُسجل بها العلوم و الآداب و يُحفظ بها تاريخ تلك الأمم والشعوب .

[1] - الأحد، 7 نوفمبر، 2010 .

و (كلا القسمين) يسجل و يرصد ما مرت بـه تلك الشعوب سـواء من حضارات و ازدهار أو مِحنٌ و استعمار .

و (اللغة العربية) أحدى تلك اللغات العريقة التي مازالت تقف بثبات منذ سنوات كبيرة ، ومن أكثر (اللغات الحية) التي ما زال أهلها يستطيعون فهم وقراءة ما كُتب في أمهات الكتب التي سطرها الجدود قبل أكثر من ألف سنة ، بينما تفقد لغات حية عريقة أخرى هذه الميزة ومنها : (اللغة العبرية) و (اللغة الأرمية) و غيرها من اللغات العريقة والتي ما تزال متداولة ، رغم أن تداولها ليس بقوة حضور اللغة العربية . ونستثني من ذلك اللغة الصينية القديمة حيث يمكن للصفوة فك رموزها لكن لا يمكن للعامة فعل ذلك ، وهذا عكس العربية .

(اللغة) مثل (الأرض) تتأثر بالطقس ، فمرةً تزدهر و مرة تذوي ، و كل ذلك يترك بقايا فيها ، ولقد سنَّ الله التغيير كسمة من سمات الوجود ، فكان من الطَبْعِيّ أن تتأثر اللغات ببعضها ، فتأخذ و تُعطي ، تبعا لمبدأ الغلبة و الضعف ، و حتى في أوقات الاستقرار لا ينفك ذلك الأخذ والعطاء وفقاً لفلسفة (التواصل الحضاري) و (الحوار بين الثقافات) التي جَبَلَ الله الناس عليه ، لأجل ذلك تطورت اللغات و بعض منها أندثر ، و أخرى فرضت هيمنتها على اللغات الأخرى فأضافت في تلك اللغة شيئاً من ألفاظها ، و تكون نسبة تلك الإضافة تبعا لقوة (اللغة المُضيفة) ، وضعف (اللغة المضاف إليها) .

أذاً فالاتصال الحضاري والتواصل الحضاري هو سمة رقي و ازدهار خاصة أن كان بالقدر الذي لا يفقد (اللغة الأم) هويتها الأصيلة و لا يكون سبيلا لاندثارها.

كذلك حال (اللغة العربية) ، لُغة الجمال و الرُقي ، لغة الأدب البديع و السحر الحلال ، اللغة العربية هي (هوية الأمة العربية) و بها جاء أعظم الكُتب السماوية المُقدسة وهو (القرآن الكريم) . عاش العرب بقطبيهم : القحطاني ، و العدناني في جزيرة العرب ، وشكلت اللغة أساس هويتهم ، فكادت أن تكون من مقدساتهم ، لقد قدسوها كما لم تُقدس أمة لغتها ، و يكاد لا يُشبههم في هذا إلا (الصينيين) الذي لغتهم رغم صعوبة رسم حروفها و كثرة عددهن مازال شعبها متمسكٌ بها .

وكما جرت سُنَّةُ الله في الأرض فقد مرت هذه الأرض بمراحل تراوحت بين الانتصار و الازدهار ، و بين الدمار و الاستعمار ، لكن (اللغة العربية) بقيتْ قوية ثابتة ، لم تندثر - رغم المحن العظيمة التي مرت بها - كما أندثرت لغات أقوامٍ آخرين مثل اللغات (السلتية) التي كان يتكلم بها السكان الأصليون (لانجلترا) قبل الغزو السكسوني .

أخذت اللغة العربية من غيرها من اللغات سواء بحكم فرض الثقافات في زمن الاستعمار أو التخالط مع الأخر في زمن الفتوحات والانتصارات ، لكن ما منحته من ألفاظ لغيرها كان أكثر بكثير مما أخذته و استوردته . هذا عدا عن انتشارها إلى بقاع أصبحت العربية هي اللسان فيها .

وهناك الكثير الكثير من الدراسات اللغوية التي أثبتت هذا الأمر ، وللعلم أن أغلب تلك الدراسات وضعوها أناس من لغات أخرى ، بمعنى أخر هم أناس ليس لهم (مصلحة) في مدح لغتنا والثناء عليها ، وليس لهم (مصلحة) للرد على أولئك المنتقدين للغة العربية بغير برهان .

عبر تاريخها أخذت اللغة العربية ألفاظاً من لغات كثيرة بحكم الاتصال الحضاري من تلك اللغات : الفارسية ، و اليونانية ، و السريانية ، و العبرانية ، و التركية ، و الإيطالية ، و الفرنسية ، و اللاتينية ، و لغات أخرى .

لكنها منحت الكثير للغات أخرى منها - مثالا لا حصراً -: اللغة الأوردية (الأوردو) و قد أحصت بعض المعاجم الأوردية (الألفاظ العربية) التي اقتبستها الأردو منها (7584) كلمة ، و هي تستخدم (الحرف العربي) للكتابة ،و (3303) كلمة في الملايوية - وهو أحصاء مبدئي تضمنه مشروع معجم ملايوي عصري شامل لأحد الأخوة الفضلاء للغة الملايوية - وهي لغة تستخدمها شعوب دول جنوب شرق آسيا من ماليزيا ، و إندونيسيا ، و بروناي دار السلام ، و سنغافورة ، و فطاني بجنوب تايلاند ، و (160) كلمة في الإنجليزية .

وكذلك لا ننسى (اللغة التركية) والتي كانت في أوج سيطرة الأتراك - في عهد الدولة العثمانية - على الأمة العربية يستخدمون (الحرف العربي) لكتابةِ لُغتهم ، ولم ينتقلوا (للحرف اللاتيني) إلا في عهد (كمال أتاتورك) العلماني ، كذلك (اللغة الأمازيغية) التي تضمنت مفردات عربية ، وكذلك (لُغة الهندو) التي يتحدثها نسبة كبيرة من سُكان الهند ، وأيضا (اللغة الفارسية) المستخدمة في إيران اليوم وهذه اللغة مازالت تستخدم (الحرف العربي) في كتابة لغتها .

و (اللغة السواحلية) التي يتحدثها سكان ساحل كينيا و زنجبار و تنزانيا ، و يستخدمها بعض سكان شرق أفريقيا ، و هذه لغة حفظها (العرب العُمانيون) - في فترة حكمهم الطويل لتلك البلاد - حين قاموا بجعلها لغة مكتوبة - ولم تكن إلا لغة شفاهية - و استخدموا (الحرف العربي) لكتابتها وجعلوها اللغة الرسمية للدولة العربية في زنجبار رغم أنهم - أي العرب - كانوا أصحاب السلطة و القوة حينها ، الآن تكتب السواحيلية بـ (الحرف اللاتيني) .

كذلك (اللغة الإيطالية) و خاصة في جزيرة صقلية ، وكذلك (اللغة القبرصية اليونانية) ، و (اللغة الأسبانية) المستخدمة في الجمهورية الأسبانية التي أسس بها العرب دولة الأندلس سابقا ، كذلك تستخدم في بعض المستعمرات الإسبانية السابقة ، هذا وناهيك عن (اللغة المالطية) التي يتحدثها سكان (جزيرة مالطا) و التي تستطيع أنت يا من لا يُجيد التحدث بالمالطية أن تستمع للمالطي وهو يتحدث لغته وأنا على ثقة تامة أنك ستفهم ما يعنيهِ دون كبير مشقة ، لأن لغتهم تحتوي نسبة عظيمة من الألفاظ العربية ، لذا يمكنك فهم ما يقوله عبر السياق العام لكلامهِ .

هذا بعض مما عند تلك اللغة القوية العظيمة الساحرة ، وهذا كله على سبيل المثال لا الحصر ، هذا جوابي لمن يعيب على اللغة العربية اقتباسها من اللغات الأجنبية اليوم ، وهو لا ينتقد (حبًا) للعربية ، و أنما تسفيها و تحقيرا ، وما ذلك إلا لجهله أو لخيانة أرادها ، أو تعصبا فئويا .

فتدمير ثقافة أي قوم ، و الغزو الثقافي له يمنح العدو السلطة على رقاب ذلك الشعب ، وبصراحة هذه الأمة أرهقت الصهاينة وأذنابهم فما استطاعوا نزع هويتها منها ليتمكنوا من دثرها لأن هويتها ترتكز في نقطتين : (دينها و لغتها) . فلله دُرُّ أمةٍ مثل هذه الأمة أحبتْ لغتها و دينها ، حتى أنها صمدت كل هذا الصمود الجبار أمام كل هذه الأعاصير العاتية التي مزقت أمم و انتشلتها من ثقافاتها و قيمها لأجل كيان لقيط لا يوجد ألا في مخيلة التعساء ، كل ذلك لمحو هذه الأمة من الوجود لأنها تقف حجر عثر أمام ذلك الكيان .

و رغم أن الحال الذي نحن فيه اليوم كأمة - لا يرضينا نحن أبنائها الطامحون لأحياء مجدها - إلا أننا - ونحن بهذا الحال الضعيف - نشكل خطرا على ذلك الكيان .

فأقولها بكل صدق لأمتي (لن تموتي فكاهلُ الأرض لا يقوى على حمل نعشكِ الجبار) أن اقتباس (اللغة العربية) ألفاظاً من لغة أخرى ليس دليل ضعف بل هو دليل مرونة و تطور و تلك سمة أتسمت بها كل اللغات عبر التاريخ الإنساني ، وهي ميزة جيدة (ما لم) يسبب اندثارا لتلك (اللغة الأم) أو يغلب على ألفاظها .

هم يقولون أن اللغة العربية ليست لغة علم ، عجبا لكلامهم !! و الأغرب قول المتقول متحديا لمن يعشق العربية : (أجلب لي مرادف تلفزيون بالعربية) . و أنا أقول له متحديا لبلاهته : (أجلب لي مرادف سُكّر بالإنجليزية) .

أن المنطق - لو كانوا للمنطق يعقلون - يقول (أن لا لغة من لغة الأرض لا تستطيع احتواء العلم) ، والدليل على ذلك هو الشاهد التاريخي في الحضارات الإنسانية من (حضارة الإنكا) إلى (الحضارة المغولية) مرورا بحضارات الشرق التي تعددت فيه اللغات و اختلفت . **ما من لغة لا تستطيع احتواء العلم** ، فلم ينزل جبريل

بالإنجليزية فقط لتكون لغة علم ، ولا بالفرنسية لتكون لغة علم . أنما (**البشر هم من طوعوا اللغات**) لخدمة العلم فكانت خير خادم في كُلِّ الحضارات و الأمم و الشعوب ، فدعكَ من هذا الهراء ، ولا يضير العربية أن يكون لفظة كمبيوتر أو تلفزيون ألفاظا مُعربة كما لم يضر الإنجليزية ـ من قبل ـ أن تكون كلمة سُكر وبرتقال مُغربة .

أني أقول لهؤلاء دعوكم من كل هذا الهراء ومن خُزعبلاتكم تلك ، و **بدلا من أن تبحثوا عن شيء تُعلقون عليه فشلكم ، تحركوا وأنجزوا ، و أبدعوا ، فالإنسان هو من يصنع كل شيء في الحضارة سواء كان تُراث أو لغة أو ثقافة** . هو من يُعلي قدر أمته أو يحط بها . ودعوكم من كل هذا التذمر . ولا تحاولوا إغواء الناس فكلامكم السخيف .

أنا لا أدافع عن هذه اللغة فهي أعظم من أن يُدافع عنها مُدافع ، فهي ليست في موضع ضعف ، أنما مقالتي هذه لأنبه أولئك الذين يجهلون أنهم بما يقولون أنما يظهرون للناس جهلهم ويجعلون من أنفسهم موضع سخرية فهم لا ينظرون أبعد من أنوفهم ، وذلك الذي يسعى لأن يجعل من (لغة الدارجة أو العامية) لغة رسمية تُنشر بها المجلات والصُحف ، ويسعى بأن يهبط بالعقول بدل السعي للرقي بها بلغة راقية عذبه كاللغة العربية أنما بذلك يظهر ضعفه و انحدار قدره ، فاللغة العربية لغة للأذكياء الفطناء لكنها ليست بالصعبة على الناس العاديين لذا فإن مثل هذا الإنسان أنما يشهد على نفسه أنه أحقر منزلة من الإنسان البسيط العاميّ ، لكن كيف بلغ منازل السلطة ليرسم طريق أمته ؟؟! سؤال يحتاج للكثير حتى يتم الإجابة عليه .

يقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (تفقهوا قبل أن تُسوّدوا) والتفقه ليس في الدين وحده بل في كل فروع العلم ما أمكن منه ، لأن العلم ينير القلوب ويفتح البصيرة فيقود صاحبه إلى طريق الحق والحقيقة ، ويمضي في كل أموره عن بصيرة وعن بينة من أمره . فلا يستوي الأعمى و البصير .

فالمُسفهين للغة العربية ثلاثة :

- جاهل لا يقدر على هذه اللغة العظيمة ففندها ولجئ إلى اللغة العامية التي تناسب مستواه السوقي البسيط فأراد أن يفرضها كلغة لأهل الصفوة ، قال أبو العُميثل لأبي تمام منتقداً شِعْرَهُ : يا أبا تَمَّام لِمَّ تَقولُ مَا لا يُفهم ؟ فأجابهُ أبُو تَمَّام : لِمَّ لا تَفهم مَا يُقال ؟ .

- وخائن أراد أن يعين الأعداء علينا بتفريق شملنا لأن اللغة هي أحد ركائز جمع شملنا كعرب ـ كما هو الحال في كُل الأمم ـ والأدهى أن من هؤلاء من هم في مواقع السلطة فقرروا أن يبثوا الجرائد باللهجة العامية وفرضها على الجميع كلغة أدب ، وهم أنفسهم في مؤتمراتهم الرسمية يتحدثون باللغات

الأجنبية بلسان مفوه رغم أن دساتيرهم تقول أن (اللغة العربية) هي اللغة الرسمية للدولة و أذا تحدث العربية التوى لسانه ولم يُفصح فهو لا يلو جهدا للقضاء على اللغة .

- وأخر يهرف بما لا يعرف ، وصَدَّقَ ـ لجهله ـ ما قيل له بأن (سبب تخلف) أمتنا هي (لغتها و ديننا) وهذا مجرد واحد من أولئك الببغاوات المصفقة .

وليعلم الجاهلون أن سعي العدو لتدمير لغتنا العربية أنما ليضرب به عصفوران بحجر واحد ، فإن اندثرت العربية ـ وأقولها بكل ثقة أن ذلك لن يحدث أبدا ـ فسيصعُب قراءة القرآن على أتباع الإسلام مثلما حدث في ديانات أخرى مثل اليهودية والنصرانية . ليخرج لنا الصهاينة بعد ذلك أحبارا يكتبون لنا القرآن بأمانيهم ، فيغيرون الكلم عن موضعه حُباً لأسيادهم . وذلك لن يحدث لأن الله تعالى قال :{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ }[1]

وأخيرا ..

يقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب : (أما بعد فتفقهوا في السُنة ، و تفقهوا في العربية ، وأعربُوا القرآن فإنه عَربيّ) .

أنها لغة خير الأنبياء ، و لغة خير الكتب المقدسة ، و لغة الشعب الذي ناضل من أجل أن يرفع راية الله عاليا عبر تاريخهِ ، و تحمَّل و مازال يتحمل الكثير من الويلات في سبيل ذلك ، و ستبقى (العربية) صامدة شامخة مادام أن الله تكفل بحفظ كتابه الذي نزل بلسان عربي مبين .

[1] - سورة الحجر9

نحن أمة تقرأ ، ولكن[1] ..

" الجوعى لا يمارسون الفضيلة "
منيشيوس ، فيلسوف صيني



(أن العرب أمة لا تقرأ ، و إذ قرأت لا تفهم ، و إذا فهمت لا تعمل) تُنسب هذه المقولة للعنصري السفاح الصهيوني (موشي ديان) ، سبب قولها ـ كما يُنسب ـ أنه نَشر بعضا من خطط (حرب 1967م) و عندما سُئِل أجاب بهذا الجواب . مقولة رددها مُغرضون و ببغاوات .

و سأبدأ من سبب قول هذه المقولة ، أن (نشر) أو (عدم نشر) خطط الحرب لا يُغير من مجرى الحرب بالنسبة للشعب الذي يقرأ مخطط جيش معادي أو لا يقرأ ، لأن قرار الحرب منوط بالقادة السياسيين والعسكريين في أمة .

عندما كانت المقاومة العربية في أوجها في (حرب عام 1948 م) تم إيقاف كُل شيء بأمر من الحكومة المصرية ، قال اللواء (سيف الدين) ـ و كان قائد الجبهة وكان هو رئيس الوفد المصري المفاوض في رودوس ـ حين سأله (كامل الشريف) عن سبب حصول اليهود على الأراضي الفلسطينية بسهولة في خضم المقاومة

[1] - الاثنين، 15 نوفمبر، 2010 .

العربية ، أجابه بكل بساطة : (نحن اعتبرنا كل أرض ليست مصرية هي إسرائيلية). و في نفس الحرب بعث المجاهد (عبد القادر الحسيني) رسالة إلى جامعة الدول العربية بتاريخ 6 أبريل / نيسان 1948م نصُهَا : (أني أُحَمّلكم المسؤولية بعد أن تَركتم جنودي في أوج انتصاراتهم بدون عون أو سلاح) . في اليوم التالي أستُشهد هذا القائد بسبب نفاد الذخيرة ثم سقط (القسطل) في أيدي اليهود وبعد يومين وقعت (مذبحة دير ياسين) .

ومثال أخر ، فيما يسمى (الثورة العربية) للشريف (حسين بن علي) فإن سذاجة و جهل هذا الرجل بمكر الإنجليز أو تساهله أو ربما حرصه على تنفيذ مصالحه (التي وعده بها السير (مكماهون) في مراسلاته المعروفة باسم (مراسلات حسين - مكماهون) جعله يُصدق هنري مكماهون - كان الممثل الأعلى لبريطانيا في مصر - ورمى عرض الحائط بكلام الثوار والقوميين العرب والسوريين المتواجدين في مصر عندما أبلغوه عن مكيدة الإنجليز وعن - ما يسمى - (وعد بلفور) الذي نشرته الصُحف البريطانية .

السلطان العثماني (عبد الحميد الثاني) كان واعيا لما أراده اليهود في فلسطين ، لذا رفض أن يبيع لهم قطعة أرض في فلسطين لما طلب (ثيودور هرتزل) منه ذلك ، وكذلك عندما أغروه بشراء مزارعهِ السلطانية في فلسطين بمبالغ خيالية ، لكن معرفة الرجل بما أراده اليهود و أخلاصه لأمته - رغم الضائقة المادية الكبيرة التي كان يمرٌ بها هو شخصيا و كذلك دولته - جعله يرفض طلبهم ، لكنه مع ذلك خسر عرشهِ . فرفضُهُ ذاك كان سبب إسقاط حكمهِ وجلب العلمانيين الماسونيين لحكم تركيا بالإضافة إلى ما كان يسمى بالثورة العربية .

تلك أمثله أثبتت أن وعي الشعوب وحدها لا يكفي لنكسب حرب إذا كان قادة الحرب تابعين أو كانت لهم أطماعهم أو كانوا من المستبدين برأيهم ، أو غُلب على أمرهم .

خلاصة الأمر أن سبب تلك المقولة (باطل) وهي محض استهزاء بالأخر ليس إلا . فذلك السفاح البربري (ديان) يعلم علم اليقين أنه ما من قائد عسكري يمكنه أن يأخذ بخطة حربية ينشرها الخصم علاناً ، لأن أول ما يتبادر للذهن أنها مجرد مراوغة إعلامية أو مكيدة و تضليل أو حرب نفسية من نوع ما . وأما أسباب خسارة العرب تلك الحرب فلأسباب كثيرة كانت خلف خسارة (حرب 1967 م) و ليس سببها عدم القراءة . رغم أني لا أنفي أن المعرفة مهمة جدا لكسب حرب في كل الميادين .

من المغالطة القول بأن أمة بأكملها هي (أمة مطلعة و تقرأ) ، فكل إنسان مُيسر لما خُلق له ، فهناك من يلتهم القراءة التهاما ومنهم من يراها ضربٌ من الجنون ومضيعة للوقت ، ومنهم أناس يكتفون للقراءة في مجالات تخصصهم فقط لإثراء معرفتهم فيها ، و آخرين بين أولئك .

دائما نجد أنفسنا أمام من يقيم المقارنات بيننا و بين الغرب ، مع أن هذه المقارنة فيها إجحاف كبير في حقنا ، بالإضافة إلى المبالغة ـ وخاصة عند المنبهرين بالحضارة الغربية ـ في تمجيد كُل ما هو غربي دون أدنى منطق ، إذ نجدهم يبالغون مبالغة تحيدهم عن الصواب في أحيان كثيرة .

الحضارة الغربية بها الكثير من الأشياء الجيدة ـ و لا أحد ينكر ذلك ـ لكن لنلجئ للمنطق في مقارناتنا ، يقولون الغرب (يطبع) سنويا كذا من آلاف الكتب تفوق ما يطبعه العرب مجتمعين بكذا ألف مرة ، والغربي (يقرأ) كذا كتاب مقارنة بالعربي ، و غيرها من المقارنات .

أن الغربيين يتمتعون بأسباب تمنح المقدرة على الإبداع وعلى تطوير الذات ، بينما لا تملك هذه الأمة ذلك ، و الغربيين ليس جميعهم يقرؤون الكتب ، فكثيرون هم من لا يطيقون حتى مجرد ذكرها ، وليس كل الكتب التي يشتريها الغربيون هي كتب علم ومعرفة ، ثم أن الغالبية الساحقة من الغربيين تقتصر مطالعتهم على مجال عملهم وتخصصهم فقط ، فكل شيء مرتبط بالمادة عند الغرب ، فأنت أن كنت جاهلا في مجال تخصصك أو أخطأت فأنك ستتعرض لفقد وظيفتك بكل بساطة لأنك بالنسبة لتلك المؤسسات أنت (آلة أنتاج) تجلب لهم المال ، وهم ليسوا مستعدين للاحتفاظ بـ (آلة) لا تنتج أو أن أنتاجها غير مربح ، لذا فالمنافسة مستعرة ويجب عليك أن تثبت أنك جدير بوظيفتك . أنا لا أنكر وجود مثقفين غربيين موسوعيين ، لكن لولا المحفز المادي لما قرأ الغرب .

أن (دُور النشر والطباعة) الغربية التي تقوم بطباعة ونشر الكتب تعمل على الترويج لتلك المواد الكتابية بنفس الطريقة التي تقوم بها شركات أنتاج السلع الاستهلاكية للترويج لسلعها ، ولا يخفى على أحد ما للإعلانات الترويجية من دور مهم وقوي في جذب الجمهور نحو فكرة ما ، تلك ميزة تتميز بها دُور الطباعة والنشر الغربية لا توجد في دور الطباعة والنشر العربية .

أن العدد الكبير من الكتب التي يتم أنتاجها سنويا في الغرب ليست بالضرورة كتب علم ، فهي تحتوي على نسبة ضخمة من كتب السير الذاتية التي صار يمتهنها حتى عمال النظافة في الغرب بعد تقاعدهم من العمل ، بالإضافة إلى كتب تحمل ترهات ولكن يتم منحها أكثر مما تستحق مثل كتاب (صدام الحضارات) لصامويل هنتنجتون و قبله فرانسيس فوكوياما في كتابه (نهاية التاريخ) وغيرهما ممن سبقوهما أو أتوا بعدهما من المُنظرين لتلك النظرية التي لا تحمل قيمة ، بالإضافة إلى القصص والروايات وغيرها .

أنا لا أنكر وجود مشكلة لكنها ليست بهذه الطريقة التي يعرضها البعض ، ويروج لها ، وليست كما وصفها ذلك الصهيوني المتبجح ، أن الصهاينة جعلوا جُلَّ جهدهم لتحقير الحضارة العربية الإسلامية ، و لإظهار العرب والمسلمين بمظهر البرابرة الهمجيين البدائيين الذين لا يملكون حتى مميزات بشرية . وتلك عنصرية ليست بغريبة على من يعتقد نفسه (شعب الله المختار) .

أن الإحصاءات التي تنشرها بعض الجهات (لا تعتبر عملا إحصائيا حقيقيا) ، فنحن لم نرى يوما عملا إحصائيا لإحصاء من يقرأ الكتب ومن يشتريها ، ومن يهتم بها ومن لا يهتم . لذا فإن تلك الإحصاءات لا تحمل منطقا ، هي تظل مجرد تقديرات . فإنا أعرف الكثير من الناس يحبون القراءة كثيراً ، لكنهم نادرا ما يشترون كتابا وإنما يستعيرون الكتب من رفاق لهم أو يقومون بنسخها من أناس أو جهات معينة . لذا فإن عدد من يشتري الكتب يكون قليل بعض الشيء وبالتالي تعمل دور النشر لتقليل عدد النسخ الصادرة عن كتاب ما . وأن القارىء العربي صار يجد ضالته في الإنترنت ، حيث يتسع فضاء الحرية ولو الشيء القليل فأصبح يستطيع قراءة بعض الكُتب الممنوعة والمحظورة أن لم يكن جميعها ، إضافة لسهولة الوصول للكتب في الإنترنت ، بالتالي هو ليس في حاجة لشراء كتاب يستطيع أجاده في النت .

أما عن قلة العناوين التي يتم طباعتها سنويا في (دور الطباعة العربية) فالأمر يرجع إلى عوامل كثيرة وأهمها على الإطلاق عوامل اقتصادية و عوامل سياسية تلامس كل الوجهات بالنسبة للأقلام العربية :

- أن قائمة الممنوعات التي تضعها الأنظمة المستبدة الخاضعة للرأسمالية الغربية تفوق كل التصورات ، وتتعرض الأقلام والعقول العربية للاضطهاد والملاحقات والتنكيل وأساليب التضييق عليها ، وأني أعلم الكثير الكثير من (الكُتّاب العرب) الذين لهم كتابات لم تطبع إلى الآن رغم أنهم فرغوا من كتابتها منذ سنوات بعضها يفوق العشرين سنة . ولا يقتصر هذا على الأنظمة المستبدة ولكن أيضا على الصهاينة الذين يسوئهم أن يرون للعرب براعة في شيء ما ، والجميع يعرف الملاحقات و الاغتيالات التي طالت والتي مازالت تهدد الكثير من العقول العربية والتي يقف خلفها (الموساد) .

- الفقر والتضييق المادي الذي في الغالب هو نتاج الفساد الإداري والتبعية التنموية للرأس مالية الغربية والتي تعمل على امتصاص ثروات الشعوب وتكديس تلك الثروات لصالح تلك الدول الرأسمالية ، مما ينتج عنه الفقر والبؤس في الدول المضطهدة وكل ذلك بمساعدة جادة وحثيثة من أنظمة هذه الدول المضطهدة .

في قصة لا تفارق مخيلتي أخبرني بها من أثق بصدق نقله حدثه بها أستاذهُ الجامعي وهذا الأستاذ من المغرمين بالعلم والقراءة وهو يذكر متحسرا قصة رجل من سوريا كانت له العديد من المؤلفات ، كان الرجل فقيرا وليس لديه أولاد ، ومع ذلك كان يؤلف الكثير من الكتب ولم يتمكن من طباعة أي كتاب منها لفقره ، وعندما توفي اضطرت زوجته الفقيرة التي لم تجد مالا لتشتري وقودا يدفئ بيتها من برد الشتاء فاضطرت لحرق أوراق زوجها ، وما تلك الأوراق إلا خلاصة فكره .

- و من أسباب قلة الكتب التي يتم طباعتها هي (قلة المال) أيضا بالنسبة للقارئ ، فهو لا يقدر على شراء الكتب فهو بالكاد يقدر على توفير احتياجات أسرته المادية . فدُور النشر لن تطبع كتبا هي تعلم أنها لن تستطيع بيعها وتعويض قيمة طباعتها .

ولمن كل همهم هو أثبات نظرية ذلك السفاح الصهيوني ، و أظهار العرب بأنهم أمة لا تملك أي حسنات ولا تملك أي مقدرات عقلية أو مهارية أقول أن المؤسسات الغربية مليئة بتلك العقول العربية والتي تقدم الكثير من الإبداع . ناهيك عن العقول التي يسعى الأعداء لطمرها هنا و العقول التي تم اغتيالها.

- يتحجج البعض في محاولة تأكيد تلك المقولة بأن هناك من العرب الذين هاجروا للغرب و أنقضى سنوات على وجودهم هناك ولكنهم - رغم تلك السنوات - (لا يجيدون التحدث بلغة تلك الدول بشكل جيد) ، ليس من حيث اللكنة أو اللهجة و أنما من حيث اللغة ، وأنهم لا يحبذون الالتحاق بمدارس تعليم اللغة التي توفرها تلك الدول للمهاجرين الجدد .

والجواب / أن هذا أمر لا يمكن تعميمه ، بالإضافة إلى أن هذه الصفة ليست مقصورة على العرب وحدهم ، فأن المتمعن يرى كثيرا من المهاجرين من غير العرب الذين يستوطنون دولا غير دولهم فتجدهم في الغالب لا يميلون لإجادة لغة تلك الدولة ما لم تستدعي لذلك ضرورة - كالوظيفة مثلا - ونجد أن أغلبهم يتعلمون العامية فقط دون لغة الأدب وذلك لعامل احتكاكهم بشعب تلك الدولة وليس لأنهم أجهدوا أنفسهم بتعلمها . ونجد منهم من لازال لا يستطيع فهم الكلام العامي لتلك الدولة ومن يتفحص مجتمع (الولايات المتحدة) تحديدا يستطيع أن يرى الأمر بوضوح تام وذلك لحجم المهاجرين الكبير وتنوعهم الأثيني الكبير ، لدرجة فَكَرَ المسئولون في تأسيس مدارس تستخدم اللغة الأم للمهاجرين ليتم أنتساب كل مهاجر إلى المدرسة التي تستخدم لغتهم الأم ، و قد سبب الأمر جدلا كبير في الولايات المتحدة ، إذن فالأمر طبعي جدا ، و ليس في القوم من بأس ، و ليسوا بدعاً من الناس .

- يقولون أن معدل ما يخصصه المواطن العربي للقراءة سنويا كذا من الوقت مقارنة بأترابه من الغربيين ، هنا أعود للتأكيد على أن ما من إحصاءات

حقيقية في هذا الشأن ، بالإضافة إلى عدم دقة هذا التعميم ، هذا من جهة من جهة أخرى أن جميع أقطار الدول العربية ـ إذا استثنينا دول الخليج إلى حد ما ـ فأنها دول تعيش أوضاعا اقتصادية مأساوية بصدق مقارنة بثرواتها ، ونجد الإنسان يعمل في أكثر من وظيفة لتوفير دخل متدني جدا في جو من عدم تكافئ الفرص وعدم المنافسة النزيهة في سباقات الحصول على العمل . كل ذلك الصراع لا يمنح الإنسان الوقت للقراءة ، وأن وجد بعض الوقت فأن عدم الارتياح النفسي والقلق الذي لا يفارق الإنسان على مصيره ومصير من يعول لا يترك مجالا لممارسة القراءة ، أن همّ الحصول على لقمة العيش لا تجعل الإنسان ـ غالبا ـ يشعر بالإغراء للقراءة .

عكس الغربي الذي يتمتع بدخل مادي كبير بالإضافة للعدالة الاجتماعية و القانونية ، وعدم وجود التزامات اجتماعية مثل التي توجد عندنا ، بالإضافة لمحفزات القراءة حيث أن القراءة جزء من الكسب المادي والثبات في الوظيفة في الغرب وهذه صفة لا توجد عندنا إلا في الشركات الكبيرة والتي هي في الغالب فرع عن شركات رأسمالية تعتبر الإنسان رقما و آلة أنتاج .

- هناك من يقارن بين عدد الاختراعات في دول غربية والكيان الصهيوني سنويا تفوق المخترعات العربية ، أؤكد على أمر مهم جدا وهو أن عندنا العديد من الشباب المخترعين لكن حتى إجراءات الحصول على براءة اختراع معقدة جدا ، بالإضافة لقلة الدعم المادي للمخترعين وأن أغلبهم هم أناس لا يملكون المال للترويج لاختراعاتهم ، غير التضييق الذي يجده أولئك المخترعين وتلك العقول وفق سياسة عدم أيجاد تنمية بشرية حقيقية وذلك خدمة لمصالح الرأسمالية الغربية لذا نجد أن أنظمتنا المستبدة تدفع مبالغ ضخمة على ترهات وفي المقابل لا تدفع إلا الزهيد من المخصصات المالية لتطوير العلم والأبحاث ، عكس ما يفعله الغرب كل ذلك خدمة للكيان الصهيوني والذي يعتبر من أكثر الدول في العالم الذي يخصص مخصصات مالية عظيمة للبحوث العلمية تفوق ـ حتى ـ الولايات المتحدة .

- يقول بعض المستشرقين بأن العرب أمة تعتمد على المشافهة ، وكالعادة هناك ببغاوات تردد ما يقال بلا وعي وتحلف بأيمان الله بأن الغرب لصادقون ، و والله أنهم كاذبون . نعم في مرحلة ما كان نقل المعلومات والعلم يجري مشافهة عند العرب وكان ذلك عندما كان الغرب غارقا في وحل الجهل ، ولا يملك حتى تلك المشافهة في نقل العلم والمعلومات . اللغة العربية لغة جميلة ، لذا برز فيها فن المناظرات وعلم الكلام ، وهذا أثرى نقل المعلومات مشافهة في أمة كانت لظروفها المعاشية لا تهتم بالكتابة ، لكن بعد أن تتطور حالها أصبحت تكتب و تدون ، بل وتستدرك ما كان يدور على ألسن الأجداد والسابقين ، لذا فإن من يتحجج بأن كتاب (تاريخ الأمم والملوك) لمحمد بن

جرير الطبري ذي المجلدات العشرة نسبة كبيرة منه منقولة مشافهه فهي حجة عليه لا له ، لأن (الطبري) سجل قسما كبيرا من تاريخ كتابه عما كان قبله حيث كان الناس لا يكتبون ، وفي عهد الطبري ـ في العصر العباسي ـ كان العرب بدؤوا منذ عهد قريب تدوين تاريخهم وملاحمهم و ما تناقله السابقون ، لذا فأن الكتّاب الذين دونوا بعد (الطبري) استعانوا بكتبه ، وكذلك الكتّاب الذين دونوا في علوم أخرى كعلم الأدب ، واللغة ، والتفسير ، و الفقة ، هذا غير الكُتُب التي وضعها أصحابها لشرح ما توصلوا له من علم و اختراعات في مجال الهندسة ، و الطب ، و الكيمياء ، و الرياضيات ، وعلوم البحار . **لذا أقول مدّوا بصركم قبل أن تتفلسفوا** ، و قبل أن تؤكدوا مقولة جاهل أو مُغرض.

- يأتي أناس ليستشهدوا بمقولة نزار قباني حين قال : (لا ريبَ أن الأغنية لعبت دورا كبيرا فى إطلاقي إلى الآفاق ، والسبب هو أن الشعب العربي يقرأ بأذنيه..) . فوالله ما أصاب قباني في قوله أبدا ، وإلا لماذا يحفظ الناس إلى يومنا هذا شعر أبي تمام وشعر البحتري والمتنبي بل ومن كان قبلهم مثل عنترة و زهير بن أبي سلمى و الأعشى وحتى أشعار شعراء النهضة الحديثة مثل حافظ إبراهيم وأحمد شوقي و إيليا أبي ماضي وغيرهم ؟ لسبب بسيط أن شعر قباني لا يرقى للحفظ ـ إلا القليل منه ـ كالشعر العربي الأصيل ، بالرغم أن قباني ألقى العديد من قصائده في محافل كثيرة ألا أنها لم تتجاوز لحظتها ، و السبب أن أغلب قصائده هي من القصائد التي تميل للنموذج النثري :

يموت رديء الشعر قبل أهله
و جيده يبقى و إن مات قائله

اللغة العربية (لغة موسيقية) بألفاظها و أوزانها المتقنة ، لذا حفظ الناس أشعار الأولين ، بينما لم ينال الشعر الحديث ـ إلا القليل منه ـ ذلك الحظ إلا أن غناه مغني وذلك لسبب بسيط هو أن هذا المغني يمنح الموسيقى التي تفتقر لها تلك الكلمات. بالإضافة إلى أن سماع أغنية لا يحتاج لوقت فارغ لها كما يحتاجه الكتاب ، فيمكنك سماع الأغنية وأنت تقوم بعملك أو وأنت مسترخ .

- أما من يعيبون أن العرب يقرؤون بصوت مرتفع ، فهذه ليست سمة عامة ، ففي القطر الذي أعيش فيه أجد أناس في السبعين والثمانين من عمرهم يقرؤون في صمت و سكون ، قراءة تأمل و تفكر ، مع أن بلادي هذه لم تعرف المدارس العصرية إلا بعد سنة 1970م ، لذا لا يحق لك أن تعمم ما تراه في قطر ما على جميع العرب ، بالإضافة أنه حتى في ذلك القطر تجد

من الناس هذا وهذا من طرق القراءة ، وأن كنت تقصد بقولك هذا هو الإشارة لقراءة القرآن في الكتاتيب فتلك أشارة غير مقبولة لأنه حالة خاصة ولا يصح تعميمها كنمط ، أضف إلى كل ذلك أنه سواء قرأت بصوت مسموع أو في صمت لا يعني هذا أنه دليل على أننا أمة لا تقرأ ، فالقراءة هي القراءة أي كان حالهم ، فالعبرة في أن أقرأ أم لا ، وفيما أستفيده مما اقرأ.

- يعيبون تعلم العرب للغات الآخرين - ولا أدري ما علاقة هذا بالقراءة أو أين العيب فيه ؟! - ويرى البعض أن العرب بالغوا في تعلم العبرية مثلا في حين أن اليهود - إلا القلة منهم - لا يتعلمون العربية بل و يحتقرونها ، أن من تعلم لغة قوم أمن شرهم والعرب قوم يحبون تعلم لغات الأخر منذ القدم ، و لا يضيرهم أن كان الصهيوني العنصري تمنعه عجرفته من تقبل الأخر وخاصة العرب ، ولو مُكن هؤلاء البكاؤون الصهاينة لقتلوا كل البشر ، ولما تعلموا حتى الانجليزية ولا الألمانية ولا غيرها ، لكن لأجل بكائهم ولأنهم يعشقون البكاء بلغات أخرى فهم مضطرين لتعلمها . وأما عن ضعف حركة الترجمة فأن المترجمون العرب ، يسعون جاهدين في هذا المضمار ، إلا أن العوائق المالية والسياسية تعرقل كل الجهود وتمنع الإنتاج .

- أن الأنظمة المستبدة ومن يقف خلفها من الأعداء يهمهم جدا نشر الجهل و الفوضى ، وبما أنهم لا يستطيعون عدم فتح مدارس لتعليم أبناء شعبهم لأن ذلك سيفضح بجلاء مخططاتهم ، لذا **ينشرون الأمية المقنعة ، و هي عبارة أيجاد أجيالا لا تحمل الأمية الأبجدية ، ولكن تحمل أمية فكر** ، لذا تعمل هذه الأنظمة على أيجاد مناهج دراسية غير مجدية ، وأساليب تدريس تنفر الطلاب من العلم والقراءة ، وهم يستغلون في ذلك أسلوب الرهاب النفسي ولكن بقدر ما يحققون به غاياتهم فقط . وفعلا هم ينجحون . هذا بالإضافة أنه بسبب الفقر يضطر عدد كبير جدا من الأطفال لترك المدرسة وذلك للعمل في سن مبكر جدا.

أن حضارات الأمم والشعوب قامت حين وُجِد الاستقرار والشعور بالأمن (الأمن المادي ، والأمن النفسي ، و الأمن في الوطن) لأن النفوس حينها تتوقد بالإبداع ولا يبدأ الإبداع إلا كانت القراءة والنتاج الكتابي حاضرا بقوة . أن لازدهار أي مجال في حضارة أمة ما عدد عوامل لأبد أن تتضافر أن وجود الخوف وعدم الاستقرار والأمن في نفس الإنسان تنفي عنه اهتمامه بالعلم .

كانت الأمة العربية أمة كر و فر ، و حروب و غزوات لا تنتهي ، ورغم وجود الشعر - كنتاج ثقافي - إلا أنه أقتصر على التناقل الشفاهي ، لكننا نرى أنه بعد أن استقرت دعائم الدولة الإسلامية ، وأستتب الأمن و أزدهر الاقتصاد ، استقرت النفوس و أطمئنت ، والأهم من هذا وجود الزعماء والقادة المخلصين لأمتهم

وشعوبهم التواقين للمجد لأنفسهم ولأمتهم ، فتوقد الإبداع في شتى المجالات وأزهرت الأمة ، وفي مجال النتاج الكتابي والقراءة ، نجد الكثير من المكتبات ، حتى خطوط الكتابة ازدهرت وما يكتب عليه حيث تحول الناس من الكتابة على الرق والحجر إلى الكتابة على الورق ، ووجدنا مهن جديدة تظهر كمهنة الوراقين ، وأصبح القارئ يجد أكثر من نسخة للكتاب الواحد ، بعد ما كان المرء لا يجد إلا نسخة واحدة للكتاب فإن ضاعت أو تلفت ضاع العلم الذين تحويه .

كان في العرب القدماء تجد النجار والحداد و القفاف وصانع الفخار قارىءً موسوعياً ، يوزع وقته بين كسب قوته وكذلك اللجوء لـ (حوانيت الوراقين) لقراءة الكتب إذا كان لا يقدر على شرائها.

لازدهار القراءة في أمة ما يتوجب :

- توفر المال للكاتب و القارىء ، ليتمكن هذا من طباعة ما يكتب و ليتمكن ذاك شراء تلك الكُتب.

- الاستقرار النفسي للكاتب والقارئ . للكاتب حتى يبدع و يتقن ما يكتبه و ليتوقد ذهنه فيستطيع العطاء ، أما القاريء فإن النفس أن أثقلتها الهموم فلا تتسع لغيرها من أمور ، وأن فقدت الحافز لعمل ما فأنها لا تنتهجه.

- وجود الساسة المخلصين للأمة والوطن ، وكذلك الساسة الواعين ثقافيا و علميا . الذين يكرسون كل جهودهم لنشر العلم والوعي بأمانة و أخلاص ، وأن يستخدموا كل السُبل الممكنة لأجل ذلك ، كالإعلام الذي لا يخفى على ذي لب ما يلعبه من دورا كبير لتخدير العقول أو أنارتها.

- الأمن و الاستقرار في الوطن ، وعدم وجود الخوف ، لأن حضور الخوف في النفوس يقتل الإبداع . عدم الخوف من الجوع أو من العدو أو من النظام .

- الدور المهم للأسرة ، فالوالدان المثقفان الواعيان ينتجان جيلا واعيا . أن وجود الانترنت ليس سببا لتراجع قيمة الكتاب لكن الأمر يكون لأسباب منها الحرية في النت مقارنة بالواقع ، كذلك للأسباب التي أوردناها سابقا . ذلك أن الإنسان يشعر بالألفة و الطمأنينة مع الكتاب الورقي أكثر من الكمبيوتر لأن الأخير مرهق للعين والجسد عكس الكتاب الورقي . لذا لا يمكن أبدا أن تتراجع مكانة الكتاب الورقي و أن حُجب عنّا.

بطبيعة الحال أعشق أمتي وأتمنى لها كل خير وأن تكون أفضل وأعظم الأمم دوما ، ولا أذكر تلك المقارنات والحجج لكي أوجد الأعذار على هذا الوضع ، لكني أجد من يبالغ في أكالة التهم على أمتي وكأنه لا يوجد أي شيء جميل بهذه الأمة ، وأن كل شيء فيها سيء سلفا حتى بدون النظر فيه.

وأخيرا...

مقالي هذا ليس لأنكر أن لدينا مشكلة ولكن لسببين الأول / عدم ترديد كلام الغير بدون بصيرة ، والثاني / لأؤكد أن العرب ليسوا من فصيلة عقلياتها ركيكة ، و أنما هي ظروف تؤثر . أنا لا أنكر وجود مشكلة في الموضوع ، لكن ما أنكره هو السطحية في تناول الموضوع التي ترضخ لفكر الأخر .

أرادة الشعب هي السلطة الحقيقية[1]

إذا الشّعْبُ يَوْمَاً أرَادَ الْحَيَـاةَ
فَلا بُدَّ أنْ يَسْتَجِيبَ القَدَر
أبي القاسم الشابيّ ، شاعر من تونس



قبل أن يقرر علماء الاجتماع وعلماء السياسة أن أرادة الشعوب هي السلطة الحقيقية في أي دولة . قررتْ شهادةُ التاريخ ذلك و أكدته . فعَبْر التاريخ الإنساني الطويل نجد أن الشعوب هي من تحسم الأمور و تعيد صياغة مسار القضايا و الأحداث .

أن ثورة الشعب التونسي على (زين العابدين بن علي) أبهرتْ الناس لأسباب كثيرة - رغم أننا نعلم مدى القهر والوضع الاقتصادي المتأزم في تونس - كنا نتوقع أن تندلع الثورة في (مصر أو العراق أو سوريا أو السودان) و ليس في تونس .

لماذا هذه الدول تحديدا ، فكل أقطار الوطن العربي تُعاني ؟

أجل كلها تُعاني لكن تختلف معاناتها وتتباين ، لكن هذه تحديدا أوضاعها ليست سيئة بل مزرية جدا ، و أركان الثورة تتوفر في هذه الدول بقوة ، لكن علماء الاجتماع

[1] - الجمعة، 21 يناير، 2011 .

يؤكدون في دراساتهم الكثيرة (أن توفر أسباب الثورة لدى شعب ما ليس بالضرورة مدعاة لاندلاع الثورة) ، ولهم على ذلك شواهد تاريخية كثيرة . و شخصيا كنت أتوقع أن يثور الشعب المصري وكنت أقول أنها مسألة وقت فقط ، وهي مسألة توفر الشرارة .

أن ثورات الشعوب - أعني الثورات العفوية - لا تكون أبدا ما لم تكون هناك أوضاع تستدعي خروج الشعب ضد حاكميه ، أن درجة الغليان الذي يحقق الانفجار الذي لا درء له إلا العدل و التنمية الحقيقية العادلة . والحال كما قال الشاعر :

ما كانت الحسناء تكشف سترها
لو كان بين الحاضرين رجالُ

الثورة جيدة ، وثورات الشعوب - كما أسلفنا - دائما هي من يحسم الكثير من القضايا العالقة أكثر مما قد تحسمها الحروب حتى .

لكن الثورة الشعبية عندما تكون عفوية - كما هو الحال في تونس - قد تتحول إلى (كارثة) ما لم يُقيض لها الله قائد مُخلصاً يَهُبُ لتوجيه مسارها لنحو تحقيق معه طموحات الشعب ، فالمغرضين كثيرين وأصحاب المصالح أكثر ، أولئك الذين يبيعون أوطانهم من أجل الدرهم و الدرهمين .

أن أرادة الشعوب أن اصطدمت بمصالح شخصية - لأفراد أو مصالح حزبية - كانت وبالا ودمارا على تلك الشعوب ، أن الأحزاب لا تقدم الكثير من الخير لإرادة الشعوب لأنها مجرد وجه أخر (لأطماع فردية تسلطية) ، هذا ما يثبته الواقع والتاريخ السياسي ، حتى وأن حاول البعض إنكار هذه الحقيقية .

أن الوعي السياسي لأي أمة والوعي الحقوقي وخاصة حقوق المواطنة لأفراد الشعب تجعله يسير نحو الازدهار بخطى ثابتة ، خطى راسخة لا تنهار مع تقادُم العهد عليها ، بل تجعل من بُنْيَانها أكثر جمالا و رونقاً و رسوخاً .

وأن أكثر ما يَستغلهُ (المتسلقون الطامعون) هو ضعف أو غياب الوعي السياسي والوعي الحقوقي للشعب ، وتوجيه فكر الشعب نحو اتجاهات يرغب بها أولئك المُنَصبين أنفسهم زعماء و ناطقين بلسان الشعوب .

هم أشرُّ من حاكم دكتاتوري أو متسلط ، لأن هذا الحاكم تكون أفعاله واضحة و الحكم عليها سهل ، بينما هؤلاء يكونون شر مكان في الأرض ، يعبثون بمقدرات الشعوب لأجل أهدافهم ، وينطقون بالحق لكنهم يريدون به باطلا . يعبثون في الخفاء

ويصطادون في الماء العكر ويشتتون فكر الشعب و بالتالي يُخدرون أرادته ، يصنعون من أنفسهم أبطالا ليُمجَدُوا وليُحْمَدُوا بما لم يَفْعَلُوا .

أن (المتحزبين) لا فرق بينهم وبين (القبليين) ، بل أن الأخيرة أفضل من بعض الوجوه فهم يُرَاعون بعض معاني الشهامة والمروءة ـ على الأقل ـ في حق أهلهم ، أما المتحزبين فهم أوثان أنفسهم ، يَعْبُدُونها ويُخضِعُون الناس لعبادتها من حيث يدرون ولا يدرون ، ولا تجد إلا أنهم مجرد وجه أخر من الدكتاتورية و لكن بلباس الحرية و الديمقراطية ليُخدروا أرادة الشعب .

أن نَتَج عن الثورة الشعبية التونسية سَن قوانين فاعله و عادلة تُنظم السلطة والحياة ، ونَتَج عنها بناء أُسُس دولة تمنح الشعب التونسي العدالة الاجتماعية والاقتصادية ، لتقودهم نحو العدالة والتنمية الحقيقية التي يكون أساسها الإنسان وليس مصالح أفراد وأهواء أمم أخرى يتحمل عبئها الشعب التونسي .

أن نتج عن الثورة ذلك حينئذ يمكن لأهل تونس أن يكونوا قريري العين لأن ثورتهم حينها ستكون ناجحة و أن من ماتوا في سبيل هذه الثورة ستهدأ أرواحهم لأن دمائهم لم تذهب هباءً كم ذهبت قبلهم دماء أجدادهم الثُوار ، الذين ثاروا ضد المستعمر الفرنسي الظالم والذي أعقبهُ حكم سلطان أشد ظلماً وتسلطا تدخل حتى في طريقة معاشرة الرجل لزوجته ، وما كاد ينزاح عنهم حتى أتى من هو اشد منه و أظلم ، والذي سلَّم تونس بكل ما فيها لزوجته لتهبها هي بدورها لأهلها . وهذا أمر يعلمه أهل تونس علما يقينيا .

وقد سعى هذان الاثنان ـ الحبيب بورقيبة و زين العابدين بن علي ـ على تعطيل كل ما يخص الإسلام ، كانوا أشد على أهل تونس من (كمال أتاتورك) على أهل تركيا . تونس أرض الصوفية و المتصوفة باتت في عهدهما تكاد تكون خالية من الإسلام وأصبحت فرنسية أكثر من فرنسا نفسها . فلله كيف هُدرتْ دماءُ الثُوار .

و أقول كما قال أدولف هتلر بعد هزيمة ألمانيا المُذِلة في الحرب العالمية الأولى ـ وكان رجل عاديا حينها ـ معبراً عن أساه : (تُرى أتُفتح أبواب قبور مئات الألوف من الرجال الذين لقوا حتفهم على الجبهة لتُرسل أشباحاً تنتقم لأرواحهم ؟!) .

أخيراً ..

أتمنى من كل قلبي أن يُقَيِّض الله لتونس الحبيبة قائداً مخلصاً واعياً وحكيما يجعل ثورة شعبها الطيب ثورة خير وسعادة وازدهار . كما أتمنى الشيء ذاته لمصر و لكل أمتي الحبيبة ، فأمتنا تستحق الأفضل .

وكما قال الشاعر التونسي أبو القاسم الشابيّ :

إذا الشّعْبُ يَوْمَاً أرَادَ الْحَيَـاةَ
فَلا بُدَّ أنْ يَسْتَجِيبَ القَـدَر

وَ لا بُـدَّ لِلَّيـْلِ أنْ يَنْجَلِــي
وَ لا بُدَّ للقَيْدِ أَنْ يَـنْكَسِـر

وَمَنْ لَمْ يُعَانِقهُ شَوْقُ الْحَيَـاةِ
تَبَخَّـرَ في جَوِّهَـا وَانْدَثَـر

الانقلابات العربية الجديدة[1]

" أنَّ مَنْ يعتقد أنَّ نجم الثورة قد أفَل ، فهو أما متساقط أو خائن أو جبان . فالثورة قوية كالفولاذ . مشتعلة كالجمر ، حامية كالسندان ، والطريق مظلم وحالك . أن لم تحترق أنت وأنا فمن سيضيء الطريق ؟"
تشي: أرنستو جيفارا ، ثائر عالمي من الأرجنتين



لقد شهدنا في الخمسينيات من القرن العشرين سلسلة من الانقلابات على النُظم الحاكمة في المنطقة العربية ، وحتى فترات قريبة كنا ومازلنا نرى هذه الانقلابات هنا وهناك ، مرة انقلابا أبيضا ومرة أخضر (تيمنا بلباس الجيش كما هو شائع) .

ونحن الآن نشهد انقلابات لكن من نوع جديد ، نوع قريب إلى قلوبنا لسبب بسيط وهو أن (أصله الشعب) و (وقوده أرادة الشعب) ، عكس الانقلابات البيضاء والخضراء والتي (تنطلق باسم الشعب) و (وقودها حب السلطة والتسلط) لشخوص تلك الانقلابات ، وكم قد أخذت الدنيا باسم الشعب المسكين والذي في النهاية يظهر أن لا ناقة له في منجزات الثورة ولا جمل ، إلا الفُتات طبعا لأن عُشاق السلطة لا يحبون الفتات وكما يقول المثل الشعبي في الخليج بالدارجة (لو فيه خير ما سلاه الطير) سلاه أي تَرَكَهُ ونَسِيّه .

أما لسان حال الشعب فكما وصف الخليفة العباسي نفسه في أواخر الحُكم العباسي والذي كان حُكْمُه اسميا فقط ، حين قال :

أليس من العجائب أنَّ مثلي
يرى ما قلَّ ممتنعاً عَلَيْهِ

و تُؤْخَذُ باسمه الدنيا جميعا
وما من ذاك شيءٌ في يديهِ

[1] - السبت، 29 يناير، 2011 .

هبت رياح التغيير من تونس فأنعشت قلوباً ملأ اليأس حناياها وجعلها تُسلم بأن هذا الواقع هو أمر قدر لا يمكن تغييره ، لكن النار المشتعلة في جسد (محمد بو عزيزي) أضاءت الطريق أمام الشعب العربي . وأحسب أن (محمد بو عزيزي) حين أضرم النار بجسده لم يكن يعلم أن نار جسده ستنير الطريق لإرادة الشعب ليس في تونس وحدها بل حتى في الأقطار العربية .

يقول تشي جيفارا : (أن لم تحترق أنت و أنا فمن سيضيء الطريق ؟) . لكن الشعب المصري أراد أن يكون الاحتراق ليس عبر الأجساد بل عبر أيقاد شموع الحرية ، لتنير لهم السبيل نحو دولة أكثر احتراما للمواطن فيها ، و أكثر عدلا ، وأن تكون تنميتها لأبنائها وليس لأجل شعب ودولة مفتعله مثل الكيان الصهيوني الهمجي . فكانت الثورة في مصر ، ولا أسميها يوم الغضب ، بل ثورة الكرامة .

ما المجد زُخرفُ أقوالٍ تطالعه
لا يُدركْ المجد إلا كُلّ فعّالِ

أجل ، خرجت الجماهير ـ في تونس والجزائر واليمن ومصر والبقية تأتي ـ تَهتف ضد الظلم والقهر والذُّل ، ضد الفاسدين والمفسدين والعابثين بموارد أمتهم وأرزاقها ، ضد أصنام السلطة وأزلامها ، ولسان حالهم يقول :

لقد مضينا فلم تضعف عزائمنا
عما نروم ولا خابت مساعينا

قوم إذا خاصموا كانوا فرعنة
يوما ، وأن حكموا كانوا موازينا

تدرعوا العقل جلبابا فإن حميت
نار الوغى خلتهم فيها مجانينا

أنّا لقومٌ أبتْ أخلاقنا شرفاً
أن نبتدي بالأذى من ليس يؤذينا

بيضٌ صنائعنا ، خُضرٌ مرابعنا
سودٌ وقائعنا ، حُمرٌ مواضينا

لا يظهر العجز منّا دون نيل مُنًى
ولو رأينا المنايا في أمانينا

أن ما ميّزَ ثورة (مصر) عن احتجاجات (الجزائر واليمن) هو أن الأولى قادتها وأبطالها الشعب وليس الأحزاب ، لذا هي من القلب ، وما كان نابعا من القلب فأن نبض الصدق والإخلاص يُغذيه ويُشعله ، وكلما أراد أحد أن يُطفِئُه أزداد إضاءة واتقادا ، وأزداد قوة و وهجاً.

و الجميل في ثورة مصر أيضا أن موعدها هو نفس يوم احتفال أكبر مؤسسه قمعية ، مؤسسة الظلم والبطش بعيدها وهي (مؤسسة الشرطة) .

أن من زار مصر يعلم كيف هي تلك المؤسسة المشوهة ، وأن أكثر ما يَأسف عليه المرء هو كون أفراد هذه المؤسسة جزء من الشعب للأسف ، لكنهم يتعاملون معه وكأنهم جاءوا من كوكب أخر لا يَمُتُ لهذا الشعب بصلة ، وطريقتهم لقمع المظاهرات تكفي لتفسير ما أقصده . فقد قتلوا الشعب لأجل مصالح فردية لضباط داخل الشرطة . ومنهم قصة المُدون (خالد سعيد) الذي قتلته شرطة الإسكندرية حين وثق بالدليل الساطع متاجرتهم بالمخدرات - و هي مؤسسة جنودها مجرد شحاذين ومرتشين وفاسدين وكم حقروا أفراد الشعب وتعاملوا معه كأنهم عبيد وليسوا مواطنين من واجب هذه المؤسسة خدمتهم وحمايتهم .

لكن ما أخشاه هو أن اللئام لن يتركوا للشعب الحر في مصر مجالا لتحقيق مطالبه ، ممثلين في الولايات المتحدة ، و أعني باللئام ثلاثة :

- أصحاب رؤوس الأموال في أمريكا (وجلهم من اليهود أو المسحيين المتشددين) .
- و الصهاينة (في أوروبا وفي أمريكا وفي الكيان الصهيوني) .
- و عَبَدة (الكراسي والسلطة) في السلطة المصرية وفي السلطات العربية .

أن هؤلاء مصلحتهم في مصر أكبر من تونس ومن الجزائر ، و أتفاق المصالح بينهم سيجعلهم يتكاتفون و يستميتون لتحقيق هدف بقاء عَرّاب الفساد العربي وعبد اليهود محمد حسني مبارك ، رأس النفاق والفساد . ليس لسواد عيني (مبارك) طبعا بل لأجل مصالحهم وأن لم يكن (مبارك) فعلى الأقل **سيأتون بنسخة مثله** .

لا يخفى على ذي لُب أن (خمس نقاط) في جسد الوطن العربي تُكوّن العصب الرئيس في قوة الأمة ، وأن الإمساك بها يعني السيطرة التامة عليها وشل حركة هذه الأمة ، ليمكن توجيهها وفق ما تبتغي طغمة اللئام تلك ، والنقاط التي أعنيها هي : (السعودية ، و العراق ، و مصر ، و السودان ، و المملكة المغربية) .

فهذه الدول الخمسة تعني (العصب الديني ، و الاقتصادي ، و السياسي ، و العسكري ، و الأمني ، و الجغرافي) ، وهي تشكل لجسد الأمة نفس ما يُشكله الأعضاء الرئيسة في الجسد البشري : (القلب ، و المخ ، و الرئتين) . أما باقي الدول فهي بمثابة باقي الأعضاء في الجسد ، أن السيطرة عليها يكون من أجل أبقاء إخضاع الأعضاء الرئيسة فقط ، وأن سقوطها لا يسبب بالغ الأذى ـ بالنسبة لطغة اللئام ـ كما يُشكله سقوط أحد الأعضاء الرئيسة . لأجل هذا طال (موت الأمة السريري) ، وربما الآن ـ وهذا ما نتمناه بصدق ـ سنشهد عودة الحياة من الرمق المتبقي فيها وهو الشعب ، لأنه روح الأمة ومادامت (الروح) بخير فالأمل لعودة الحياة للجسد يبقى موجودا .

يقول الصهيوني (بن إليعزر) للإذاعة العامة في الكيان الصهيوني : (سيكون للانقلابات في العالم العربي تأثيرا مباشرا على إسرائيل وقد تزيد الكراهية والعنف اتجاهها) . طبعا هذا في حال جاءت هذه الانقلابات بحكومة وطنية مخلصة شريفة ، وأنهم أشد ما يخافونه **هو صعود ما يسمونهم بالإسلاميين** لأنهم يعلمون أن هؤلاء لن يساوموا على كرامة الأمة .

لا يغرنَّ أحدكم خطابات الحكومة الأمريكية ، والتي تؤكد ـ للمتأمل والعارف ـ مدى استياء أمريكا من ثورة الشعب في مصر ، فهي لن تجد مثالا لـ (مبارك) ، والذي لم يكن مباركا على مصر أبدا . وكأن الحكومة الأمريكية لم تكن تعرف أن (نظام مبارك) نظام فاسد وقمعي وتسلطي وغبي أيضا .

لقد قيل : أنَّ الظُلم داء
فلا تأتمن أهل الرياءِ

يدعون شعب مصر لضبط النفس ونبذ العنف ، فليدخروا نصائحهم لهم ، هم أهل العنف الذي ليس في محلهِ ، فأمريكا ـ طول تاريخها منذ البدايات الأولى ـ كانت مثل العَلَق والقِراد ، نَمَتْ وكَبُرتْ وتربت على الدماء ، حتى عندما لم يكن أراقت الدماء ضرورة .

أننا لا نلوم أمريكا على بحثها على مصالحها ، ولا نلوم الصهاينة كذلك ، ونحن أيضا من حقنا كأمة أن نبحث عن مصالحنا ، وأن نتعامل مع من نريد وأن نمقت من لا نريد .

في لقاء لقناة الجزيرة مع سفير أمريكي سابق في مصر يقول أن أمريكا لا تحب التعامل مع الإسلاميين وأنها تفضل العلمانيين ، علمانيين بالقدر الذي يسمح للآخرين بالتعايش والعيش في بلد كمصر به مسيحيين مع مصر .

عندما كنت أسمعه كنت أتسأل :

إلـى أي حـد يُصـور غـرور الأمريكـان وتعـاليهم وأنـانيتهم إلـى أي حـد يـصـور لهـم أن الآخرين أغبياء ؟

ألم يقرؤوا تاريخ الأمة ، و تاريخ مصر ؟

لو كان المسلمون يحملون نفس تعصب الأوربيين الـذين دخلـوا أرض أمريكـا أول مـا دخلوها ، أترى نجد إلى يومنا هذا مسيحي على أرض (مصر) وغيرهـا مـن أقطـار الوطن العربي والإسلامي ؟

لو كنا متعصبين مثلهم ألن ينقرض أصحاب الديانات الأخرى فـي الأمـة كمـا أنقرض الهنـود الحُمـر فـي الولايـات المتحـدة أو كـادوا ينقرضـون ؟ أو كمـا أنقـرض الـسكان الأصليين في استراليا أو كادوا ينقرضون ؟ أليس كذلك ؟

أننا اليوم و بعد مرور أكثر مـن (ألـف وأربعمائـة) سـنة علـى وجـود الإسـلام لازلنـا نجد عددا لا ليس بالقليل من الصابئة واليهود والمسيحيين وحتى المجوس والبوذيين .

هل الـصـهاينة ـ فـي دولـة تـدعي نفسها (إسـرائيل) تقـوم علـى أسـاس دينـي بحـت ـ مسالمين ؟

إلا يقتلون العرب والمسلمين والمسحيين لأن دولتهم يهودية بحته ؟

لمـاذا لا تُطالـب أمريكـا (إسـرائيل المزعومـة) بوضـع دسـتور مكتـوب يحـدد هويتهـا السياسية ؟

لماذا لا تطالب أمريكا (إسرائيل المزعومة) بتبني نظام علماني بدل النظـام الـديني ؟ حتى يستطيع الآخرين العيش بسلام معهم ؟

كم هي غريبة فلسفة أصحاب المصالح الأنانية والمغرورين !!!!

يحـاولون تخويـف النـاس لتفـريقهم بطـرق شـتى مثـل محاولـة فـرض الجـيش لحـضر التجول وتهديد الذي لا يتقيد به ، و محاولـة إشـاعة أن ـ مـا يـسمونهم ـ الإسـلاميين هـم مـن نظـم هـذه الثـورة وأن المـسيحيين غيـر مـشتركين بهـا وذلـك لتـشويش علـى النـاس وتخويفهم ، وهذه طبعا غيـر صـحيح فكـل أهـل مـصـر نزلـوا للـشوارع لـم يطلـب مـنهم

أحد النزول وهم لا يمثلون غير أرادة الشعب فقط ، فيهم المسيحي والمسلم ، الصغير والكبير ، المثقف و الأمي .

يقول المفكر الدكتور (محمد عمارة) أن سبب عدم تدخل الأزهر ولو بالتصريح فيما يخص ثورة أهل مصر ، أنما يرجع إلى أن سياسات الأزهر تقتضي عدم التدخل في السياسات الداخلية للدولة ، ولكنها تتدخل في القضايا الإسلامية لأنه دورها .

لست أدري ما كان مقصد الدكتور (عمارة) وهو مفكر له مكانته في نفوسنا كشباب في هذه الأمة ، هل كان تبريرا أم تذكير فقط ؟

فإن كان تبريرا من باب الدفاع عن عدم مشاركة الأزهر ، فهذا غير مقبول بتاتا ، فالأولى لمؤسسه دينية بمثل الأزهر أن لا تقف على الحياد في مثل هذه الظروف تحديدا ، والأولى بها النظر في أحوال البلد بدل التفلسف في أحوال الأبعدين ، وهذا أقرب للمنطق ، وإلا لما أوصى الله نبيه قائل : { وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ }[1]

وكما يقول الداعية الأمريكي المسلم حمزة يوسف : " أن الحياد في المسائل الأخلاقية يعتبر خيانة " وإلا فلما صمتهم طوال تلك المدة على ظلمه وتجبره وفساده ، و " الساكت عن الحق شيطان أخرس " ، فما بالك أن كان هذا الساكت بمنزلة مثل منزلة الأزهر و الكنيسة .

لكن لا يمكن لشيخ الأزهر ولا للكنيسة أن يتحدثا ، لأنهما مجرد مؤسستان تابعتان لحزب مبارك ـ وأن ظهر أمام العيان غير ذلك ـ لأنهما أن انحازا في صف الجماهير لن يكونوا سوى متسلقين يبحثون عن المكاسب و يلوذان إلى صف المنتصر ، وأن تحدثا في صف مبارك فأنهما يشوهون صورتهم بأقبح مما هي عليه أصلا .

أجل ، أننا نحزن بالغ الحزن لمن قضوا في هذه الثورة ، لكنها الثورة هكذا ، لابد لكل ثورة من شهداء ليعلوا مجدها ، ولو خُيِّر أهل مصر وأهل تونس وكل الشعوب المظلومة لما اختاروا أراقت الدماء ، و لاختاروا العدالة والحرية والكرامة والازدهار . لكن أمام جحافل الظلم لا خيار إلا ببذل الدماء

هجرته و أنا أدرى بعلتهِ
لابد في العضو ـ إن يفسد ـ من البترِ

[1] ـ الشعراء214

ونسأل الله العظيم ربَّ العرش العظيم أن يتقبلهم شهداء عنده لأنهم ثاروا ضد الظلم ، اللهم آمين .

مما لا نشك فيه أن مبارك وأزلامه في اتصال تام مع (طغمة اللئام) وسيستميتون جميعا لإخماد الثورة ، وهذا ما نشهده الآن من قطع الاتصالات والانترنت ، واستخدام الرصاص ، وغيره من أساليب سنشهدها في الأيام القادمة .

وأكبر حيلة هي زج (الجيش المصري) في خط المواجهة ، أهل مصر فرحوا وهللوا ترحيبا بالجيش ، لكن ماذا سيكون دور الجيش في مثل هذا الموقف الحساس جدا ؟

هل سيترك للثُوار السير اتجاه القصر الجمهوري ؟

أم هل سيفجر رؤوس الثوار بدباباته المدرعة دهسا أو بإطلاق القذائف ؟

في اعتقادي لو كان الجيش وطنيا بصدق ـ وأقصد الآن ودعنا من التاريخ فللتاريخ أبطاله ـ لرفض الدخول في هذه المواجهة ، لأنه سيكون فيها بين نارين . وأن أفراد الجيش هم من صميم الشعب لذا هم يعلمون أن (مبارك) ظالم فاسد و سارق ، وأن ثورة الشعب ليست تمردا ولا خيانة ، وإنما حق مشروع .

ليت الجيش و قيادته ـ تحديدا لأن المسؤولية تقع على عاتقها أولا و أخيرا ـ اكتفى بحماية المتاحف و الممتلكات العامة للدولة ، لأن أهل مصر يرفضون الشرطة جملة وتفصيلاً ، ولا يحق لأحد أن يلومهم أبدا على هذا الكره والحقد . ورأيناهم ما فعلوا حتى بالشرطة العسكرية .

قال أفراد الجيش للثوار عند أول لحظات انتشار الجيش في الساحات قالوا : جئنا لكي نحميكم .

تحمونهم مِنْ مَنْ ؟ وكيف ؟ وأنتم جئتم بأمر من عدو هؤلاء الثوار .

تحمونهم مِنْ مَنْ ؟ وكيف ؟ وأنتم تتفرجون عليهم والأمن يفرغ فيهم رصاصاته القاتلة وأنتم تقفون متفرجين لا تبتون ببنت شفه . ولا تتحرك فيكم النخوة .

تحمونهم مِنْ مَنْ ؟ وكيف ؟ وأنتم تسدون الطريق علي الثُوار بمدرعاتكم لتمنعونهم من إسقاط الخائن الفاسد .
تحمونهم مِنْ مَنْ ؟ وكيف ؟ وقائد الجيش منذ أول يوم للثورة وهو في الولايات المتحدة مع أكثر من عشرين فردا من أفراد قيادة الجيش يأخذون الأوامر من العدو .

هذا ليس جيش مصر ، أنما هو جيش (محمد حسني مبارك) وحزبه . لو كان جيش مصر لمضى مع الشعب ليُطيح برأس الفساد أو على أضعف الأيمان بقى على الحياد لا مع هؤلاء ولا مع هؤلاء .

يلهث البعض ـ بعد أن تأكد من صدق عزم أهل مصر في الثأر للكرامة والعزة ـ يلهثون للحصول على مغانم و نصيب من المجد ، وهذا ما نراه من أمثال البرادعي الذي جاء على مهل ليأخذ دور الزعامة وما رأيناه من بعض المتحزبين.

حين لم نرى أي تصريح رسمي مصري قلنا : ربما خشي هؤلاء أن يصبحوا أضحوكة كما حصل لزين العابدين بن علي وخطابهُ المثير للشفقة . وهم أصلا لا يملكوا ما يقولونه .

لكننا فوجئنا بمبارك يظهر ليقول نفس ما قاله بن علي ، ألآن أستيقظ من غيبوبته وفهم مطالب الشعب ؟ الآن فقط علم المسكين أن شعبه يقاسي ويعاني ، وأن أتباعه هم محض لصوص مثله وفاسدون مثله ؟ كم هم ـ هؤلاء الحُكام ـ مثيرون للشفقة .

ألا يعلم أنه ممقوت ؟

أليس لديه ذرة كرامة ؟

بدل استخدام السلاح ضد شعبه وبدل أن ينعتهم بالمخربين والمتمردين ، وهو يعلم أنه ـ بعزة الله ـ وقوته ظاهرين عليه ، كان جديرا به على الأقل أن يفعل ولو شيء واحد ينم عن أنه إنسان يملك ذرة كرامة ويقدم استقالته ويخرج من مصر احتراما لشعبه . أو احتراما لنفسه على أقل تقدير .

لقد سمعنا بعض الشائعات تقول باحتمال أن تكون (سلطنة عُمان) هي المكان الذي سيتم استقبال حسني مبارك فيه كلاجئ سياسي . لكننا هنا في السلطنة لا نقبل به ، فأرض عُمان الطاهرة لا يسعها تحمل دنس ونجاسة مثل هذا الرجل الذي ـ أعتقد ـ أن الشيطان نفسه يتبرأ من أعماله المشينة .

فليذهب لليهود ـ أسياده ـ ليحتمي بهم وليلجئ عندهم ، فقد كان طوال فترة حُكمه المقيت (الحضي لديهم) .

نحن لا نخاف على الثُوار من خِدَع السلطة القديمة ، لأنهم أكثر وعيا و ذكاءً منها ، **لكننا نخاف عليهم من الخونة والمرتزقة** ، ونخاف أن تلجئ السلطة المنبوذة ـ في محاولاتها اليائسة للبقاء ـ إلى استخدام الاغتيالات وتصفية الزعامات والشخصيات

الوطنيـة . نـسأل الله لهـم ولأهـل مـصر الـسلامة مـنهم ، وأن يـرد كيـد الكائـدين فـي نحورهم وأن يدحر اللئام .

وأخيرا ..

أن في القلب الكثير مما تغص به الصدور ونحن نرى ما نراه لكن القلم لا يُسْعِف المَصْدُور ، ونعزي أنفسنا و نؤملها بأنه كما يقول الهَمَدانيّ : (أن بعد الكدر صفوا ، وبعد المطر صحوا)

لا نملك لإخواننا في الأقطار الأخرى سوى الصلاة والدعاء ـ وذلك أضعف الإيمان ـ بأن يحفظهم الله وأن يسدد خُطاهم ، وأن يسدد رميتهم ، وأن يمدهم بمدد منه ليطهر أرضهم من الأنجاس ، وأن يلقي الرُّعبَ والخوف في قلب مبارك ومن شاكلهُ في أقطار الأمة العربية ، اللهم أنصرهم نصرا عزيزا .

أمة كثرة فيها العِبر و لا من معتبر[1]

" الذين يرفضون الاعتبار من الحدث، ومن ثم يرفضون تسلم رسائله، هم أنفسهم الذين ما برحوا يروجون للزعم القائل بأن تونس حالة خاصة ليس لها مثيل في العالم العربي، ليطمئنوا أنفسهم على مصيرهم ، وإن ادعوا أنهم يطمئنون الناس والنظام ... ولاحظت أن كتابات الصُحُف القومية في مصر هي الوحيدة التي تتبناه وتروج له ، في حين أن الإعلام الخارجي يعتبر أن التشابه مع مصر بالذات أمر مفروغ منه ومسلّم به "

فهمي هويدي ، كاتب وصحفي ومفكر إسلامي من مصر

في تساؤل طرحته في تساؤل طرحته المدّونة المغربية (لطيفة شكري) في مدونتها قالت : " هل أخذ الحُكام العبرة من هذه التدهورات الأمنية داخل البلاد ؟ "

هذا تساؤل مشروع لكل مواطن عربي حريص على بلاده وأمته ، كل مواطن حُلمه أن يعيش بسعادة وازدهار واستقرار على تراب وطنه ، أجبتُ على تساؤلها ذاك بـ (لا ، ولن يتخذوه أبدا ، لأن البشر من طبعهم عدم الاعتبار ، وإلا فما أكثر العِبر وما أقل الاعتبار) .

ما جرى في الأمة خلال الشهرين الماضيين وما زال يجري يبعث برسائل قوية ليس للحُكام فقط و أنما حتى للشعوب ، لكن رسائلها للحُكام أقوى { فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ }[2]

لقد ضاق الناس ذرعا بهم ، ويأسوا من أمكانية فهم هؤلاء الحُكام لمطالبهم في أقامة العدل ، وتحقيق العدل الاجتماعي و سيادة القانون بشكل حقيقي وتكافئ الفرص وتحقيق تنمية حقيقية هدفها المواطن .
يقول فهمي هويدي : (حين تمعن الأنظمة السلطوية في إحكام الانسداد السياسي وتغلق أفق المستقبل في وجوه الجميع ، فإن لغة الشارع وخروج الجماهير

---

[1] - الخميس، 3 فبراير، 2011 .
[2] - النحل34

إليه تصبح الخيار الوحيد أمام الضائقين بالاستبداد ، والراغبين في تخليص المجتمع من براثنه) .

لكن بدل من أن نرى تغييراً يقي الأمة الصدام ويحقن الدماء ويسد الباب على الفتن ، نجد الحُكام متمسكين بتخلفهم ، وأن غيّروا شيء لا يكون إلا تغيير خجول لا يرقى لطموح الشعب ، وأغلبه كلام لا واقع له . تغيير الهدف منه تخدير العقول و المراوغة أكثر منه الإصلاح والصلاح .

لم يتعلموا ولن يتعلمون أنه عندما تكون في موضع القوة فلا تغتر بقوتك ، بل تخيل حين ينقلب حالك وتصبح أنت الضعيف كيف ستكون ، لأن الشيطان يزين لهم سوء أعمالهم ويغريهم بطول الأمل و بالأمنيات ، فيظنوا أنه لن ينقلب حالهم .

وعادة القوى المتجبر أنْ صار في محل ضعف يعلم شعور المتجبر ، لأنه كان مكانه يوما فيصاب بحالة نفسية عجيبة جراء ذلك . فحالهم كما قال تعالى : (لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ)[1]

فتجده يحاول بشتى الطرق عدم فقد منزلته القوية ولو استخدم أساليب غبية ومفضوحة و بكل وضوح ، وهانحن نرى محاولات التفاف مبارك وأزلامه على الثورة بطرق شتى ، كاستخدام العنف ضد المتظاهرين السلميين والتعتيم الإعلامي - مؤخرا - بالاعتداء على الإعلاميين التابعين لقنوات غير مصرية بلغ الأمر للوصول للفنادق للبحث عن إعلاميين لترويعهم والاعتداء عليهم ، و لن يكون آخرها بث مجموعة بلطجية و فتوات - من أزلام مبارك الصغار مع أفراد من بسطاء المجتمع الذين تم شحن مشاعرهم و تجيشها بالأكاذيب وتزيف المعلومات - في الشارع يدَّعُون تأييدهم لمبارك .

وانظروا الفرق بين فئة تَجَمَعَ فيها أكبر المفكرين والعلماء المشهود لهم عالمياً وعُرف عنها إخلاصهم و وطنيتهم ومعهم صفوةُ المجتمع المخلصين من طبقة المثقفين والعلماء والمفكرين والفنانين ، ومن المخلصين الشرفاء ، تظاهرت هذه الفئة مدة أسبوع و لم ينتج عنها إلا تظاهرة حضارية حاول البعض أن يدس خلالها ، إلا أن الشباب الواعي تصدى لها ببراعة وتم القبض على المشاغبين وتم تسليمه للجيش حيث أكتشف أنهم ضباط من الشرطة والأمن .

كانوا مثالا رائعا في الإخلاص للمبدأ الذي خرجوا لأجله وفي سرعة أيجاد الحلول للأزمات التي حاولت القوة السلطوية توريطهم فيها - مرة بسحب الشرطة ومرة بإثارة النهب والحرق والشغب وغيرها - فنجحوا ببراعتهم وسرعة بديهتهم و وعيهم في أعطاء مثالا جميلا بل رائعاً يبعثُ على الفخر ، وبين فئة ليست إلا

[1] - البقرة 275

مجموعة بلطجية و فتوات وأميين تم التغرير بهم بالأكاذيب وغيره ، في أول يوم تظاهر لها خرجت تضرب وتكسر ، و تحاصر الثوار في ميدان التحرير تمنع عنهم الأكل وغيره . وهذه نتيجة طبيعية لمؤيدين لشخص مثل مبارك يقول أهل المغرب : " الحاجة اللي ما تشبه مولاها حرام ".

يقول أبو منصور الثعالبي : " وقد صدق من قال : إن الناس على دين ملوكهم والسلطان سوق يجلب إليها ما ينفق فيها ".

والأدهى و الأكثر شرا هو استخدام الجيش . جيشٌ ـ طالما أحبه الناس ـ يقف متفرجا ، أولا : حين كان الأمن يقتل الناس وقف متفرجا ، واليوم حين أتى بلطجية الرئيس وقف متفرجا ، معتذرا بأنه لا يمكن للجيش الوقوف مع أحد ضد أحد . فعلا ، و نحن معه في عدم وجوب انحيازهِ لأحد ، لكن كان بإمكانه الحيلولة دون اشتباك الفريقين بمنع المؤيدين (كما يزعمون) من الوصول إلى أماكن تواجد المعارضين (كما يحب البعض تسميتهم) في ميدان التحرير . لكنها حيلة الطغمة الفاسدة للالتفاف و الانقلاب على الثورة ، ولإظهار الثُّوار بمظهر المخربين . سحقا لهم ولمبرراتهم وأعذارهم التي يسوغونها كيفما شاءوا .

جيشٌ صار الأعلام الأمريكي ـ بإيعاز من الحكومة الأمريكية ـ يُظهر قائد أركانه على أنه الرجل الأنسب ليحل محل مبارك ، رجل قضى أغلب الفترة الأولى من عمر الثورة الشبابية في البنتاجون الأمريكي في دورة تهيئه لتولي منصبه الجديد المرتقب . يقول المفكر الإسلامي فهمي هويدي (أن أجهزة الأمن حين تتوحد مع النظام المستبد وتصبح سوطه وسجانه ويده الباطشة ، تتحول من مؤسسة تحرس المجتمع وتسهر على أمنه إلى مؤسسة تسحق المجتمع وتعاديه) .

وكذلك مازال هذا الرجل وأزلامه يتحدثون عن حوار .
حوار مع من ؟ وعن ماذا ؟

مع رجل أسقط شعبه شرعيته ؟ أم مع نائب رئيس فاقد شرعيته قبل أن يبدأ منصبه لأنه تم تعينه من قبل رجل فاقد الشرعية أصلا ؟ غريب أمرهم .

لماذا أرسل بلطجيته في هذه الفترة ؟

ببساطة لأن الأمن عجز أن يشتت الثوار وأن يثني بالعنف عزائمهم ، حتى حُرمةُ الله لم يرعوها فصاروا يصوبون على المصلين خراطيم المياه الساخنة والغازات المسيلة للدموع والتي يسبب غازها الاختناق أن أستنشقه الإنسان بكمية كبيرة ، وحين بالغ في العنف و ندد بهم العالم ـ الذي ندد مضطراً طبعا لأن صمته صار محرجاً ـ كان لابد من حل بديل فأطلق أولئك البطجية ـ كالكلاب المسعورة ـ

علـى الثـوار يـضربونهم ويـسبونهم ويتهمـونهم بالخيانـة والعمالـة بـلا دليـل ولا بينـة ، بينما يؤيدون رئيسا سامهم من الظلم والذل والفساد والعمالـة درجة لا تخفى لا على القاصي ولا على الداني . و ببلطجيته أولئك ـ الذين خرجوا كجزء من الشعب مؤيد للخـائن الفاسـد ـ سيكون عـذر الحكومـة (القبـيح طبعـا) أنهـم مـن الـشعب وليـسوا محسوبين عليها لذا لا يحق لها أن توقفهم .

يقول المفكر الإسلامي فهمي هويدي في معرض استعراضه للعبر المأخوذة من ما حدث في تونس : (أن احتكار السلطة حين يتحول إلى هدف في حد ذاته ، فإنه يدفع المستبد إلى القبول بالتلون والتقلب بين مختلف المبادئ والاتجاهات ، طالما كفل له ذلك أن يبقى في موقعه)

أن الشدائد تُظهر معادن الرجال ، وبسبب ثورة الكرامة أصبح المستبدون (يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ)[1] . وهاهم المستبدين المتسلطين يعيثون فسادا واستبداد وينهبون أموال الدولة ، وحين تدور عليهم الدوائر يتلونون كالحرباء ويتمسكنون ويخضعون كل ذلك ليبقوا في مراكزهم ، يظهرون أمام العَيان كم هم جبناء و سفهاء . وهم كما وصف عِمْرَانَ بن حِطان يوما أحد الولاة وقال :

أسدٌ عليَّ وفي الحروب نعامةٌ
ربداء تجفل من صفير الصافرِ

- الولايات المتحدة وأتباعها الصهاينة والرأسماليين يخشون صعود الإسلاميين أن تُرك الأمر للشعب ، لأنهم يعلمون أن ذلك سيكون خيار الشعب لذا هم يحاولون بكل جهدهم عدم أعطاء الفرصة للشعب لقول كلمته ، وهذا تناقض واضح .

أمريكا مازالت تحاول الاستخفاف بعقول الجماهير العربية ، ما زالت تستخدم نفس تلك الشعارات والكلمات الرنانة ، وهي لا تستخف بها إلا أصحاب العقول السفيهة ، لقد أصبح وجهها القبيح مفضوحا أمام نطاق واسع من شباب هذه الأمة ، ما عاد يخفى على أحد ما تستخدمه من أساليب التشويش والدسائس لتبلغ مأربها من مص ثروات الشعوب وأيضا لحماية مدللتها (سوسو) كما يسميها أخٌ لي ، ويعني بها الكيان الصهيوني .

- أن اليهود لا يسعفون الخائن ، وهذا ما يشهده تاريخهم الحديث والقديم . فاليهود يتبرؤون من الخونة الذين أعانوهم كما يتبرأ الشيطان من أهل النار { وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لاَ غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ

[1] - المنافقون 4

النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ إِنِّيَ أَخَافُ اللّهَ وَاللّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ }[1]

فمن خان أمته من السهل عليه أن يخون الأمم الأخرى ، والصهاينة والغربيين يستغنون عن الذي مدَّ لهم يدهُ وخان قومه حين يسقط ، لأنه في نظرهم كالعاهر ـ أكرمكم الله ـ التي باعت عِرضها لقاء بعض دُريهمات ، لذا فأجرها مدفوعٌ سلفاً ، وهم غير مسئولين عما قد يحدث لاحقا ، و أن من باع أرضه كمن باع عِرضِه ، والتاريخ خير شاهد ، و ليس (أنطوان لحد) عنَّا ببعيد .

هذا بالضبط ما حدث لـ (زين العابدين بن علي) ، وهذا ما نرى بوادره الآن لـ (مبارك) ، فهاهم يطالبون الجيش بالضغط على مبارك ليتنحى عن السلطة ، في بادرة كان الكثير من الإعلاميين و المفكرين والمراقبين والمدونين قد تحدثوا عنها كورقة سوف تلجأ لها أمريكا لحفظ مصالحها ليذهب ـ مقابلها ـ مبارك ككبش فداء .

اليهود أطلقوا مخاوفهم صراحة ولم يأبهوا أن تصريحهم سيحرج مبارك فوق موقفه المتأزم أمام شعبه . هكذا هم اليهود بالطبع ـ أهل الشقاق والنفاق ومساوئ الأخلاق وأهل خيانة وغدر ـ و ليس بخفي أن الشعب العربي يعلم مدى خيانة حُكامه لكن كان حريا بهم ـ أعني اليهود الصهاينةُ ـ من باب الالتزام بالواجب الأخلاقي ألا يصرحوا علانا ، لأنها شهادة صريحة بتهمه من التهم التي بسببها طالب الشعب بنزوله من سدة الحكم وهي العمالة لهم .

يقول البعض أن أمتنا مثل اليتيم وحيدا يتعاون عليه الداخل والخارج ، وأقول : لا ، لأن أمةً فيها شباب مخلص واعي ـ مثالا لهم شباب تونس ومصر ـ لم ولن تكون يتيمة أبدا وأن تكالب عليها الأعداء والخونة .

- هذا هو حال الحُكام المستبدين ، يرى الكثيرون أن مبارك الآن يسعى أن يخرج بكرامة وليس خروج ذليلا من السلطة ، لأنه ـ كما يرى ـ قدم الكثير لمصر وأنه من هذا الشعب .

يريد أن يخرج بكرامته ونسى أنه أنتهك من كرامة شعبه وأمته الكثير ، أن كان يظن أنه ذا فضل على الدولة ، **فغبي من يظن أن ما يفعله من أجل الوطن يجب أن يأخذ مقابل له ، أو من يظن أن قيامهُ بواجبه فضل منهُ و منَّة على الوطن ، لأن ذلك واجب هو ملزومٌ به بحكم أنه مواطن** ، وبحكم موقعه كموظف في هذه الدولة يجب عليه القيام بواجبه ومسؤولياته ، فهو أيضا لا يعمل مجانا ، بل يتقاضى عليه أجراً ليس بالبسيط ، هذا عدا المميزات المالية و الوجاهة التي يمنحها له ذلك المركز.

[1] ـ الأنفال 48

يقول مبارك أنه سيطلق الحقوق والحرية ، ها هو منع قناة الجزيرة وأخرجها من مصر ، نحن لا ننكر مدى انحياز (الجزيرة) وحماسها المفرط مع الثوار ، لكن الديمقراطية ـ المزعومة ـ تقتضي أن لا تتخلص من الأخر أن كان يُخالفك ، بل أن تتعامل معه بالدلائل والحجج وأساليب حضارية أخرى . لكن الكبت والقمع عادة تسري في دماء هؤلاء المستبدين ، فالسجن والبلطجة والقتل والاغتيالات هي وسيلتهم الأزلية .

• أولئك الذين أعماهم قصر بصيرتهم وأمنوا بقول الإعلام الرسمي فلم يمدوا بصرهم ليروا تبذير الحكومة لأموال وموارد الأمة ، ولم يروا مدى غياب القانون والعدالة الاجتماعية ، وإهمال الحكومة في أداء واجبها ، و الهالة العظيمة التي يرسمها الأعلام ـ الكاذب ـ حول الحُكام حتى كادت أن تجعل الحاكم (إله) يُعبد من دون الله . وتزيف الوعي وتميع الأخلاق ونشر الفساد وتهكم بالدين .

• هل يتعلم الحكام الدرس من تونس ؟

بالتأكيد لن يتعلموا ، أنما سيتعلمونه فقط في كيفية منع خروج الشعب وليس في كيفية امتصاص غضبه .

يقول فهمي هويدي وهو مفكر إسلامي وشخصية معتبرة ليس في مصر وحدها بكل في كل الوطن العربي : (وحين سألني أحد المراسلين الأميركيين عن أوجه الشبه بين مصر وتونس والجزائر . قلت إن بينها أربعة قواسم مشتركة على الأقل هي: استمرار احتكار السلطة ، وانتشار الفساد ، والتغريب وفقدان الهوية ، والدوران في فلك السياسة الأميركية . وهي أمور يطول فيها الحديث ويضيق بها المكان) .

أعي جيدا مخاوف البعض من المستقبل ، ومن التدهور الذي قد يحل إذا ما انفرط العقد ، لذا تجده من فرط ما هجم عليه الخوف والتبلبل تجده يُطلق الكلام جوادا جامحا بلا لجام . لكن ـ صدقوني ـ لم يكون ولن يكون الحاكم الفاسد هو سفينة نوح للشعب والوطن . لكنني لا ألوم المتخوفين المترددين فالليل حالك والعجاج قاتم و البصيرة خدرها الخوف . يقول بن جونسون : " أكبر جحيم أن يكون المرء سجينا للخوف " .

أن تدبيرَ الإله عجيب[1]

"أهوى الحياة كريمة لا قيد ، لا

إرهاب ، لا استخفاف بالإنسان

فإذا سقطتُ سقطتُ أحمل عزتي

يغلي دم الأحرار في شرياني"

هاشم الرفاعي . شاعر من مصر .



سبحان الله كيف يدبر الأمور فلا يقوى البشر على تغير شيء ، وكيف يهيئ للأمور لتصير واقعا دون أن يشعر الإنسان ، أن نجاح الثورة المصرية (ثورة الكرامة) حق لأهل (تونس) أن يفخروا بنجاحها ، فبعزمهم شتتوا سطوة الطغيان ، وكشفوا عن جبن وضعف الطغاة ، فقتلوا الخوف في قلوب جماهير الأمة ، فحق لكم يا أهل تونس بأن تحتفلوا بهذا النصر وأن تفخروا ، فأنتم من أشعل فتيله من حيث تدرون ولا تدرون ، وحق لنا في هذه الأمة أن نسعد به أيضا .

---

[1] - السبت، 12 فبراير، 2011

كنا نحبس الأنفاس ونرسل الدعاء لله عز وجل فهو ملك الملوك وهو فوقهم والقادر عليهم ، وبيده كل أمر ، وكنا نوقن أنه عز وجل لن يخذلنا ، فحاشاه سبحانه أن يرد أكفنا من سنِّي فضله فارغة ، وحاشاه أن تضيع دماء من قُتلوا ظلما هدرا ، فيقال : (أن الله يساعد من يساعدون أنفسهم) وهذا ما كان ، وأنني في هذا الموقف اليوم لا أخفي سعادتي الغامرة .

أنها أمتي أفلا يحق لي أن أسعد ؟ بل أن أنتشي فرحاً .

سجدتُ لله شكرا أنْ استجاب لدعائنا له بأن ينزاح الظلم عن مصر ـ وبعزته تعالى ـ سينزاح عن باقي أمتي ، بالأمس كنت أتابع خطاب مبارك ، خطاب لا يوصف إلا استخفاف بالعقول ـ بالرغم من محاولات التجميل التي حاول أن يقوم بها البعض لذلك الخطاب ـ . ما كان لنا ألا أن نرفع أكف الدعاء في جوف الليل ضارعين لله عز وجل بقوته وسلطانه المكين أن يهز عرش ذلك الطاغية ، فسبحانك يا ذا المجد سبحانك .

اليوم أكتب مقالي في توجه غير معتاد ، فمنذ أن أنشئت مدونتي هذه كان هدفي أن يكون هدفها توعوي وخاصة في المجال السياسي والاجتماعي ـ و والله ما أردت من ذلك جزاء ولا شكورا ولا شهرة ولا مجدا ، بل واجب رأيت أنه ابسط ما يمكن لمثلي أن يقدمه لأمته ، ولأيماني الراسخ أن المعرفة ـ فالعلم شيء والمعرفة شيء آخر ـ هو سبيل لأمةٍ كريمةٍ ذات أركان ثابتة .

وكنت كلما تأملتُ حولي أحوال أمتي أصابني جزع ويأس فأعزم أن لا أكتب ، ويزين لي الشيطان أن لا فائدة مما تكتب ولا فائدة من القلم ، ثم تستثيرني المواقف فلا أجد إلا قلماً أخط به . لكن حالي كما قال الشاعر :

قيثارتي مُلِئَتْ بأنَّاتِ الجَوُى
لابدَ للمكبوت من فيضان

حين انزاح ذلك الكابوس لا أنكر إني من فرط سعادتي سجدة شكرا لله ، حامدا إياه على فضله ـ سبحانه ـ وعلى عدله ، وهاأنا أسطر سطور مقالتي هذه ليس لأذكر هذه الأمور ـ التي هي واجب وأحوال بديهية لمن يحب وطنه ـ ولكن لأشارككم أمرين :

الأول / عبرة عجيبة نغفل عنها نحن البشر ، فورب الناس طالما استوقفني عجيب تدبير الله ، والله والله أيمانا مغلظة أنه لأعظم ، وأنه أمجد مما يتصوره عقل بشر ، ولكن أنما نحن بشر ، والنسيان طبعنا الأزلي :

وما سُمِّيَ الإنسانُ إلا لنَسْيه
و ما القلبُ إلا لأنه يتقلبُ

لكن نسيان البشر سيئ وليس ايجابي في أغلبه ، لأننا ننسى الحسنات ونتذكر السيئات مهما طال عليها الأمد ، لذا دوما نغفل عن عظمة الله ، وننسى فضله وننسى العبرة بعد أن تَمُرَ العبر ، و هذا مغزى ما عناه الشاعر بقوله :

نُراع إذا الجَنَائِز قابلتنا
و يُحزِنُنَا بُكَاءُ البَاكِياتِ

كروعةِ ثُلَّةٍ لمَغَارِ سَبْعٍ
فلما غَاب عَادتْ رَاتِعَاتِ

العبرة في هذه الموجة التي تجتاح الأمة (موجة الكرامة) ، نرى كيف أن الله حين أراد أن يزلزل عُرُوش الطغيان استجابة لدعاء المظلومين من أبناء هذه الأمة كيف أنه عز وجل دبر الأمر من حيث لا يدري الطغاة { وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ }[1] . فما أتتهم إلا بغتة { فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ }[2]

أنظروا كيف أذلهم الله بأضعف خلقه - سبحانه - زلزل عُروشهم بشعوبهم التي أذلوها ونشروا فيها الجهل والأمية والفقر والتضليل ليضمنوا كراسيهم ، ورغم ذلك قام نفس هذا الشعب المقهور المغلوب على أمره لإخراجهم صاغرين . { فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ }[3]

لا تحقرنَّ صغير في معاملةٍ
أنَّ البعُوضة أدمتْ مقلة الأسدِ

المتأمل للأحداث يرى كيف - فجأة - أنقلب الحال في تونس من رجل بسيط ، لم يُسقط طاغية تونس بل حتى مصر ، من كان يتوقع أن يكون الإعصار الذي يقتلع حسني مبارك سيهب من تونس ، سبحان الله ، وسبحان الله كيف هبَّ الناس من المحيط

[1] - آل عمران54
[2] - الأعراف95
[3] - النحل34

للخليج مهلليل فرحين مستبشرين بما حدث في تونس متفائلين بأنه بداية خير ، كيف استشعروا ذلك ؟ بل كيف أيقنوه ؟! .

رغم أن سكان القاهرة وحدهم عشرون مليون إلا أن ثلاثة ملايين كانوا بشجاعتهم وعزمهم و وعيهم قادرين على هزيمة الظلم والفساد ، وكم من جالس في بيته وقلبه مع الثوار لكنه لم يكن بشجاعتهم وجرأتهم على الباطل ، رغم أن النظام الفاسد حاول أن يروج إلى أن الصامتين ـ صمت أهل القبور ـ هم مؤيدين لمبارك لذا لم يخرجوا مع الثائرين . ولكن تلك القلة كانت خيرا كثيرا .

أما الأمر الثاني / فهي الخشية مما سيكون (بعد رحيل) الطاغية و طغمة الفساد في مصر ، يقال " الهزيمة يتيمة وللنصر ألف أب " سيلهث كثيرين ـ من أهل النفاق ـ لمحاولة جعل أنفسهم الآباء الشرعيين لانتصار ثورة شباب مصر ، فكم من متربص ليعلم من المنتصر ثم يقول أنا معكم يناله من الغنائم قسطا . **وكذلك ستسعى أمريكا والصهاينة لأن يأتوا (بنسخة لا تختلف) عن الرئيس المخلوع لحماية مصالحها ليس في مصر وحدها بل في المنطقة ككل .**

ومن كل قلبي أقول يا أهل مصر فيكم مخلصين لا تنكرهم عينٌ صحيحة فإياكم أن تفرطوا في دماء شهدائكم ، و إياكم أن تظنوا إن ثورتكم انتهت بل هي الآن بدأت بتحديات اكبر . وأننا نثق ببصيرتكم ووعيكم فيما رأيناه منكم .

أقول لكم (**أحذروا الجيش**) ولا يغرنكم ماضيه المجيد ، فأن **قياداته غير مأمونة** ، ولا يغرنكم قول القائل أن الجيش لا يمكن أن يخون ، فإنما الجيش مكون من بشر ، والبشر يستزلهم الشيطان . ففي هذا المقام " حسن الظن ورطة و سوء الظن عصمة " .

وأقول للمخلصين من أهل القيادات والفكر لا يجوز لكم أن تتخلوا عن المسئولية حتى ترسي سفينة الثورة في بر الأمان ، أنتم محاسبون أمام الله أن تهاونتم وخذلتم الناس ليس في مصر و أنما في كل أمتكم ، فأمتنا جسد واحد أن تداعى فيه طرف اهتزت باقي الأطراف وآلت للتداعي ، فاحذروا أن تكونوا خصوم الأمة أمام الله .

في هذه الظروف التي تمر بها أقطار الأمة أتأمل حالة التلاحم الروحي بين أبناء أمتي ، فأُعْجَبُ به أعجَابا ـ والله ـ يثير الفرح في داخلي ، فأقول (اللهم أدمها علينا من نعمةٍ وأحفظها من الزوال) ليس الأمر في هذا التلاحم الروحي حالة عابرة نضعها ضمن أطار (أن المصائب يجمعنَّ المُصَابِينا) كما يقول أحمد شوقي في شعره ، بل

هي حالة طبعية لأمة تُشكل جسداً واحداً ، و تتشارك الدين والدماء ، واللغة و الانتماء . وعندي على ذلك ـ من الأحداث الكثيرة التي مرة بها الأمة مؤخرا ـ شاهدٌ و دليلُ .

وأخيرا ...

الحمدلله على نصره العزيز وأساله سبحانه أن يتم على الثائرين في مصر وتونس وكل الأمة نصرهم ويشد أزرهم ويعصمهم من زلات الشيطان ، ومن دسائسه . وأدعوه أن يدوم التلاحم الروحي بين جماهير الأمة فمهما فرقت بينهم الحدود والسياسة فهم على قلب واحد ، و همٍّ واحد .

وأتمنى أن أرى العراق وقد نفض الغبار عن شعث رأسه و رفعه شامخا ، وأن يتقدم أبنائه للنصر شامخين رافعين الرؤوس كما تقدم (صدام حسين[1]) للموت شامخا رافع الرأس فأذهل العقول برباطة جأشه وشموخه . فوالله أن الحال فيها محزن كلما شاهدت حالها تذكرت أبياتَ أبي تمام في بغداد إذ يقول :

لقدْ أقامَ على بغداد ناعيها
فليبكها لخرابِ الدهرِ باكيها

كانَتْ على ما بِها والحَرْبُ مُوقَدَةٌ
والنّارُ تُطْفِىءُ حُسْناً في نَوَاحِيها

تُرجى لها عودةٌ في الدهرِ صالحة
فالآنَ اضمرَ منها إلياسَ راجيها

مِثْلَ العَجُوزِ التي وَلّتْ شَبِيبَتُها
وبانَ عنها كمالٌ كانَ يحظيها

لَزَّتْ بِها ضَرّةٌ زَهْراءُ واضِحَةٌ
كالشمسِ أحسنُ منها عندَ رائيها

[1] ـ لستُ من أنصار صدام حسين ، لكن وجب لنا أن نذكر محاسن الرجل ، فحقا كانت تلك اللحظات ترينا صورة من صور الرجال العظماء و الفرسان العرب النبلاء القدماء لم نعرفها إلا في الكتب وهو وحده فقط جسدها لنا مشهدا عيانيا .

الحُكام لا يعتبرون[1]

"إنه لم يكن عجيبا أن يعبد المصريون (القدماء)

فرعون ، ولكن العجيب أن فرعون آمن حقا أنه إله"

نجيب محفوظ ، روائي من مصر ، ثرثرة فوق النيل .



لله درك يا (تونس) يا أرض الإرادة ، هاهي ليبيا الحرة تنفض غبار الهوان عنها ، أحفاد (عمر المختار) يحطمون قيود الذل ، ويسحقون الظالم ، أجل أن ليبيا فيها الرجال و (معمر القذافي) سيرحل هو وعياله قريبا جدا بعزة الله القوي الجبار.

أتراك سمعت يا أبا القاسم الشابي ؟! الشعب العربي يهتف جميعا بـ:

إذا الشعب يوما أراد الحياة
فلا بد أن يستجب القدر

[1] - الجمعة، 25 فبراير، 2011 م

أظنـك فخـورا بقومـك ، أهـل تـونس ، أهـل الإرادة وشـعب الإرادة قـد نهـض وحطم القيود وقد استجاب القدر يا (شـابيّ) ، لقد استجاب ، وكيـف لا يستجيب أمـام إرادة جبارة أنحى لها الكون تقديرا و أجلال ، لله درك يا تـونس الإرادة ، ولله درك يـا مصر الحرية ، ولله درك يا ليبيا العزة ، ولله درك يا يمن يـا منبـت العروبـة وأصـلها ، ولله درك يا جزائر الشهداء .

أن الثورة الليبية هي من أقوى الثورات والتي أظهرت بطولـة حقيقـة للشعب الليبي ، كيف لا وهم أحفاد عمر المختار ورفاقه ، نـذكر عمـر المختـار ولا نقصد أن نـبخس أبطـال ليبيـا حقهم ، لكـن لهـذا الرجـل مكانـة خاصـة لـيس فـي قلـوب أهـل ليبيـا الحرة وحدها بل وكل العرب ، أنهم يحبونـه وينظـرون إليـه كمـا ينظـرون لخالـد بـن الوليد ولصلاح الدين الأيوبي ، أبطـال الأمـة الـذين أصـبحوا ببطـولتهم وتفـانيهم رمـزا للشجاعة وحب الوطن والإخلاص للدين والمبدأ والحرية والشجاعة و النزاهة ، الذين بذلك فرضوا الاحترام على عدوهم قبل أبناء أمتهم .

أن ما لفت انتباهي هو تـوافر العلـم الليبـي القـديم فـي أيـدي أبنـاء ليبيـا لـيس فـي الـداخل فحسب بل حتى في الخـارج ، الأمـر الـذي يؤكـد بـأن الإجمـاع فـي ليبيـا علـى أن نظـام القذافي لا يمثلهم ، هو أجماع عفوي لكنه صادق ، لأنه ينم عن شعور الانتمـاء أو الـلا انتماء في نفوس أهل ليبيا .

الغريب في هؤلاء الحُكام هو أسلوبهم الممل المترنح بين اتهـام الثـوار بالعمالـة والعمـل لأجـل أجنـدة خـارجيـة و تفاهـات أخـرى ، وكـأنهم تركـوا للعمـلاء مكـان فـيكم الخير والكفاية يا حُكام . والمضحك المبكي فوق كل ذلك هو استخدام السلاح الحي ضد الجماهير المسالمة وكأنهم بذلك يقولـون : (أن كلمـاتكم يـا جمـاهير شـعبنا قويـة) ومن شدة ما أرعبتهم صـار يظنونهـا طلقـات كلاشـنكوف أو أر بـي جـي ، فمـا وجـدوا غير الرصاص ليردوا عليهم . ثم يخرج الحاكم بعد أن يقتل جماهيره ـ ويبدو أنه أنتبـه أن ما ظنه طلقات نارية ما كانت إلا كلمات حق أصمْت أذنـه النتنـة ـ فيخـرج كالحمـل الوديع ليعلن تكوين لجنة تحقق في الأحداث التي جرت ،

تحقق في ماذا ؟

في أوامر أصدرتها بنفسك ؟.

وحتـى لـو افترضـنا جـدلا أن أجهـزة الأمـن تـصرفتْ بنفسها فلابـد أن يـصلك أخبار ما يجري ، فالمفروض أن توقف الأمر ، هذا عدا أنـه مـن المفـروض أن تكـون الأوامر قد صدرت سلفا بمنـع أطـلاق النـار . لكـن لا نملـك إلا أن نقـول : حسبنا الله ونعم الوكيل .

أي رعونة هي التي يتصف بها هؤلاء ، هم يعترفون بفسادهم وبخيانة أمانتهم في خطاباتهم بشكل ضمني ، وإلا ما معنى أن يقول أحدهم : سنجري انتخابات نزيهة وحرة ، وسوف نجري تعديلا اقتصادية و سنحقق في الفساد و و و .

أن هؤلاء الحكام يستخدمون نفس المزامير ، وحين لا يعرفون ـ في أول روعتهم من الثورة ـ ما يجيبون تجدهم يفرغون غضبهم في قناة الجزيرة ، كمن يزعجه ذباب مستنقع بجانبه ، فبدل أن يردم المستنقع تجده يلعن الذباب ، وأقصد بالمستنقع هي مفاسد هؤلاء الحكام وأتباعهم .

يمنون علينا بما فعلوه من واجباتهم اتجاه الوطن ، قل لا تمنوا علينا ، أنها واجباتكم و أنتم ملزمون بها ، وأن كنتم لا تقدرون فدعوا مناصبكم لمن يقدر .

أن أهل ليبيا قوم طيبون قمة في الأخلاق والرزانة والأدب والطيبة ، ودودين إلى أبعد الحدود ، لكنهم مع ذلك لا يرضون بضيم ، أهل عُمان يعرفون جيدا أهل ليبيا ، نعرف (سليمان باشا الباروني) كمصلح نهضوي عاش بيننا ، و آثار مدرسته موجود إلي يومنا هذا في مدينة (سَمَائِل) العُمانية .

نعرف (خليفة النامي) ذلك الرجل العبقري الفذ الذي ما قدره هذا النظام حق قدره ، فضايقه وحبسه مرارا وتكرارا ثم اختفى في ظروف غامضة رغم أنه أعتزل في الصحراء يأسا من (القذافي) ونظامه ، ومع هذا ما سلم من شره ، وكثير كثير . لنا أخوة و أحبة في جبل نفوسه ، و بنغازي ، و طرابلس .

أسأل الله أن ينصرهم ، ويفرج كربهم ويمدهم بمدد من عنده يزلزل الطاغية وجنوده وأزلامه .

أن هؤلاء الطغاة لن يعتبروا ، فقد تلبسهم شيطان الهوى ، وأعماهم السلطان وجاهه فهم في غيهم يعمهون ، صاروا يتخبطون ، لأن أزلامهم تخلوا عنهم حين حق الحق ، ولأن أسيادهم تخلوا عنهم ، وقد كانوا بآراء أسيادهم يهتدون ، واليوم بعد أن تخلوا عنهم لا هادي لهم ، فطبعي أن تصيب مبارك جلطة وتصيب بن علي جلطة وهلم جر ، لأنهم أدركوا أنهم تمسكوا بقشة لا تقاوم رياح الحق أن هبتْ .

وأخيرا ..

يا أهل ليبيا الأحرار ، لا تتعجبوا من صمت حُكام العرب فهم يخافون أن يصيبهم ما أصاب القذافي وأقرانه في مصر وتونس ، ولا تستغربوا فتور ردت فعل

الرأي الرسمي الغربي ، فهم بصمتهم يقولون لباقي الشعب العربي : أنظر ما سيحل بكم أن تمردتم على أعواننا ، ستموتون ، ستدمرون ، ولن يكون أحد لكم عونا . كذلك أن الغرب ينتظر البديل في ليبيا : هل سيكون مثل القذافي الذي حرمهم من (النفط الليبي) أم سيكون حملاً وديعا يمنحهم ما يريدون .

أنهم يريدون أن يردعونا بكم ، حتى لا يتم إسقاط الباقي في الوطن العربي ، فأنكم ترعبونهم ، وما أتعظ هؤلاء الغربيون كما لم يتعظ عبيدهم هنا ، بأن **هذا الشعب كالنار ، كلما زدته قدحا زاد اشتعالا . وتوقدا** ، كلما أطلقوا الرصاص خرج الناس أكثر و ازدادوا أيمانا بأنهم على حق ، فاتسعت الثورة وعجلوا أكثر بإسقاط الأصنام .

اللهم أنصر أهل ليبيا والجزائر واليمن وكل الأمة نصرا عزيزا ، وحفظهم من كل كيد وشر ، اللهم أنك على كل شيء قدير .

ليس للتاريخ مزبلة[1]

"إنني لم أعكر صفو حياتهم أبدا ، إنني فقط
أخبرهم بالحقيقة فيرونها جحيما"
هاري ترومان ، الرئيس الأمريكي الأسبق



كثيرا ما سمعنا خلال ثورات الشعب العربي الأخيرة وهم يقولون لحُكامهم : (إلى مزبلة التاريخ) ، لكن للأسف (ليس للتاريخ مزبلة) ، وهذا من سوء حظ هؤلاء الحُكام . لأنه لو كان للتاريخ مزبلة لارتاحوا من محاسبة التاريخ لهم ومحاسبة الأجيال القادمة على فسادهم حتى وأن لم يكونوا على قيد الحياة حينها .

أن للتاريخ صفحات ، فأما (صفحات مجد) ، وأما (صفحات خزي وعار) . وعلى بني الدنيا أن يختاروا في أي الصفحات يحبوا أن يكونوا . التاريخ عادل لا يمكنك أن تغيره بشطب بعض الأسطر من هذا الكتاب أو ذاك ، ولابد للبراهين أن تظهر مهما حاول البعض ـ لحاجة في نفسه ـ أن يخفيها ، وليس أدل من أحداث ما يُعْرَف بـ (الهولوكوست) وكيف هوّلها اليهود وبالغوا في سردها ليستدروا بذلك عطف الجماهير في العالم ، وكيف حاربوا كل من حاول فضح حقيقتهم بمصادرة كتبه أو بسجنه ولا يتوانون حتى عن اغتياله وتصفيته جسدياً ، ورغم هذا نجد الأدلة تظهر ، وكتب كثيرة تثبت مدى كذب اليهود وتهويلهم لمحرقة (هتلر) تلك لهم ، التي طالما سردوها للجماهير مرارا وتكراراً وهم يذرفون دموع التماسيح .

[1] - الجمعة، 25 فبراير، 2011

أن التاريخ لا يمكنه أن ينسى الفاسدين ـ كما لم ينسى المخلصين ـ وما ذاك إلا ليقدم العبرة لمن يأتون من بعد أن كانوا يعتبرون ، فلو كان للتاريخ مزبلة فسيسعد الفاسدون والمستبدون والعملاء وسيتطاولون في بغيهم وغيهم ، لأن المزبلة تستدعي النسيان ، والتاريخ لا ينسى ، لأنه لا يمكن لأمة أن تنسى مآسيها ، ليس لتظل تبكي عليها وتتباكى ، و أنما لتشحذ بها عزائمها وهممها لتنطلق نحو مجدها وعزتها وكرامتها . وكما يقول المثل الصيني : (البكاء ضرورة و لكنه ليس حلا) .

إنَّ ما يُسَجّل اليوم كحدثاً ، يصبح في الغَدْ تاريخاً ، وسيذكر التاريخ كيف حطمت إرادة الشعب العربي قيود الذل والهون ، تلك القيود التي لم تكن إلا محض خيوط ـ كخيوط العنكبوت أو هي أوهن ـ كانت تقيد عملاق طالما خضع له الزمان و ركع . وكيف أنها أسست مجدها الجديد ـ بإذن الله وعونه ـ بسواعد أبنائها وأرادته الحرة وليس بإرادة بعض العسكر ، وليس بإرادة أحزاب أو انقلابات تطالبُ بحقٍ ما أردتْ به إلا باطل .

ما من ثورة أو معارك هدفها بلوغ ذرى المجد والعزة والكرامة إلا ولها ضريبة ، فلابد لكل مجد من ضريبة ، وضريبة مجد الأمة هي دماء أبنائها قُرْبَاناً ليرضخ لهم الزمان ، وما خُلِقَتْ صدور الرجال لعناق الغواني و الخُود وإنما لتكونَ درعاً يحمي الوطن من كل معتدٍ غاشم وأن لبس ثوب الوطنية وتشدق بها ، و أنْ أبطنَ فساده حتى تمكن فصار أشر و أعتا على الشعب من عدوهِ وأنَّ (أشقى الولاة من شقيت به رعيته) .

و الإرادة الصادقة تُحطم كُلَّ مستحيل ، وتحطم كُلَّ القُيُود ، وتدكُ كُلَّ الأسوار . أنَّ صاحب الحق أن ثار ، فأنه يطلق الرعب في قلب الظالم ، لأن الحق سيف بتار لا ينهزم ولا يفل ولا يلين .

إنْ كانَ للمرءِ عزمٌ في إرادتهِ
فلا الطبيعةُ تثنيه و لا القدرُ

وأخيرا ...

كل إنسان في الوطن عليه أن يكتب تاريخهُ المُشرف ، فالأمر ليس مقصوراً على الحُكام و الساسة والعسكريين ، كل إنسان في الوطن هو (لبنة مهمة) في بناء الوطن ، و لابد عليه أن يكون قويا ، حتى لا ينهار بناء الوطن من جانبه . يقول إديسون : (الآمال العظيمة تصنع الأشخاص العظماء) .

حاكم ظالم خير من مستعمر يا ليبيا[1]



لقد سمعنا ما تردد من بعض الدول الغربية من احتمال (التدخل العسكري) لها لأجل ما سمته (فك معاناة الشعب الليبي) ، إياكم يا (شعب ليبيا الحرة) أن تقبلوا ، وإلا والذي لا إله إلا هو لن تفلحوا بعدها أبدا .

لا تأمنوا للغرب ، لا تأمنوا لأمريكا ، وإلا لأصبح حالكم كحال العراق ، لو كانوا يحبونكم ويهتمون لأمرك لتحدثوا على الأقل بكلمة حق أول ما بدأ القتل فيكم ، لكنهم صمتوا إلى أن بحثوا و رأوا ما يمكنه (كسبه) منكم .

إياكم ثم إياكم ، يا أحفاد الثوار ، يا أبناء المناضلين ضد الاستعمار ، إياكم أن تقبلوا بالمستعمر ، وإلا ستكونوا بهذا قد خنتم دماء شهدائكم ، ليس شهداء الثورة ، و أنما شهدائكم الذين ناضلوا ضد الاستعمار .

والله أن الغرب منافقون كاذبون . ورب الكعبة أنهم منافقون كاذبون .

أثبتوا للعالم أن شباب ليبيا هو من سيحرر ليبيا ، ولا تسمحوا بأي تدخل أين كان هذا التدخل ، ولا يغرنكم كلامهم المعسول ، وما العراق عنكم ببعيد أن كنتم تعقلون .

لا تسمحوا لمتقول كان يقول أن الثوار عملاء بأن يستدل عليكم بقبولكم ، أخرجوا وكما تنددوا بالقذافي أرفضوا تدخل الغرب في بلادكم وشؤونكم الغرب فورب الكعبة ما يريدون لكم أصلاحا ولا يريدون لكم خيرا .

---

[1] - الجمعة، 25 فبراير، 2011 .

المؤامرة[1]



المؤامرة كلمة حق يريد بها كثيرون باطل ، حتى أصبح من يتحدث عن مؤامرة ـ حتى لو كان صادق ـ يعتبر محض سفيه ، أو مواسٍ لنفسه ومطمئن لها .

صرنا لا نعلم حقا من هو العدو ومن الصديق ، ومن الصادق ومن الكاذب ، رغم أن الحق بيّن والظلم بيّن ، ولكن بينهم متشابهات شتتت عقول الناس ، أنه أمر يصيب المرء باليأس و الإحباط .

أجل هناك نار تتصاعد من دخان كثيف ، لكن هناك من يسعى لبث الدخان في مستوى أفقي متعمدا لتشتيت النظر ، ولتعتيم الرؤية ، لنمضي بسببها متخبطين ، إلى أن يشاء الله وينكشف الدخان ، ويعود الصحو ليتكشف لنا عما كان ، ويفضح الخبايا ، ولكن في الغالب يكون لات حين مناص .

كنتُ ليلة أمس أشاهد (قناة الجماهيرية) وهي قناة ليبية رسمية تابعة للسلطة ، لماذا أشاهدها ؟ لأنني لا أحب أن تكون معلوماتي حكرا على جهة إعلامية وحيدة ترسم لي الموقف كيفما تحب ، فأنا أحب أن أكَوِّن أوضح صورة ممكنة عما يدور من أحداث سواء في ليبيا أو غيرها ، ثم أخذ منه نصف ما أرى ، ولا أصدق إلا ربع ما أسمع ، هكذا علمتني الحياة .

أمس وأنا أشاهد (قناة الجماهيرية) كانت تستضيف كاتب مصري وهو (أنيس الدغيدي) ، ربما لا يعرفه كثيرين رغم أنه يقول أنه من الكتاب المعروفين وأنه الأعلى أجرا بين الكُتَّاب العرب وأن كتبه هي الأكثر مبيعا . كل هذا قاله وهو

[1] ـ الثلاثاء، 1 مارس، 2011 .

يتحدث عن نفسه في اللقاء المباشر الذي بثته قناة الجماهيرية عبر الأقمار الصناعية في محاولة لإقناع الرأي العام الليبي بما تريده السلطة الليبية .

لكن الرجل كان بين الجمل المتكلفة في دفاعه عن القذافي يوجد عشرات الجمل المسهبة في الحديث عن نفسه ، الأستاذ (أنيس) هو صاحب كتب تحمل عناوين صاروخية ، تجعل الكثير من الناس تلهث لشرائها ، لتكتشف بعد ذلك أنها لا تحمل سوء مضامين فضفاضة تخلوا من البرهان والأدلة على مصداقيتها . وذلك مثل كتابه (صدام لم يشنق) والذي يتفاخر الأستاذ أنيس الدغيدي بأن كتابه هذا حقق أعلى مبيعات في معرض الكتاب في القاهرة والذي هو ثاني أكبر معرض للكتاب في العالم .

لكن السيد الدغيدي تجاهل متعمدا أن غالبية الجماهير ـ في العالم كله وليس العرب وحدهم ـ ينجرون وراء العناوين قبل المضامين ، وما من أحد ينكر بأن (صدام حسين) كاد يكون أسطورة ملئت الدنيا وشغلت الناس بطريقة غريبة لما تحمله هذه الشخصية من جاذبية وجدلية نادرا ما تتوفر في إنسان . لذا فمن البدهي أن يجري الناس وراء أي عنوان يتحدث عن صدام حسين ، وخاصة بعد مقتله الذي كانت لحظات فارقة جعلت من (شموخه) وهو يتقدم إلى حبل المشنقة يحول كثير من خصومه إلى أناس يحترمونه و يجلونه (مع البقاء على نقاط الاختلاف) .

المهم من هذا كله ، أن الأستاذ الدغيدي في أخر اللقاء ـ الذي سعى المذيع الليبي لإنهائه جاهدا ـ صار يتحدث عن ما وصفه (صواريخ وقنبلة) وهو أن بن لادن هو صديق لأبن حاكم قطر (فهد بن حمد) ، وأنه قام بلقاء سري مع أمير قطر قبل أن يقوم الأخير بعدها بسنتين بانقلاب على أبيه .

وأهم من هذا قال أنيس الدغيدي صاحب رواية (محاكمة النبي محمد) : أنه يصرح ـ وأمره على الله كما قال ـ بأن المملكة العربية السعودية ستشهد قريبا انقلابا وتغير (النظام الملكي) السعودي ، و تحويله إلى (جمهورية ليبرالية) تأتي بالأمير (الوليد بن طلال) صاحب التوجه الليبرالي الغربي لرأس السلطة في السعودية وتأتي بابن لادن ليحل محل آل الشيخ (أصحاب السلطة الدينية في المملكة) ليعيث فسادا ـ كما قال ـ وقال أن لديه أدلة سرية على ذلك .

ما أستغربه حقا أن جميع كتب الصحفي المثير للجدل أنيس الدغيدي تتحدث عن وثائق سرية ، وأحيانا ما يدمغ غلاف كتبه بجملة (سري للغاية) ، فمن أين له هذه الوثائق والتي هي في الأصل شديدة السرية ، وتحتفظ بها جهات غريبة (الولايات المتحدة) ولن تفصح عنها قبل أن تقوم بتنفيذها ، وهو ينفي علاقته بوكالة الاستخبارات الأمريكية (السي أي إيه) . وفي أحدى كتبه واسم (السي أي إيه وملفات الحكام العرب) رأيته يستشهد بصورة تبدو لشخصين على أنهم صدام حسين

وجورج بوش الابن وهما يجلسان قرب بعض (جلسه شبابية في حديقة عامة) وصدام يضع يده حول أكتاف بوش ، صورة يستطيع حتى الإنسان الذي لم يتعامل مع التكنولوجيا أن يفند صدقها ، أولا / لأن دمج الرؤوس وتركيبه على الأجسام واضحا جدا ، ثم أن الأجسام هي لشباب في العشرينات والوجوه لرجال تعدو الخمسينات ، ثم أن هيئة الأجساد لا تشبه لا من قريب ولا من بعيد جسم صدام ولا جسم بوش ، لكن الأستاذ أنيس أوردها كإثبات على العلاقة الحميمة بين صدام وبوش الابن وأن حرب العراق تمثيلية . وهذا هراء كبير .

أنني ـ و للأمانة ـ لا أنكر أن القذافي (شوكة) في حلق الأطماع الغربية في ثروات ليبيا ، وأن الغرب هب هذه الهبة المتأخرة بعد أن توثق من سيطرة الشعب على الأوضاع في البلاد ، ليجد لنفسه موطئ قدم في حقول النفط والغاز الليبية . ولا ننكر أننا بدأنا نستشعر دخول طرف ثالث في الأوضاع في ليبيا ، ولكننا نسأل الله أن يعجل الفرج لليبيا وأن يقيض لهم و أن يتولى أمرهم شخص مخلص أمين . ونضع ثقتنا في شباب ليبيا ووعيهم التام بالأمور ومعرفتنا أنهم حاربوا ابن بلدهم لأنه استعبدهم وظلمهم لذا لن يرضوا بعد أن ضحوا كل هذه التضحيات العظيمة بأن يأتيهم مستعمر يمتص ثرواتهم ويستعبدهم ويفرق بينهم باسم توزيع السلطة واسم تقسيم الثروات كما رأينا في العراق و نرى .

وللأمانة أيضا نحن نقر أن القذافي ليس غبي ولا مجنون بل هو عبقري ، ويمكنك أن تناقش المختصين في علم النفس ، وعلم نفس الشخصية ليؤكدوا لك ، لكن العبقرية الزائدة عن الحد تنقلب إلى شيء صعب على صاحبها ، تجعل منه مجرد شخص غريب الأطوار ، خاصة أن خالطها اعتداد مبالغ فيه بالنفس ، وهذا النوع من الناس يكون شر على الناس أن كان قائد أو زعيم لأمة ما ، وكثير من الكلام في هذا الصدد نجده لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ فقد كان يرى أن الوالي الذكي وبالا على رعيته ، وهذه حقيقة أثبتها العلم الحديث ، ثم أن المطلع على (الكتاب الأخضر) يعلم أن للرجل نظرة فلسفية ، لا أنكر أنه في بعض النقاط فشل في عرضها بالصورة التي تسمح بوضوحها للمتلقي وذلك لإغراق الرجل في عقل ذاته أكثر من اهتمامه في بث الوعي للمتلقي ، أما غير هذا فهو فقط ناقش قضية جدلية في أساليب الحكم الديمقراطي كانت ولا زالت موضع جدال عند علماء الاجتماع السياسي والمُنِّظرين السياسيين في العالم .

ولعقل الرجل الكبير وعبقريته الفذة ، إضافة لغروره ، و إغراقه في أنانيته ، و هوس العظمة ، وطول الأمد في كرسي الحكم أمام التعظيم والتبجيل ، اجتمعت كلها و تكاتفت ، لتنتج لنا هذا التخبط الكبير الذي يظهره بمظهر المعتوه ، أعلم أن كلامي غريب ، لكن وجب طرحه توخيا للأمانة وحتى لا ننجرف خلف عواطفنا المؤيدة للشعب فنتطرف في الحكم على الرجل .

أخيرا ..

أرجـو أن تطرحـوا رأيكـم فــي الأسـئلة التاليــة بكـل صــراحة وبعيـدا عـن المجاملات :

- هل جزء من الثورات العربية الأخيرة هي مؤامرة ؟ أو لنقل أن طرفا ثالثا خفي يثير الشعوب بشعارات حق أريد بها باطل ، فأنقاد الشعب لصالح الأعداء بدون أن يشعر ؟

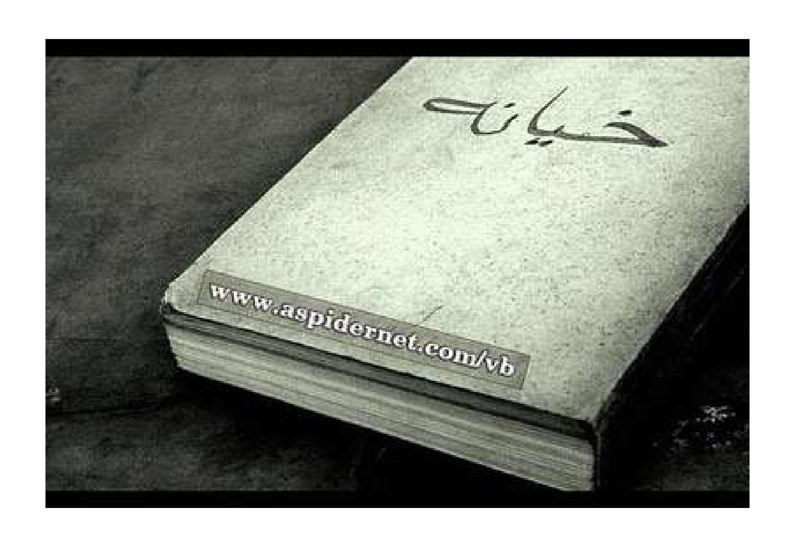
- هل ترون أن ما قاله بخصوص السعودية وارد ؟ ولماذا ؟

- ماذا تقترح كحل للوضع القائم في ليبيا ؟

- ما رأيك في الكُتّاب والكتب التي مثل أنيس الدغيدي و كُتب ؟

إلا خيانة الوطن[1]

بلادي وإن جارتْ عليّ عزيزة
و أهلي و أن ضنُّوا عليّ كرامُ
بيت شعر عربي مشهور



(الخيانة) لفظ ذا وقع قوي على النفس قبل الأذن ، ففي حياتنا الشخصية يؤدي وقوع الخيانة إلى (تدمير الثقة) بين الأفراد والعلاقات بينهم ، حتى لو اقتصرت الخيانة على عدم الإيفاء بوعد أو عهد ، ناهيك عن أن تؤدي الخيانة إلى تدمير حياة إنسان أو أهانته وجرح مشاعره .

هذا فيما يتعلق بنا كأفراد ، أما (خيانة الوطن) فهي أعظم وأكبر مما تحتمله أي نفس ، ويكاد يجمع البشر على مقت الخائن ، فكل فعل مشين يمكن للمرء أن يجد مبررا لفاعله إلا خيانة الوطن ؛ فإننا لا نستطيع أبدا أن نجد لها مبرر ، أيّاً كان السبب الذي يدفعك لهذا الفعل المشين فهو أبدا لا يشفع لك لتبيع وطنك و تغدو في عرفه خائن .

مهما اختلفنا في أفكارنا أو عقائدنا أو مبادئنا ، مهما ظلمَنَا بني أبينا ، و قومنا ، و أهل وطننا الواحد فهذا أبدا (لا يمكنه) أن يبرر لنا خيانة الوطن .

[1] - الجمعة، 11 مارس، 2011 .

ثلاثـة صـفات أحـداهن لا يكـون إلا بـالأخرى : (الغــدر ، و الخيانــة ، و النفـاق) . فالغدر يتطلب الخيانة ، و الخيانة تتطلب النفاق ، و جميع هذه الصفات هـي مـن أقبح و أرذل الصفات التي قد تجتمع عند إنسان .

حتى أقبح الناس صفات يكره ويمقت الخائن و يزدريه ، لأن خيانـة الـوطن تعنـي عدم المروءة بالضرورة ، والإنسان الذي (لا يملك المروءة) يمكنـه أن (يبيع عِرضـهُ وشرفه) كمـا يمكنـه أن (يبيـع وطنـه) ، لأن الـوطن هـو بمنزلـة العرض والشرف للإنسان . ومن هان عليه وطنه يهون عليه عرضه و شرفهُ ببساطة .

قد أختلف مع الحاكم وقد أمقته وأمقت حكومته ، قد يظلمنـي وطنـي ، قد أحيـا غريبـا فيه بسبب ما ألقاه من أبناء قومي وأبناء جلدتي ، لكن مـا مـن عُرف أو دين أو عقيدة أو فكر (يبرر لي خيانة وطني) . أنه (العار) نفسه أن تخون وطنك ، أنـه عـار لـن يكتفي أن تلبسه وحدك بل حتى جميع أهلك وذريتك ، سوف ينظر لهم النـاس شـزرا ، سوف يزدرونهم ، (ليس لأن الناس أشرار) ، بل (لأن الجرم الذي اقترفته عظـيم) ، وعظيمٌ جدا ، لذا فأنت به تظلم نفسك وأهلك فوق ظلمك لوطنك وأهل وطنك ، ومـا من شيء يغفر خطيئة خيانة الوطن ـ للأسف ـ ما من شيء أبدا .

حتى (من تخون وطنك لصالحهم) ، ينظرون إليك كشخص (حقير) ، هم لا يثقون بك ولا يحترمونك بينهم وبين أنفسهم وأن أظهروا لك الاحترام ، فأنهم يبطنـون المقت و الازدراء لك ، فهم يعلمون أنـه لا يمكن لعاقل أن يـأمن الخـوان ، و مـن يبيـع وطنـه يبيع أوطان غيره بسهولة . ومن هان عليه وطنه ، تهون عليه أوطان الآخرين .

ولـن نـذهب بعيدا فـي التـاريخ حتـى لا نـزعج الأمـوات فـي قبـورهم ، وسـنكتفي بـذكر الأحياء . فها هو (أنطوان لحد) صاحب جيش لحد ، مليشيا عسكرية قتلت اللبنـانيين وروعتْ الآمنين منهم لصالح الكيان الصهيوني ، وحين أنسحب الصـهاينة مـن أرض لبنان الطاهرة ، (تخلوا عن عبدهم الخائن) علنا لهم ، تخلـوا عنـه تمامـا ، ولـم يقبلـوا حتى منحه اللجوء إلى كيانهم الغاصب . حتى اليهود يمقتون الخائن فما بالك بغيرهم .

أخيرا ..

يذهب كل شيء و (يبقى الوطن) ما بقيت السماوات والأرض ، ومهمـا كـان عذرك للخيانة ، فــ (لا عاذر لك) ، والوطن لا ينسـى مـن غدر بـه وخـان (سـراً أو علنـاً) **فالخيانة تبقى خيانة ، وجه قبيح لا يُجمله شيء** ، وأن صَفَحَتْ السُلطات عن خـائن ـ لحاجة في نفسها ـ فالوطن و التاريخ لا يصفح أبدا ، و يظـلان يـذكران الخـائن حتـى بعد موته . فهما (لا يغفران لخائن) أبدا .

يقول الشريف قتادة أبو عزيز بن إدريس :

بلادي وأن هانت على عزيزة
ولو أنني أعرى بها و أجوعُ

ولى كف ضرغام أصول ببطشها
و أشرى بها بين الورى و أبيعُ

تظل ملوك الأرض تلثم ظهرها
وفى بطنها للمجدبين ربيعُ

أأجعلها تحت الثرى ثم أبتغى
خلاصا لها ؟ أني إذن لوضيعُ

انعدام الوعي السياسي عند الشعب العربي[1]

" من نظر في العواقب سلم من النوائب "
حكمة عربية



أن ما يدور من أحداث فيما أعقب (ثورة الشعب العربي) على حكامه تأكد على عدم الوعي السياسي لدى هذا الشعب ، وهذه للأسف الشديد هي الحقيقة .

وعلى الرغم ما رأيناه ـ مثلا ـ من وعي جميل تألق به (الشباب التونسي) و(الشباب المصري) أثناء ثورتهم نجد أنه ما أعقب الثورة كان مخيباً للآمال بصدق ، وذلك يعود لعدة عوامل :

- الشعور بالظلم المكبوت لسنوات طويلة الذي تذوقه هذا الشعب من حكامه جعله لا يحمل ثقة لأي سلطة كانت .
- عدم وجود قيادات حقيقية سبق لها ممارسة السلطة ، إلا قيادات قليلة يمكن وصفها بأنها مقبولة من جانب الشعب وهي في الغالب قيادات مارست السلطة بشكل هامشي بحكم الوجود الدكتاتوري للسلطة وكذلك كانت ضمن فلك السلطة السابقة المرفوضة من الشعب وأن كانت قد ظهر منها من مواقف في أثناء وجودها في مناصبها ما يجعلها مرحب بها من الشعب .

---

[1] - الثلاثاء، 26 أبريل، 2011 .

- الوهم الذي عاشه الغالبية الساحقة من الشعب المشاركون للثورة ، فللأسف الغالبية الساحقة تعيش وهم أن الثورة هي عصى سحرية وبمجرد أن تتم سيتحول الوطن إلى جنة النعيم ، وهذا أمر لا يقبله عقل ولا منطق . فهناك من التراكمات السياسية و الاقتصادية وحتى الاجتماعية ما تحتاج لسنوات لأزالت أثارها حتى لو تسلم السلطة أشرف الناس وأذكى الناس ، لكن للأسف الشديد يتناسى الشعب هذه الحقيقة أو يتجاهلها أو أنه يجهلها .
- يظن البعض أن السلطة والحكم أمر هين سهل ، وما هو إلا برتوكولات و قوانين و برستيج فقط ، ولا يعلمون أنه حمل ثقيل ، وهم طويل ، وتفاصيل مملة تأخذ من المرء عمره وتصرفه عن حياته . وأن أردت أن تفهم ولو جزء مما تعنيه مسؤولية الحكم أنظر لمسؤوليتك لعائلتك ، فرب الأسرة هو مثال صغير جدا لحاكم الدولة ، أنظر مدى الضغط النفسي الذي تتكبده والإرهاق الجسدي الذي تناله ، قد يقول قائل لكن الحاكم يأمر فيتم له ما أراد ، صحيح ، ولكن ليس هذا دون تكبده العناء والمشقة النفسية التي تنعكس على راحته وصحته الجسدية ، حتى وأن لم يكن عادلا أو نزيها ، فأنت كحاكم تتعرض لضغوط كثيرة داخلية وخارجية ، وبأشكال شتى ومخاطر جما ، بالإضافة إلى الارتباطات المختلفة التي تظهر في الإعلام أو لا تظهر ، فحياة الرئيس أو الملك ليست تمجيد وحفلات و بهرجات فقط و أنما هناك خلف الستار أشياء كثيرة وخبايا عظيمة تدور يجهلها أكثر العامة .
- صرنا نرى المظاهرات و الاعتصامات و قد غدت مجرد موضة ، أو أسلوب لهو ، والمضحك أن مسألة وجود أبطال أوجدتهم ظروف الثورة صارت تستهوي كثيرين ممن ليس لديهم أي فكر أو أهداف أو أيدلوجيات سياسية واضحة ، أنما رأى الناس ففعل مثلهم ، وقد رأينا من الناس من صار يفرض اعتصامات لأجل أمور سابقة لأوانها أو أمور تافهة أو أمور غير منطقية يطالب بها الدولة كالذي ما صدق أن وجد نفسه ذا هيبة فقرر أن يرعب بها من هابه ، شأنه في ذلك شأن الطفل الذي استهواه أمر فصار يكرره حد السأم . وهذا يظهر بجلاء مدى اللاوعي السياسي في الوطن العربي .
- أن الوجود السلطوي السابق لم يعطي مجال بممارساته القمعية و المحسوبية والفساد لم يعط مجالا لوجود (وعي سياسي) لدى المواطن ، لذا أدرك الشعب بعد الثورة حقيقة مُرَّة ، وهي أنه لا (مرسى حقيقي) ليرسوا عليه الشعب بعد (طوفان الثورة) ، وكأنما ألقي على شاطىء صحراوي عقيم ، لا شجر ، و لا ظل ، و لا ماء ، و لا أرض ثابتة يقفون عليها ، ولم يعي لها إلا القلة

ممن حباهم الله بعقول عاقلة وحكمة ، لذا فعليكم أن تعطوا مجالا لأنفسكم وللسلطة لتستطيعوا إيضاح معالم الأمور و بناء المسالك الثابتة للخروج من الأزمة .

أيها الشعب العربي أن لم تعطي من عينته مساحة و مندوحة من الوقت حتى يُظهر جدارته من عدمها فأنت لن تنال إلا الخسارة المضاعفة من تعطيل مصالح الدولة وتدمير اقتصادها معينا بذلك عدوك وعدو دولتك على دولتك من حيث تدري ولا تدري .

حقيقة أنا ضد الاعتصامات والمظاهرات ، لكنها كانت ضرورة في حينها أما الآن فيجب أن نظهر وعيا أكبر ونعطي مجالا أوسع لمن أوجدناهم بقوتنا في السلطة . فالآن آن أوان استخدام سبل أخرى لتحقيق مآربنا منها البرلمان المنتخب ، وصدقوني فالسلطة فهمت أن الشعب ليس رماد لذا هي تعلم علما يقينا أنها أن عادت لما كان فيها أسلافها من تسلط ودكتاتورية فسينالها ما نال أسلافها .

أحبتي وكما جعلتمونا نفخر بتضحياتكم ووعيكم أيام محنة الثورة فأنتم أجدر أن تجعلونا نفخر بوعيكم السياسي في هذه المرحلة الأصعب ، أوطاننا مجروحة بل محطمة فلا تكونوا عونا على أوطانكم وتكون بذلك يدا مع عدوكم عليكم فتكونوا كالذين يخربون بيوتهم بأيديهم ، الآن هو وقت الصمود الحقيقي و (العطاء الحقيقي) ، الآن (وقت الإنجاز) أكثر من أيام الثورة . صدقوني أنتم تخوضون في (فتنة) من حيث لا تدرون فأن مضيتم في عزمكم هذا ستظهر لكم تجليات هذه الفتنة وستمضون في طريقِ الرجعة منه لن تكون سهلة ، وستقعون فيما لا يحمد عقباه .

فوالله أن النفس ما عادت تحمل من التفاؤل اتجاه الثورات العربية التي لم تُحسم بعد ، وصرنا نتوجس خيفة أن الحال لن يكون أفضل مما نراه في تونس ومصر وربما ليبيا - لا قدر الله - و أن مصير (الفوضى) هو الذي ينتظرها .

وأسفي أشد الأسف على (ليبيا) و ما آلت إليه ، فهل لتتخلصي من جبروت القذافي تأتين بالعدو لدارك يا ليبيا يا أرض المجاهدين ؟ لا يمكن لأحد أن يقول أن جلب الغربيين ضرورة فالعاقل يعلم (أن الذئب لا يُهرول عبثا) والغرب لا يأتي إلا لمصلحة وويل من تكون للغرب عنده مصلحة ، أن مجرد استخدام السلاح من قبل الثوار جعل الثورة وشرعيتها شيء مكروها عند الغالبية الساحقة في الوطن العربي ، فوالله لقد سمعت الكثيرين ممن يبتهلون إلى الله حين رأوا أمريكا تتدخل قالوا : (يا رب أنصر القذافي) فأي مرارة يستسيغها القلب التي تجعل الناس يتمنون النصر للجبار إلا خشية من هو أشد جبرا وبطشا منه ؟ ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم .

أن (الوعي السياسي) ليس بالمعادلة الصعبة ولا المستحيلة ، أن كل ما يحتاجه الوعي السياسي هو :

- الحب المخلص للوطن .
- التفاني لأجله .
- التخلص من الأنانيات وحب الذات .
- أن تعي أن الوطن ملكك أنت ، وملك لأهلك وأبناءك .
- وأن الوطن هو بيتك الكبير ، وأن حبه يجب أن يسمو فوق كل فرد فوق كل مصلحة ، وهذا بدوره يفتح بصيرتك للمسلك الصحيح الذي يجب أن تسلكه . الوعي السياسي لا يتطلب مجرد دراسة للعلوم السياسية أو القانونية أو الاجتماعية أو اقتصادية ، رغم أننا لا نقلل من أهمية الوعي بهذه الأمور لأنها تجلي الأبصار .

أخيرا ...

يكفي الوطن ما به من حُطام ، ولا يغرنكم أصحاب العقول الصغيرة قصيري النظر ، ولا يغرنكم الطامعون في السلطة الطامحون للمجد على حساب الوطن .

أرجوكم أخواني أمنحوا الوطن السلام و أمنحوا أنفسكم ، فوالله مما رأينا من أحداث أعقبة الثورة في تونس ومصر وليبيا خصوصا جعل أنفسنا تمقت الثورة بعد ما كنا نراها خيرا ، ولكنها جاءت شرا لأنها لم تجد المخلصين ليمضوا بسفينتها لبر الأمان.

اللهم رب السماوات والأرض ورب العرش العظيم أسألك بعظمتك ورحمتك يا رب أن تقي وطننا العربي الفتن ما ظهر منها وما بطن ، وأن تنشر السلام و الطمأنينة وأن تعيد له الأمن والأمان ، و أن ترزقنا بفضلك الازدهار والعزة ، اللهم بعزتك آمين .

يا من تعود على النواح والهم[1]

(قبل الرمي يُرّاش السهم)
حكمة عربية قديمة

بصدق صرت أشعر بالغضب ، وأيضا بالسأم والضيق من كل هذا النوح والعويل الذي نسمعه هنا وهناك . قبل الثورات كانت هناك مبررات لبعض ذاك النواح ، وكأن النواح صار طبع يلازمهم ، أو ربما يظنه البعض وطنية . والآن وقبل أن يبحث المرء عن شيء ينوح لأجله ، عليه أن يصلح ما فسد .

إلى من يدْعُون إلى انتفاضة ثالثة في فلسطين ، أسألكم بالله بصدق :

هل هذه هي اللحظة المناسبة لذلك ؟

في الانتفاضتين احتاجت (فلسطين) بشدة للعرب - رغم حال العرب حينها - و الآن من سيقف معها ونحن كل دولة ممزقة من داخلها و اضطرابات ، ستكون أجمل فرصة للصهاينة ليدمروا الفلسطينيين بأكثر مما كانوا يفعلون سابقا . ويتفردون بذلك بعيدا عن يد العون منا . ولو بأضعف الإيمان .

لا تُغالطوا في الحقائق أنفسكم . ولا تلقوا بالقوم إلى التهلكة ، ولا يعميكم كراهية الصهاينة وأعوانهم ، فتدمروهم ثم بعد ذلك تبكون وتنوحون ، وتكتبون الأشعار و تغنون الأغاني والأناشيد وكأن ذلك سيداوي ما أنكسر .

ولكم في (نكسة 1967 م) العبرة أن كنتم تفقهون . أنظروا الفرق بينها وبين (حرب أكتوبر 1973 م) . أقرءوا التاريخ و أبصروا .

---

[1] - الاثنين، 16 مايو، 2011

أن اندفاع البعض و حماسه يجعله لا يبصر الحقائق ، الواقع ليس مجرد شعارات حماسية وقصائد اندفاعية ، فأبصروا ويكفينا دمار و فتن . نريد أن نلتقط أنفاسنا ولو قليلا من كل هذه الهموم والأعباء .

أنظروا حال ليبيا ، من نفع أهل ليبيا وهم يواجهون الخوف والذعر والموت .

أليست هناك رحمة ورفق بالنساء والأطفال ؟

ألا تتصورون الخوف والذعر والحزن الذي يعيشونه الآن ؟

ألا تفهمون ما معنى أن يفقد الإنسان الأمن والآمان في وطنه ، وأن لا يجد المرء ملاذا يلوذ به ؟

الحماس أن رافقهُ الاندفاع يكون مجرد حماقة .

إياكم و الاندفاع فأن عواقبه وخيمة ، وتكفينا هذه الفوضى ، علينا أن نلملم ما تبعثر ، علينا أن نبصر أكثر وبعمق ، علينا أن نتدبر ونعيد النظر في أمور كثيرة ، حتى في الثورة نفسها . العاقل من يعرف متى عليه أن يتوقف ، ومتى عليه أن يعيد النظر في مواقفه وأفكاره .

تغيير الأفكار والمواقف ليس عيبا ، بل هو عين الحكمة ، **لأن على العاقل أن يكون حيث يكون الخير و حيث يكون الصواب** ، فإن كان الله قد أعطانا العذر في ذلك عندما يحلف الإنسان يمينا فيرى غيره خير مما حلف عليه ، و يأمرنا أن نتوجه حيث الخير ونكفر عن يمننا ، فكيف في الأمور العادية الدنيوية.

دعوا التحريض الذي على غير هدى ، ودعوا الحماس المفرط الذي يلقي بنا إلى التهلكة ، دعوكم من الفتن التي ننجر إليها من حيث نعلم ولا نعلم . أنظروا إلى عواقب الأمور أولا . وتدبروا الأمور .

أبصروا يرحمكم الله و تعقلوا ، فوالله يكفي ما بنا .

ولا ينزغنكم الشيطان ويزين لكم الأمور ، فتنساقوا وراءها على غير هدى أو بصيرة . وتذكروا أن هناك رقيب عتيد . وأن الحياة لم يجعلها الله فوضى ، بل لكل شيء سبب وسبيل ، ولكل أمر عُدّة تُعُد له قبل الشروع فيه ، لذا كان النبي يوصي ويقول : (أعقلها وتوكل) . وما عَقلُها إلا الأخذ بالأسباب والنظر في العواقب .

وأخيرا ..

فالقلب يمتلئ غضبا وحزنا وأسفا حين يرى أنّ ما كنّا نرى فيه الخير لم يكن سوى شر خفي ، أعمانا الاندفاع والحماس فصرنا إلى ما صرنا إليه .

حتى صار البعض يترحم على الدكتاتور و أيامه ، ويراها جنة . أن كنتم تبحثون عن ثورة ، فلتقودوها ولتشعلوها (ولكن) على أنفسكم أولا ، (فكما تكونوا يولى عليكم).

ثقافة العطاء[1]

" أزرع جميلاً ولو في غير موضعهِ
فلن يضيع جميل أينما زُرعا
إنّ الجميل و إن طال الزمان بهِ
فليس يحصدهُ إلاّ الذي زرعا "
(من الشعر العربي)



ثقافة العطاء متى ما كانت منتشرة في مجتمع ما دل ذلك على (الرقي الفكري) و (الرقي الإنساني) لذلك المجتمع :

وأحسن شيء في الورى وجهُ مُحسنٍ
و أيمن كفٍّ فيهمُ كفُّ مُنعِمِ

ولا يقتصر العطاء على بذل المال وإنما أيضا على (بذل الجهد) ، و في نظري العطاء يكون على عدة وجوه :

---

[1] - الأحد، 5 يونيو، 2011

الأول : بذل المال لمساعدة أبناء الوطن ، فالأقربون أولى بالمعروف ، وذلك حفظا للمودة ، ووصلا للرحم ، وتعميقا للمحبة ، تكون البداية من قرابة الدم ثم قرابة المودة ، ثم قرابة الجوار ثم الأبعد فالأبعد .

إذا المال لم ينفع صديقاً ولم يصب
قريبا ، و لم يُجبر به حال مُعْدمِ

فعُقباهُ أن تحتازهُ كفُ وارثٍ
وللباخل المورُوثِ عُقبى التندُمِ

الثاني : بذل المال لأبناء الوطن القومي وكذلك أبناء العقيدة في الأقطار الأخرى . كثير من أقطارنا العربية تحتاج لدعم (قطاع التعليم) من مدارس و جامعات ، في زيارة لي لأحدى الدول العربية كنت أرى جامعات عريقة تفتقر لقاعات محاضرات ، وكذلك في بعض الدول العربية ـ وأخص (جزر القمر) تحديدا ، ذلك القطر العربي المنسي ـ الأطفال تجدهم مقبلين على المدارس وعلى التعليم بشغف وكذلك مدارس تحفيظ القرآن ولكن إمكانيات الحكومة جدا ضعيفة ، ولقد رأينا مساعي الرئيس القمري (أحمد عبدالله سامبي) في تأكيد الانتماء العربي لجزر القمر ، حيث قام بزيارات مكثفة لترسيخ العلاقات مع الأقطار العربية ، فالرئيس (سامبي) متحدث فصيح بالعربية ولقد عاش جزءا من حياته في طلب العلم في مكة المكرمة ، وهو مؤمن بعروبة جزر القمر ، الأمر جدا محزن ، حيث أننا نرى أثرياء العرب يتشدقون بتبرعاتهم للجامعات الأمريكية والأوروبية لأجل أن يتحدث الغرب عن كرمهم ، بينما نحن أحق بهذه الأموال . وفي الحقيقة كثيرا ما كنا نسمع من بعض الغربيين تهكمهم وسخريتهم من سذاجة هؤلاء الأثرياء في تبرعاتهم ، فهم لا يرون فيها إلا تبعية و سذاجة و ليس كرما .

الثالث : بذل الجهد لصالح الأقربين وكذلك أبناء الوطن وكذلك أبناء القومية والعقيدة ، وأقصد بهذا أن يكون البذل بالجهد عبر المساهمة الفاعلة للإنسان للرقي بوطنه وأمته وأهله وذلك من باب (حب لأخيك ما تحب لنفسك) ، ومن الأمثلة البسيطة على بذل الجهد :

- المحافظة على البيئة وعدم الإسراف في موارد الوطن (مثلا الماء والكهرباء ، و النباتات و غيرها) .
- المحافظة على المرفقات العامة بصفتها ملك لك كمواطن منتفع منها ، لأنها في الحقيقة ليست ملك للحكومة وإنما ملك لك .
- المساهمة في نشر المعرفة والتوعية الثقافية ، ولا أعني هنا عبر الندوات والمحاضرات والمحافل الثقافية فقط ، وإنما أيضا عبر الجلسات الودية العادية أو العائلية وذلك عبر نقل المعلومة الصحيحة و بالأسلوب المناسب

لكل فئة حسب ثقافتها وحسب سنها ، و بأسلوب شيق تدفعهم لطلب المزيد من المعرفة .

- المساهمة في أنشطة تطوعية في مجالات شتى ، مثل التعليم أو حملات النظافة أو التوعية أو الأخذ بيد المبدعين في المجالات العلمية المختلفة .
- عبر أعطاء الصورة الجميلة عن وطنه ، وعبر مد يد العون بالجهد أو بالكلمة الطيبة والشفاعة الحسنة للآخرين .

كيف يمكننا أن نساهم كمواطنين بسطاء ؟

قد يرى البعض أنني شخص حالم ، لكن قبل أن تحكموا في اقتراحي أقرؤوه بتأني ستجدون أنه ممكن .

لو أقمنا (صناديق) بين كل عائلة أو مجموعة معارف أو أصدقاء ، وتبرع كل شخص بقيمة (دولار واحد) في الشهر ، سيكون عندنا من كل عشرة أشخاص عشرة دولارات ، وهكذا عند كل عشرة ، ستجد أننا قد نصل إلى ألف أو ألفين دولار في الشهر ، تقوم كل مجموعة بإرسال هذا المال كتبرع لأحدى الجمعيات الخيرية أو الثقافية الموثوقة ـ وهي كثيرة ولله الحمد ـ سواء داخل حدود الوطن أو في الأقطار العربية الأخرى .

صدقني ستكون جدا راضٍ عن نفسك حين تجد أن ذلك (الدولار) الوحيد قد أنتفع به طفل أستطاع أخيرا أن يتعلم بدلا أن يعمل وهو في سن صغير ، أو أن تم استخدامه لافتتاح مركز لمحو الأمية .أيضا يمكننا ـ فيما لو توفرت القدرة ـ أن نعمل على أيجاد (وقف) لأجل عمل معين ، مثلا من خلال تجميع هذه التبرعات وشراء بناية (عمارة) يتم تأجيرها يذهب ثمن أجارها لصالح جمعية خيرية للأيتام أو لمركز لمحو الأمية أو لرعاية أطفال الشوارع أو الفقراء سواء لتعليمهم أو لإطعامهم.

أو تجميع هذه الأموال لإنشاء (مشاريع) لصالح أسر فقيرة ، تكون مصدر دخل لهم بدلا من أن تطلب الناس اللقمة ، فمثلا أن كنت تعرف عائلة فقيرة في الحي الذي تقطنهُ أو الأحياء المجاورة أو حتى المدينة المجاورة ، فتقوموا مثلا بجمع تبرعات لإنشاء محل خياطة أو بيع مواد غذائية أو صناعات تقليدية أو أي مشروع بسيط ممكن للأب أو للأم في تلك الأسرة أن تحفظ ماء وجههم بها من سؤال الناس ، وتكون بهذا قد (سددت ثغرة) في بناء المجتمع ، فأنت بهذا تكون قد أوجدت لنفسك صدقة جارية سترى ـ بعزة الله ـ أثرها في رزقك ومالك وصحتك وأولادك ، وأنت حين تحث الناس على التبرع لمثل هذه الأشياء ومساعدة الآخرين فأنت أيضا تأخذ الأجر من الله مقابل ما تدل الناس عليه من خير .

أنني ـ و أوردها هنا كمثال لا للتشدق ـ وضعت (صندوق صغير) في البيت عندي ، وألزمت أهلي حتى أخواني الصغار ، أن يتبرعوا (كل أسبوع) بأي مبلغ ممكن حتى لو كان زهيدا ، فعلى كل واحد منهم أن يضع ما قدره الله عليه كل أسبوع وبدون علم الآخرين ، أي (أن يكون ما تبرع به بينه وبين ربه فقط) ، ثم أنني أقوم بفتحها (كل نهاية شهر) و أوجهها لجهات هي محتاجة للتبرع مثلا : بناء مساجد أو طباعة مصاحف ، أو جمعيات رعاية الأسر الفقيرة أو جمعيات رعاية الأيتام ، وهكذا .

ورغم أن المبالغ تكون (بسيطة) إلا أن لو كل شخص قام بهذا في أسرته فإن هذه المبالغ البسيطة تجتمع لتصبح ذات نفع فكما تقول الحكمة العربية : (الذود للذود إبل) وقطرة مع قطرة تسيل بها وديان .

ومن دلالات وجود ثقافة العطاء في مجتمع ما هو (تبادل العطايا) بين الجيران والأهل المتجاورين ، مثل (تبادل الأكل المطبوخ في البيت) ـ حتى لو أن تعطي جارك كمية بسيطة ـ وذلك من باب (تعميق المودة والألفة بين الناس) ، ولله الحمد هذا أمر يبعث على السعادة حين ترى الناس حولك هكذا ، وأني أرى الناس يجتمعون ليتعاونوا لجمع المال للمريض الذي يحتاج للعلاج ولا يجد المال له ، قدر جهدهم .

وكذلك في رمضان كيف يتعاضدون كل حسب ما يملك لا يحقرون شيئا من العطاء مهما كان بسيطا ، وكذلك أيام الأعياد وعند بدايات العام المدرسي وهكذا . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إذا سألتم الحوائج فاسألوا العرب"[1]. يقول الشيخ سالم بن حمود السيابي ـ رحمه الله ـ وفيه : (لأنها ـ أي العرب ـ تعظم لثلاث خصال : كرم أحسابها ، واستحياء بعضها من بعض ، والمواساة لله ، أي لأنها خصت بهذا دون باقي الأمم) .

و أخيرا ...

أن ديننا يحث على (ثقافة العطاء) ، و **(العطاء) يشبه تعاون الناس في تشييد بناء ما** ، فإن صار كل شخص يحمل طوبة ليضعها بشكل صحيح ويأتي أخر بنفس الشيء وهكذا فإننا في المحصلة سنصل إلى (بناء قوي) و نجد أنفسنا قد أنجزناه في وقت قياسي . نحن أمته تحمل (الرفق و الرحمة) في قلبها ، و العطاء دليل عظيم على الرحمة والرفق .

أن النبتة أصلها بذرة ، ثم تراها تكبر لتغدو شجرة ذات ثمر يانع ، ثم الثمرة تعطي بذرة أخرى وهكذا حتى تغدو غابة ذات ظل و ثمر . وهذا ما ننشده بإذن الله . وتذكر

[1] ـ رواه ابن مسعود رضي الله عنه .

أن تعطي (دولارا أو نصف دولار) في الشهر خير من أن (لا تعطي) شيئا ، فلا تحقرن من المعروف شيء .

دمتم بحوراً للخير و العطاء .

هل يدركون معنى (ثورة) ؟[1]

" خَدَعوها بِقَولِهِم حَسناءُ
وَالغَواني يَغُرُّهُنَّ الثَناءُ
أَتُراها تَناسَت اسمِيَ لَمّا
كَثُرَت في غَرامِها الأَسماءُ "
"أحمد شوقي ، شاعر من مصر "



أن أمور الحكم والسياسة أشبه بقيادة (سفينة) في بحر دائم الهيجان ، أنك حين تقف على الشاطئ قد لا تدرك خطورة البحر ، بل قد يغريك ارتياده متجاهلا و ربما جاهلا لمجاهله وأغواره . بعد الثورة الشعبية في مصر - ولن يختلف الحال في باقي الأقطار العربية - صار الجميع سياسيين و ثوار ، ولكن بعد أن نجحت الثورة (مبدئيا) .

في طريق خروجنا من (مطار القاهرة) مع السائق الذي أعرفه منذ سنوات وجدته شخصا آخر ، كان طوال الوقت - وحتى في الأيام التالية - يستمع إلى نشرة الأخبار عبر المذياع وهذا ليس من عادته ، ثم وجدته - و هو الشخص الذي لا يأبه بالسياسة وليس من أهل الإقدام حتى في المواقف البسيطة - صار ثوريا دفعة واحدة. لم يكن الوضع مناسبا لطرح أي أسئلة اللهم عن أحوال مصر و والأوضاع ، فكان يجيب : (الحمد لله كله تمام) . ثم في اللقاءات التالية كان الرجل لا ينفك يتحدث عن الاعتصام والثورة ، وهنا كان لابد من استيضاح الأمر فالرجل مثل ما يقول المصريين (مش بتاع سياسة) ، وهنا اكتشفت أن الرجل (لم يشارك) ، أنما كل ما فعله هو أنه زار ميدان التحرير في أحد الأيام الهادئة فيه فقط ثم غادر .

---

[1] - الأربعاء، 27 يوليو، 2011 م .

وفي أثناء وجودي قررنا زيارة (ميدان التحرير) أثناء استعداد المتظاهرين لجمعة مليونية كان ذلك في صباح يوم الجمعة ، فكان الرجل متحمس ، لكنه حين رأى حشود المتظاهرين صار متوتر ورفض حتى أن نقف أعلى الجسر لنشاهد ما يحدث . قلت في نفسي : أهذه روح ثائر ؟!! وحتى حين كنت أستقل سيارة أجرة أخرى ، فإني أجد سائقيها بذات الإيقاع و الذي لم أعهده : يستمعون للأخبار باستمرار عبر المذياع ، وكذلك يتحدث إليك أحدهم عن الثورة ويقول : (أننا سنفعل وسنفعل ، وسنحاصر السفارة الفلانية و و و) . حين تستمع لأحدهم تظن أنك أمام (تشي جيفارا) ، بينما هو حتى لا يدنو من (ميدان التحرير) ناهيك عن الاعتصام فيه . حقا أنه أمر مضحكٌ مبكي . كل ثورة شعبية تضم :

- شرفاء عقلاء .
- ومتسلقون طامعون .
- وغوغاء تخوض مع الخائضين .
- والحلقة الأضعف من جميع هؤلاء هم الشرفاء العقلاء .

هذه نقطة ـ علاوة على ملاحظتي لها حتى قبل سفري لمصر ـ أكدها لي بعض أساتذة علم الاجتماع في مصر ، من أن أناس لا ناقة لهم ولا جمل في السياسة ولا في الشأن العام أصبحوا يحاولوا الظهور بمظهر (أبطال الثورة) ، وفوقها ما أخبرنا به أحدهم أذا قال : أن عدد من الشباب كان يحضر للميدان بالليل حيث تقام أماسي غنائية و تمثليات و تسليات ، فبدل قضائهم لوقتهم في القهاوي ـ كما المعتاد ـ صاروا يأتون للميدان (أصل الجو كان حلو هناك) . طبعا هذا لا يعني أن جميع من في الميدان هم من هذه الشاكلة أنما أوردت هذا الكلام لأظهر لأي مدى يوجد أشخاص لا يدركون معنى ما حدث بصدق .

المشكلة لا تكمن في هؤلاء ولكن تكمن في (الجموع الغوغائية) التي يمكن تحريكها بكل بساطة عبر خطب خاوية سواء من المؤيدين أو من المعارضين ، الأمر الذي يحدث صدامات عنيفة أدت لمقتل وجرح عدد من الأشخاص ، وهو أمر مؤسف حقا . ومع هذان الفريقان ليسا مكمن المشكلة ، أنما تكمن المشكلة في ثلاث نقاط :

- غياب قيادة كاريزمية حكيمة يمكنها إدارة الأزمة (مع احترامي للدكتور عصام شرف لكنها الحقيقة) .
- وجود أطراف تسعى للصيد في الماء العكر لكسب منافع خاصة .
- غياب الوعي الشعبي الأمر الذي يسبب ضياع للوطن دون أن يشعر هؤلاء أو يدركون ، وهم يظنون أنهم يحسنون عملا .
- أما بخصوص الأطراف التي تحاول تحصيل مكاسب شخصية والصيد في الماء العكر فهم عدة :

ـ المتحزبين . فلقد وجدت ولأول مرة مصطلح (القوى السياسية) ، الأمر قد يبدو عاديا ، لكنه في الواقع ليس كذلك . أن الأحزاب ـ وكما أقول دائما ـ لا تختلف عن التعصب القبلي ، خاصة في مجتمعات لا تتوافر على وعي سياسي . فهم ينادون بالديمقراطية وهم آخر من يؤمن بها (وفاقد الشيء لا يعطيه) أنما تلك الأحزاب دليل على (حب السلطة) و ليس حب الوطن أو التعددية ، ومن قرأ الصحف المصرية اليومية يدرك ما أعنيه .

تجد تبادل تهم وسب وشتم وكل منهم يتحدث عن معارضة الأخر لرأيه بأنه (عميل) ، ثم يطالبه الآخر بالاعتذار ، ثم السؤال الأهم :

منطقيا هل تستوعب أي دولة هذا العدد الهائل من الأحزاب ؟؟

وهل هي حقا مفيدة لمصلحة الدولة ؟

وأي أيدلوجيات هي التي تحتويها هذه الأحزاب ؟

الإجابة قطعا بالسلب ، أن كنا نتحدث بمنطق مبتعدين عن الأهواء .
ومازلت حتى يوم عودتي من مصر أجد في الصحف إعلان عن أحزاب جديدة ، لماذا لست أدري .

ـ ومن أولئك الأطراف أيضا (التدخلات الأجنبية) ، فليقل لي أحدكم ...

هل يكون (الحزبي) شريفا أن قام بإجراء مقابلات ولقاءات سرية في سفارات الدول الأخرى ؟

هل يكون شريفا أن تقبل (أموال) من دول أخرى ؟

هل يكون الثوريّ شريفا أن وافق أن يعقد (لقاء سري) مع ولي عهد دولة أخرى في غياب ممثلين عن حكومته ؟

أليست هذه أمور تدعو للشك ؟؟ بل وتدعو لإسقاط الثقة بهؤلاء بل وإسقاط مصداقيتهم .

لا يخفى على أحد كم تعاني مصر اقتصاديا منذ عهد مبارك ، وأثناء الثورة وبعدها تفاقم الأمر ، هناك تضخم ، وعجز كبير في ميزانية الدولة ، وهناك مديونية ضخمة خارجية للدولة وكلما تأخر السداد ازدادت الفائدة وارتفعت بالتالي المديونية مما ينعكس سلبا على اقتصاد البلد فترتفع بذلك معدلات الفقر أكثر . وهناك أكثر من

50% من السكان تحت خط الفقر ، وهناك أكثر من (4 ملايين) مواطن يكسبون أرزاقهم من السياحة والتي أصيبت بشلل خطير .

رغم أن وجودي في مصر كان لإنجاز بعض الأعمال إلا أن الأمر لم يعدم من بعض التجوال ، وأثناء تجوالي - وخاصة في الأهرامات والتي عادة ما تغص بالسياح الغربيين - كان ملفتا جدا عدم وجود سياح . كم يضاعف هذا من أزمة الوطن الاقتصادية ! .

والأدهى أن يأتي المثقفون ليطالبوا برفع الرواتب ، ويتظاهروا معترضين على عدم تنفيذ الحكومة لمطلبهم هذا . أن كان هذا هو رأي الصفوة المثقفة ، فهل يُلام العامة ؟؟!

وليس مجرد انتكاسة لقطاع السياحة بل وأيضا تفجيرات هنا وهناك لأنابيب الغاز ، **فهل يمنحك اعتراضك على تمديد الغاز لبلد ما الحق لتفجير تلك الأنابيب ؟؟**

أضف إلى ذلك انعدام الشعور الأمني ، أن ما (تعودته) خلال زياراتي المتكررة لمصر أن الناس تتحرك بحرية ، حتى البنات هناك يرتدن النقل العام في تنقلاتهن بدون شرط اصطحاب مرافق لهن من الأهل ، ولكن ما لاحظته - ولا حظه آخرون معي - أن كثير من الأهل كانوا يصطحبون بناتهم لأداء الامتحانات الجامعية ، وعند سؤالنا عن السبب أجاب كل من سألناه بأن (وضع البلد ملخبط و مفيش أمان) .

وأثناء حواري مع عدد من الأكاديميين من أساتذة (علم الاجتماع) وجدتهم ممتعضين من التخبط الحاصل بعد سقوط الرئيس ، وأني أعرفهم معرفة جيدة وأعرف أيدلوجياتهم ، فهم يكرهون (مبارك) و كانوا - وحتى في عهده - يتحدثون عن سوء أدارته للبلد ، وتغييب العقول والأموال والمنطق في حكمه - وقد شارك بعضهم في الاعتصامات منذ بدايتها - إلا أنهم يرفضون ما يحدث من تخبط وخاصة فيما يتعلق بالجانب (الأخلاقي للثورة) ، فمسألة السب والشتم وأساليب الأهانة التي تكال على (حسني مبارك) لا تروق لهم ، وفي هذا معهم حق - أن أردنا الإنصاف - فالرجل - على علاته - كان يوما (رئيس) هذه الدولة ، ومهما فعلوا لن يستطيعوا تغيير هذه الحقيقة . وأنت بسبك للرئيس لا تضره بل تضر نفسك لأنك تحط من قدرها لهذا المستوى الوضيع .

ثم أمر أخر لفت انتباهي هو المبالغة في المطالبة بمحاكمة مبارك وأفراد حكومته - وهذا أمر لا خلاف فيه - لكن :

هل الوقت مناسب ؟

ما الجدوى من الثورة أن لم يكن هدفها نشر العدالة ، وتفعيل دولة القانون ؟ وأن كان هذا هو الهدف ، فهل المطالبة بمحاكمة مستعجلة وإصدار حكم سريعا على هؤلاء هو تطبيق صحيح لهذا المبدأ ؟

هل من المنطق أن تطالب بمحاكمة شخص وأنت أصلا قد أصدرت الحكم سلفا وترفض أن تستمع لغيره ؟

يطالبون بإعدام مبارك ، قال لنا أحدهم : أن الثوار لا يريدون سجن أو إعدام مبارك ، لكن يقبلون بنفيه خارج الوطن أنما يريدون محاكمته ليكون عبرة لمن يأتي بعده . لكني لا أؤيده في هذا ، لو كان حقا هذا رأيهم لما نصبوا المشانق الرمزية في ميدان التحرير والصور التي ترمز لذلك .

الأمر ذكر جميع من تحدثت إليهم بمحاكمة الرئيس العراقي (صدام حسين) ، والذي كان سلفا قد قُرر ماهية الحكم فيه ، تلك المحاكمة التي تعد مهزلة وسخرية كبرى ، سخر بها على أبناء العراق خصوصا وعلى أبناء الوطن العربي عموما . ليس لأن رئيسا تم محاكمته ، بل لتوقيت المحاكمة التي كانت تعمية للأبصار حتى تم سرقة العراق ، ولأجل منهجية المحكمة الفاقدة أصلا لشرعيتها منذ ولادتها .

أن كان الحاكم ظالما فهذا لا يسوغ أن تكون أنت أيضا ظالما وإلا فما الفرق بينك وبينه ؟!!!!

محاكمة الفاسدين والخونة ـ و حتى الذين قبلوا أموال من دول أجنبية ـ أمر مفروغ منه ولا جدال فيه ، لكن هناك (أولويات) ، والعاقل من لا يخلط الحابل بالنابل ، فهؤلاء يجب أن يودعوا في السجن ، لكن يتم تأجيل محاكمته حتى يتم تحقيق المطالب الأساسية التي تضمن عدم ضياع اقتصاد وأمن و سيادة الوطن ، ثم إجراء الانتخابات الرئاسية وبعدها تشكيل الحكومة ثم يكون من ضمن واجبات الحكومة الجديدة أجراء محاكمة (عادلة و نزيهة) للرئيس السابق وحكومته ، تكون تلك المحاكمة خالدة عبر التاريخ تعبر عن (نقاء روح الثورة) .

هناك من يثير تفاصيلا الهدف منها هو ذر الرماد على العيون ، للأسف حين تتحدث عن حقائق لا يصغي لك أحد ، الناس لا تبصر الأمور إلا من أحد لونيين : أما أبيض أو أسود ، وحين يقع الفأس على الرأس يلطمون وينتحبون ولكن يكون لات حين مندم.

ما يبصره المرء من (انحراف) في مسار الثورة عبر دخول طرفين فيها وهم (سماسرة المصالح الشخصية) ، وكذلك (الغوغائيين) الذين يسيرون خبط عشواء ، وغياب (الوازع الأخلاقي) في نفوس كثيرين ، يجعله يطرح تساؤلا :

هل ستغير الثورة شيء ؟

أن تدخل أطراف خارجية بطريقة تمس بشكل ملفت سيادة الدولة يجعلنا ندرك أنه يراد لأقطار الوطن العربي أن تكون مثل (العراق) ـ تناحر ، ودمار ، وفساد وفقر مدقع رغم الثراء ـ أو في أحسن الأحوال مثل (لبنان) ـ طوائف ، تضاد ، وأحزاب محسوبة على دول أخرى ، وضياع للوطن ، وتأخر واضح في التنمية ـ كل تلك المعطيات والتي أبصرها الجميع جعلت الكثيرين يبحثون في أمور مثل :

هل هناك خيانة للوطن ؟

من هو الخائن ؟ وطبعا كل فريق يخوّن الأخر .

لاحظت بعد أن وضعت مقالة سابقة بعنوان (إلا خيانة الوطن) أن عددا ضخما من مستخدمي محركات البحث ـ منذ وضعته وحتى لحظة كتابتي لهذا المقال ـ يبحثون في موضوع (خيانة الوطن) ، أو قصائد وأشعار في خيانة الوطن ، وأني أحيل هذا الأمر بسبب حضور تلك المعطيات ليس إلا .

الجميع يعرف ـ حتى أغبى الناس ـ أن الغربيين لن يتدخلوا لأجل سواد عيون أحد بل لأجل مصالحهم الخاصة ، وكما يقول المثل الخليجي الشعبي : (الذيب ما يهرول عبث) .

فماذا باع (تجار) الثورة ـ في غفلة (شرفاء) الثورة ـ للغربيين بقيادة أمريكا أثناء لقاءهم بـ (هيلاري كلنتون) في النمسا حتى وافق حلف الناتو بضغط من أمريكا على التدخل عسكريا في (ليبيا) حتى قبل أن يقر الكونجرس الأمريكي ميزانية التدخل العسكري في ليبيا ؟

والجواب على هذا السؤال سيقود للإجابة على السؤال التالي :

هل ستكون ليبيا ـ ومثلها باقي الأقطار العربية الأخرى ـ في حال أفضل بعد سقوط النظام المُنْقلب عليه ؟

الإجابة قطعاً هي : للأسف الشديد (لا) . إلا أن أحببنا أن نكذب على أنفسنا ، ونغالط في الحقائق أنفسنا . و (لا أقول) هذا يأسا أو تراجعا ، أنما أقوله بناءً على حقائق مؤكدة وجلية .

من تلك الحقائق :

ـ التدخل الأجنبي السافر لتحصيل مكاسب ، ووجود (باعة) للوطن في المقابل ، والذي سيستميت لأجلها وهو يمتلك مقومات النصر طبعا .

ـ انعدام الوعي الحقيقي في القطاع الشعبي لما يجب أن تسير عليه الأمور وعدم إدراك الأولويات .

ـ السعي للحصول على (مكاسب شخصية) لهثا وراء السلطة والمال .

ـ وجود خلل متأصل في المجتمع لن يمكن معه إصلاح الحكم ما لم يصلح المحكومين ، لأن من سيكونوا في الحكم أولا وأخيرا هم نتاج هذا المجتمع .

ـ وجود سلطات كثيرة تتنازعها (أيدلوجيات و أهداف متفرقة) ، ولا يمكن لسفينة أن تنجو في بحر هائج و هي يقودها ألف رُبَّان .

وأخيراً ...

أن كل ما ذكرته هو ليس حكرا على (مصر) وحدها ، فهو يتكرر في (سوريا) و (اليمن) و (تونس) و كذلك (ليبيا) الذي يبدو التدخل الأجنبي فيه جليا واضحا .

أن طرحي لما طرحت ليس من باب (النقد لمجرد النقد) ، وليس لبث (الروح الانهزامية) ، بل على المقاتل أن يدرك حقيقة المعركة ليعلم متى (يكر) و متى (يفر) ، وذلك لبلوغ الهدف المنشود بأقل الخسائر الممكنة .

رسالة إلى عصافير الخليج الناعبة في تويتر 1/ 2[1]

(من أكثر المناورات الفكرية خسة : التحدث بعجرفة عن انتهاكات في مجتمع الغير ، وتبرير الممارسات ذاتها في مجتمع المرء نفسه)
إدوارد سعيد ، مفكر أمريكي من أصول عربية .



ما كنت أحب أن أضع نفسي في هذا المقام ، إلا أن مبالغة الجهال بلغت مداها ، و ليست مجابهة الجاهل كمجابهة العالم ، فالعالم أن قارعته بالحجة و البراهين قارعك بها ، فإن غلبته أقر ، و أما الجاهل فإن قارعته بالحجة سفهك ، و جادلك بلا برهان ، و أن غلبته شتمك ونال من عرضك ، كنتُ و مازلت - و سأظل - أقف ضد أي عربي يتحدث مسفها لإخوانه في الدول العربية الأخرى ، أو منتقدا للهجتهم و قيمهم وثقافتهم . فكان حقيق بي اليوم أن أقف ضد من يتحدثون عن بلدي (سلطنة عُمان) . فمن واجبك أن تدافع عن أخيك و عن بيته ، ولكن الأوجب أن تدافع عن بيتك .

رسالتي - ذات الجزأين - ليست تسفيها لأخوتي ، ولا تنمرا مني لمبادئي تجاه أمتي ، ولا سعيا لتمجيد الذات و تحقير الذوات الأخرى ، لغرض النأي بها عن أخونها ، ليكون كل بلد عربي هو كيان خاص مبتور من أصوله الأخرى . أنما هنالك (عصافير) في قفص صغير اسمه (تويتر) ، نَسِيَتْ التغريد وامتهنت النعيب و النعيق ، فحق علينا السعي لعلاجها أو إخراسها ، فإن بلغنا المراد فهو ذلك ، و إلا فيكون لنا شرف المحاولة خير من خزي الإحجام .

[1] - السبت، 27 يوليو، 2013 م

لن أتحدث من هو (الشعب العُماني) ، فشهادتي مجروحة ، وأي شيء من الممكن أن أقوله سيسند إلى مسألة التحيز ، لكني أقول تفضل إلى (عُمان) و أنظر بنفسك من نحن . ثم أحكم ، وكما يقول أبو الطيب : (لا يصدق الوصف حتى يصدق النظرُ) . نحن لسنا ملائكة ، ولسنا شعب كامل ، فالكمال لله ، وكل وطن به الصالح و الطالح ، وله سلبيات وإيجابيات . فماذا تنتقد على الآخرين و أنت تملئكَ العيوب ؟ يقول المثل : (من كان بيته من زجاج فلا يرمي الناس بالحجر) .

عيوبي إن سألت بها كثير
و أي الناس ليس له عيوب

جوابي هنا ليس ردا على جهلة متقولين ، ولكن توضيحا لمن من الممكن أن يجري مجراهم تابعا جهل الجاهلين . و مسالك الحاقدين بدون وعي .

و أن من أعجب العجب أن لا يلتفت البشر إلى (حسناتك) مهما امتلكت منها ، وأنهم فقط يركزون على (عيوبك) و (سوءاتك) وكأنهم خالون من كل عيب . و أنهم أن لم تكن مثلهم تمن على الناس ما تفعله لهم عبر الإعلام ، أو تساعد على أثارة الفتن وتفريق الأخوة في بلدانهم فأنت بالنسبة للجهلة من الناس تملك صفات ذميمة تستأهل القذف .

فعجبا حين تخرس العقول و يتحدث الجهلة .

وعجبا حين تصير المحاسن أمر ذميم يستدعي قذف الجهال وسبهم لك .

و عجبا حين تصبح مسألة التقليد و الخوض مع الخائضين أمرا (إلزامي) ، و أن لم تفعله اعتبروك خارج السرب أو من كوكب أخرى ، و كأنما اعتبروا أجماعهم على (الجهل) أمرا مفروضا وصائبا . فسبحان الله !!! فعجبا للإنسان { إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً }[1]

تعُد ذنوبي عند قومي كثيرة
ولا ذنب لي إلا العلا و الفواضل

فأما من يتحدثون عن دين (أهل عُمان) فأقول : أنهم والله قوم مسلمون مخلصون ، يشهدون أن لا إله إلا الله و أن محمد عبده و رسوله ، و الكعبة الشريفة قبلتهم ، والقرآن الكريم كتابهم ، وسنة رسول الله قدوتهم ، يحبون نبيهم و آل بيته و أصحابهِ . ويؤمنون بأركان الإسلام و الإيمان بغير خلل ، لا يشركون بالله شيء ولا يعبدون القبور . وأما غير ذلك فلا حق لكم عندهم أن تكفرونهم ، فما أنتم بأكثر إسلاما منهم

---

[1] - الأحزاب72 .

، ولا أنتم أصدق إيماننا منهم ، {أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ }[1] . و تلك الأركان لا تخرج الملتزم بها من الملة ،

فمن أنت حتى تكفره ؟ أفلا تتقون الله ؟ .

قال أسامة بن زيد بن حارثة ـ رضي الله عنهما ـ يروي عن سرية بعثه الرسول ـ صل الله عليه و سلم ـ عليها قبل عامين من وفاته صل الله عليه و سلم : (فأتيت النبي و قد أتاه البشير بالفتح ، فإذا هو مُتهلل وجهه ، فأدناني منه ثم قال : حدثني . فجعلت أحدثه ، و ذكرت له أنه لما انهزم القوم أدركت رجلا و أهويت إليه بالرمح ، فقال : لا إله إلا الله ، فطعنته فقتلته .
فتغير وجه رسول الله ، وقال : (ويحك يا أسامة ، فكيف لك بلا إله إلا الله ؟ ويحك يا أسامة ، فكيف لك بلا إله إلا الله ؟ . فلم يزل يرددها عليَّ حتى لوددت أني انسلخت من كل عمل عملته ، واستقبلت الإسلام يومئذ من جديد . فلا والله لا أقاتل أحدا قال لا إله إلا الله بعدما سمعت رسول الله) .

وأما اختلاف اجتهادات العلماء فذلك أمر مرجعه للعلماء ، و **بئس العالم الذي يُدْلِج (العامة) في علم (الخاصة) لأنه يكون بذلك شيطان فتنة ، لا عالم دين و إصلاح .**

و أعجب العجب هو حين يأتيك شخص يفند و يسفه لأنك على مذهب غير مذهبه ، و لأنك على غير مذهبه فأنت (كافر) ـ في نظرهِ ـ و هو المؤمن الصادق ، بينما هذا الشخص لا يقوم حتى بأبسط فرائضه ، كالصلاة ، أو أنه لا يعرف من دينه أي شيء و حدوده في الصلاة و الصوم ، و أن سألته ما مذهبك يقول (سني) . و لكنه لا يعرف أي مذهب هو بالتحديد ، فأنَّا له أن يعرف في باقي المذاهب الصادق منها و الفاسق . فكم هو عجيب (جدال الجاهل) !! . و لله في خلقه شؤون ! .

و أما علاقات (عُمان) الخارجية وعدم خوضها مع الخائضين في كل قضية ، فإنما ذلك التزام منها فيما بينها وبين الدول من اتفاقيات ، و مع هذا فإن (سلطنة عُمان) ليست بالدولة السلبية كـ (سويسرا) مثلا ، و إنما لها صولات وجولات لكن الفرق بينها وبين غيرها أنها لا تحب (البهرجة الإعلامية) المبالغ فيها عن دورها الدولي ، ثم وأنها مثل ما لا تحب أن يتدخل أحد في شؤونها فإنها لا تتدخل في شؤون غيرها ، إلا (وفق ما تضطره الظروف) ، و تفاصيل السياسة كثيرة لا يمكن للإنسان العادي أن يفهمها و يغوص فيها اعتباطا . (و في هذا الباب كلام كثير نتركه) .

و أما العصافير في (تويتر) ... هل يجب أن رأيت الناس تخوض في أمر أن أخوض معهم حتى ترضون ؟ و ما الخطيئة في عدم تواجد العمانيين[1] ـ أن وافقنا

---

[1] ـ القلم37

علـى كلامهـم جـدلا ـ فـي الفيسبوك و تـويتر . أم صـار حضورهما كحضور صـلاة الجماعة يعاب تاركهما ؟؟!

و أنتم أيها الخائضون في تويتر .. ما العيب فيمن لا يستخدمه ؟ و مـا الإنجـاز العظـيم في استخدامه ؟ و الميزة العظيمة في تويتر ؟ هل ميزتـه غير الثرثرة و الفلسفة الزائفـة ، فقد تحول مستخدمي تويتر إلـى فلاسفة ، و ليست هنـا المشكلة ، لكـن المشكلة أنهـم يتكلمـون لمجـرد الكـلام ، ولا تجـد إلا مـن نـدر مـنهم يحتـوى كلامـه (أفعـالا) . أنـا (لست ضد استخدام) هذه المواقع ، لكن لكل شخص الحريـة فـي استخدامه مـن عدمها ولا ينقص منه هذا شيء أبدا .

و بمـا أن أهـل السعودية ـ ليس جميـع أهل السعودية طبعـا ـ أكثـر المنتقـدين لنـا ، ويجاريهم البعض جهلا (رغم أن هـذا البعض أيضا قليـل مـن سكانه يشاركون تلـك العصافير ذات الصفير الدائم التصفير) فأقول :

هل تعلم أخي الكريم كم عدد سكان بلدك ؟ و كم هو عدد سكان أهل عُمان ؟

سـأخبرك : أن عـدد (المـواطنين السعوديين) مـن مجمـل سـكان (المملكـة) هـو (19,838,448) نسمة ، و عدد (المواطنين العُمانيين) من مجمل سكان (السلطنة) هو (1.779.318) نسمة . فلو أزحنا منهم كبار السن و الأميين ، و الأطفـال الـذين في سن لا يؤهلهم لاستخدام هذه المواقع ، فكم يكون عدد مستخدمي النت فـي (عُمـان) مقابل مستخدميه في (السعودية) ، و حتى وأن دخل (المليون و السبعمائة) كلـه للنت فلن يوازونكم . و سوف تفوقونهم حضورا . بسبب الفارق العددي الكبير .

أما أولئك الذين وصلوا بسوء أدبهم إلى قذف (أهل عُمان) بأنهم سحرة وأهل شعوذة ، فأقول لو كنتم مسلمين صـادقين لصنتم ألسنتكم عن (قذف النـاس بالكبـائر) ، ولـو كان الدين يطبق بصدق لوجب جلد هذا القائل ما لم يأتي ببينة .

هل (عُمان) بها سحرة وأهل شعوذة ؟؟؟

أقول بكل جـرأة : نعم ، يوجد فيهـا . لكـن لـيس كـل أهلهـا ولا يحـق لـك أن تعمـم ، و التعميم هـو صـفة العامـة و الجهلـة . يقـول الإمـام الغزالـي : (إن التعميم مـن صـفات العوام) و هو حقا كذلك .

لكن .. هل باقي (دول الخليج و العالم) فيها السحر و الشعوذة ؟

[1] ـ بطبيعة الحال العُمانيون متواجدون بكثرة في مواقع التواصل الاجتماعي ، لكن بعض النـاس تعودت تكرار مـا تسمعه دون أن تدقق في مدى صحته .

أقول أيضا : (نعم فيها) و ربما أكثر مما في عُمان . اليمن و السعودية والمغرب و الجزائر و العراق و مصر و السودان و تونس و باقي البلدان . وأقول كلامي هذا من حكم دراسة في هذا المضمار أجريتها وبحث دام (أربع سنوات) . واستطيع أن أتيك بقوائم لأسماء أهل الشعوذة و السحر ، وأخبرك صادقهم من كاذبهم ، و عالمهم من ظالمهم . وهذا ليس في البلاد العربية وحدها بل في كل العالم حتى ما يسمون دولا متقدمة بها منظمات معترف بها من الحكومة ، و عندهم السحر الأسود بأشد أنواعه . ولهم اتحادات أيضا كما في (فرنسا) و (الولايات المتحدة الأمريكية) .

و (لا يجوز أن تعمم) بأن أهل وطن كامل هم أهل لتلك الكبيرة ، فذلك قذف و افتراء و ظلم لا يرضاه الله ، و لو كنا أهل سحر كما تصفوننا لملكنا الخليج و البلاد العربية كلها ولصار سلطان عُمان سلطانا عليكم ولأمضى ما أراده من أمور فوق إرادة ملوككم ، فلسنا أهل سحر ولا نطير على مكانس . ولا نقول إلا (حسبنا الله و نعم الوكيل) على من (يؤذي الناس بلسانه) فلا يرعى حرمة الله في عبادهِ .

أما المتحدثين عن (الاتحاد الملكي أو اتحاد الملكيات أو الاتحاد الخليجي) أو غيرها ، و التي يتحدث البعض عن رفض (السلطنة) لها ، أجل رفضتها السلطنة ، ومع أني من المدافعين عن (الوحدة العربية) إلا أني أؤيد بشدة قرار (الحكومة العُمانية) . لماذا ؟

الحقيقة أن هناك تفاصيل لا يدركها الناس ، وهم يتأثرون بما يسمعونه من الإعلام فقط . لكن ليت الناس تسأل : لماذا فجأة صارت كل الحكومات العربية تجري نحو هذا الإتحاد ؟؟

هل يعقل أنهم فجأة أدركوا أن الوحدة هي دوائهم ؟

وسؤال آخر : لماذا نحتاج لتكوين مؤسسة جديدة للوحدة بدلا من تفعيل مؤسسة مثل (جامعة الدول العربية) أو (مجلس التعاون الخليجي) ؟ أن كانوا صادقين .

السلطان (قابوس) ـ وليس دفاعا عنه ـ هو رجل سياسي يملك سياسة بصدق ، وليس مجرد رجل أوجدته الأقدار على كرسي لا يملك من فقهه شيء . وهو يعلم أن الحكام العرب الذين يسعون لتلك الوحدة أنما انقادوا بسبب ضغوطات من جهات محددة لأجل هدف محدد . وأنهم لا شك بعد أن يتم (حلب) هذه البقرات سيتم ذبحها . و سيحل بها ما حل من ركون وجمود للمؤسسات التي سبقتها . و من يفهم هذا الأمر يعلم بالضبط بسبب رفض (قادة الخليج) لمشروع السلطان (قابوس) لدرع الجزيرة . فرغم الوجود الشكلي لهذا المشروع العسكري والذي تحتاجه الجزيرة إلا أنه ليس كما اقترحه السلطان . والسبب وراء الرفض أولا هي أكبر دول المجلس ، لأنها تريد أن تظل في السيادة ، وليس مهم ما يحدث بعد ذلك .

ويفهم لماذا فشل مشروع (العملة الموحدة) بين دول المجلس - والذي رفضته السلطنة منذ البداية لأسباب اقتصادية مقنعة - بعد أن كادوا يتفقون قبل أن تنسحب الإمارات بسبب طلب السعودية أن يكون مقر الهيئة المسئولة عن الأمر في (جدة) بدل من أن يكون في الإمارات كما كان مقرر .

هكذا هم ، يتفرقون كما يتفرق الأطفال بعد لعبة طويلة ولأسباب جدا تافهة يمكن تجاوزها . أنها عقول صغار .

لا تعيب على أهل السياسة كل ما جاءت به السياسة قبل أن تفهم ماذا يجري في الكواليس .. أتمنى أن تسعوا إلى (المعرفة) يا أخواني .. هذا كل رجائي ، ويكفي شتم ومهاترات سخيفة بيننا .

تأنَّ في الشيء إذا رمتَهُ ** لتعرف الرشد من الغيّ

لا تتبعنْ كل دخان ترى ** فالنار قد توقد للكيّ

وقس على الشيء بأشكالهِ ** يدلك الشيء على الشيّء

أجل أن (أهل عُمان) ليسوا ببذخ أهل الخليج ، و بناتنا عربيات أصيلات لم يسلكن بعد مسالك غرف التجميل للنفخ و التبيض والتقشير ، وما إلى ذلك من (أعادة صناعة النساء) الحاصلة بجنون عند كثير من النساء العربيات . و رجال عُمان سمر السواعد و الوجوه لأنهم مازالوا يعملون تحت شمس الجزيرة الحارقة ، ولم يختبئوا تحت الأسقف الباردة طلبا (للبياض و الرقة و النعومة) كما حال النساء ، وأيضا أهل عُمان (عرب أقحاح) في غالبيتهم ، مازالت سيما العرب في وجوههم ، لم تخالط أنسابنا أولى و أولئكَ . و (لنا مفخرة في ذلك) ، و أما الأجناس التي تعيش في عُمان من أفارقة زنوج أو هنود و غيرهم فتلك خلق ربهم لهم ولا أحد يملك شيء لأجله وهم راضون بقدر الرحمن لهم . و هناك رجاء لي و هو أن ترى بعين صادقة هل حقا جميع بنات بلادك جميلات و مهندمات أم هي فئة بسيطة من مجمل ما هو موجود عندكم ، وهل كل الرجال عندكم بيض و وسيمين ؟ و أتمنى في المقابل أن ترى ما في عُمان وأن لا تكتفي بالتلفاز لتحكم .

ثم أن التطرق في مثل هذه الأمور يعتبر أساسا (سخافة) و يدل على (ضيق الأفق) ، لأنك تشغل فكرك بتفاهات لا قيمة لها و لا معنى ولا فائدة منها .

و من قال أن (المجد) الذي بلغه (أهل عُمان) من الوصول لأقاصي الأرض كدولة لها سيادتها وحضارتها قد بلغته كل دول الخليج فإنما ذلك شخص يجهل التاريخ ، فحين كانت عُمان تقود المجد كان بعض من أهل الجزيرة يحلون في تلك الأصقاع فُرَادى تحت حماية تلك الدولة العُمانية ساعين للرزق والتجارة أو باحثين عن وطن

جديد ، ولم يكونوا أبدا يجسدون حكوماتهم التي لم تكن أساسا ذات وجود بالمعنى الحقيقي للدولة .

أقول أخيرا كما قال الشاعر :

أنَّا لقومٌ أبتْ أخلاقنا شرفاً
أن نبتدي بالأذى من ليس يؤذينا

بيضٌ صنائعنا ، خُضرٌ مرابعنا
سودٌ وقائعنا ، حُمرٌ مواضينا

لا يظهر العجز منَّا دون نيل مُنًى
و لو رأينا المنايا في أمانينا

سيبقى (أهل عُمان) كما هم ، كراما بعيدين عن الفتن والثرثرة الفارغة في تويتر أو فيسبوك أو في عبث الأطفال في كرة القدم وغيرها ، سيبقون ـ بجميع أطيافهم ومذاهبهم ـ (أهل دماثة و رزانة) ، و (صفاء سريرة) ، سيبقون على (نقاء سجيتهم) ، ولن تغيرهم عبث الأيدي العابثة باسم التمدن بعزة الواحد الأحد ، فمن رضاه خُلقنا فأهلا به بيننا أخا عزيزا كريما ، ومن كره مقامه بيننا فليفارقنا غير مأسوف عليه . و من أتانا ضيفا أكرمناه بـ (سماحتنا) قبل القِرَى ، و بـ (بشاشتنا) قبل التحية و السلام ، فالحقد (ليس) من سجية أهل هذا البلد أبدا . و أن لسان حال أهل عُمان كما قال الشاعر :

سأُلزم نفسي الصفح عن كل مذنب
وإن عظمت منه عليَّ الجرائم

فما الناس إلا واحد من ثلاثة :
شريف ، و مشروف ، و مثلي مقاوم

فأما الذي فوقي فأعرف فضله
و أتبع فيه الحق و الحق لازم

وأما الذي دوني فإن قال منكرا
صفحتُ له عنه و إن لام لائم

وأما الذي مثلي فإن زلَّ أو هفا
تفضلت إنَّ الفضل بالحلم حاكم

و أننا بصفاتنا تلك قال فينا نبي الله صل الله عليه وسلم : (لو أتيت أهل عُمان ما سبوك ولا ضربوك) ، وبصفاتنا تلك أسلمنا طوعا لا رهبة و لا قهرا ، و بصفاتنا تلك حُزنَا ثقة خلفاء رسول الله صل الله عليه وسلم و رضى عن أصحابه الميامين . فحملنا لواء التوحيد وما تركناه في معركة طويلة عبر التاريخ في الكر و الفر .

فمن رأى لنا (فضلا) في صادق صفاتنا تلك فإنما ذلك لطيب خلقه ونبله ، فلا يعرف أخلاق الكرام إلا الكريم و(طبع النفس للنفس قائد) . و أن رأى أن حسناتنا (مساوئ) في عينه فإن كل إنسان سيء يحاول أن يجمل مساوئه ولا يحب أن يعترف بها فإنه يحاول تقبيح المحسن ، وهذا حمق ماله دواء إلا الصمت (فالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله) .

و أتمنى أن لا يضيق الشرفاء بكلامي ، فأنا ما قصدت به الشرفاء في الخليج ، فقد عرفنا منهم أهل أصل و شرف و كريم أخلاق ، أنما كلامي لمن هو أقل منكم شأن في العقل و الخلق .

حفظ الله (عُمان) و أهلها من كل شر وصانها عن كل لسان لا يرعى حق الله ، وحفظ (الخليج والجزيرة) و كل (الوطن العربي) بما يحفظ عباده الصالحين ، ونسأله الأمن و السلام دائما أبدا .

رسالة إلى عصافير الخليج الناعبة في تويتر 2/ 2[1]

رسالة خاصة لأهل الإمارات الكرام[2] :

إذا شئت يوماً أن تسود قبيلة
فبالحلم سُدْ لا بالسّفاهةِ و الشّتم



هناك من يحب أن يشعل الفتن و الشحناء بين (أهل عُمان) و (أهل الإمارات) ، وعلاقة (عُمان) مع ما أصبح يعرف بـ (دولة الإمارات) ليست مجرد علاقة جوار وصداقة وأخوة بل أعمق من ذلك بكثير ، لا يمكن لمن عميت قلوبهم بالحقد ، و ذوي الشعور العميق بالدونية أن يروها . من أولئك أناس ليس إماراتيين في أعماقهم بل هم مجرد (متجنسين)[3] . بمساندة بعض الشيوخ المعروفة أسمائهم في هذا المجال ومعهم مرتزقة تعمل بالمال ليس لها دين ولا أخلاق .

أهل الإمارات عرب أصائل وهم في سلوكهم وصفاتهم مثل ما نقول (أولاد عرب و قبائلهم) هي امتداد لقبائل عُمان في أغلبها ، ولنا فيهم نسب و صهر ، منذ أن كانت الإمارات جزء من (عُمان) وحتى أقتطعها الإنجليز ليطفوا ظمأ الراغبين في السلطة من (شيوخ الإمارات المؤسسين) . فأنت تستطيع بسهولة التفريق بين الإماراتي الأصيل و المتجنس ، فالأصيل دمث الأخلاق ، طيب السجية ، كريم

---

[1] - السبت، 27 يوليو، 2013

[2] - أعلم يقينا أن هناك من الأخوة في الإمارات ممن هم ليسوا من هذه الغربان لكنهم سيغضبهم أو يحز في نفسهم كلامي ، و أنا لا ألومهم ، لكن يعلم الله أن كلامي سرد حقائق - هم لا ينكرونها - لا قصد انتقاص ، هو أمر أجبرنا عليه شرذمة تمادت في تطاولها فصار السكوت عنها أمرا مشينا ، الإمارات بلد نحبه و نحترمه ، و أهلها أخوة و أحبة و أبناء عمومة و أكثر من ذلك ، لذا رجاءنا إلا يأخذ الكلام هنا مأخذا يدفعنا للشقاق و الخصام .

[3] - هنا لا أعمم الكلام على جميع المتجنسين ، لأن منهم أناس فيهم من كرم الخلق الشيء العظيم ، لكني أتحدث عن أناس محددين يكادوا يعرفون بالاسم.

الطباع ، لا متعالي ولا متكبر ، لم تغره المادية المفرطة التي غرت أولئك الفقراء اللاهثين وراء ثروات (أبوظبي و دبي) . وما تنكروا لأصولهم (العُمانية) لعلمهم أنه لم توجد في التاريخ أبدا دولة أسمها (الإمارات) و أنها في جل تاريخها كانت (عُمانية) ناضلت قبائلها مع أخوانهم لأجل استقلال (عُمان) عبر تاريخها ولبناء حضارتها ومجدها . ومازال لسانهم يشهد على أوصولهم العُمانية . و لمعرفتهم أن (الابن) مهما بلغ من شأن فلابد أن لا يتعالى على (والده) .

عرفنا أهل (الإمارات) أكثر من معرفتنا لغيرهم ، ليست معرفة جوار بل معرفة (الأب) بابنهِ ، و مازلنا حين نلتقي (نحن وهم) نلتقي لقاء الأحبة و الأهل بقرابة الدم ، لا لقاء أصدقاء أو جيران . و حتى حين نلتقي في بلاد الغربة لا يجد أحدنا في الأخر ألا أهله و أقاربه ، فتلك الغربان الناعقة بالبين بين (أهل عُمان و أهل الإمارات) لا يعلمون مدى ارتباط الأرواح تلك ولا انسجام تلك القلوب . لأن أمراضهم النفسية التي تتعمق في خلاياهم و تغريهم بأنهم أجدر بالسيادة محاولين نسف تاريخ عمرهُ ألآلاف السنوات ، فيصدمهم ذلك التاريخ ليشعرهم بالدونية فلا يجدون حلا لمصابهم ولا مُسَكّن لأمراضهم إلا النعيق و التحقير .

وأما من يحاول أن يثبت أن (مشيخاتهم) كانت دولة بذاتها فتلك محض أوهام ، فإن مشيخاتها لا تختلف عن مشيخات عُمان ـ ومن قرأ تاريخ عُمان يفهم مقالي ـ فلكل منطقة (شيوخ للقبيلة) يتوارثون زعامتها فهو شيخ المنطقة التي تعيش فيها قبيلته ومعهم من نزل في جوارهم من أفراد قبائل أخرى لأسباب مختلفة ، و لشيخ القبيلة تلك سلطة مطلقة على قبيلته ومنطقته ، لكن مرجعه يكون مع السلطة المركزية للدولة سواء الإمام (في أوقات وجود الإمامة) أو السلطان (وقت وجود السلطنة) .

كان بعض هؤلاء الشيوخ ـ أو الأمراء ـ يتمردون على السلطة لأسباب كثيرة في أوقات مختلفة في (تاريخ عُمان) أم لأجل مصالح شخصية أو لأجل رفض قرارات ظالمة من السلطان أو رغبة في تأسيس دولة مستقلة . و أحيانا تمردهم نابع من ولاء للمستعمر أو حب للسيادة . وهذا النظام (قديم) عند العرب منذ قبل الإسلام ، وهو شبيه به نظام الآغاوات في أيام (الدولة التركية العثمانية) ـ إلى حد ما ـ و الذي مازال قائما إلى اليوم .

أما (لهجة أهل الإمارات) فهي (عُمانية) قحة ، لكن بلهجة (البدو) ، ومن خالط عرب الإمارات الأصيلين يفهم هذا الأمر جيدا ، أما أولئك الأخلاط القادمون إليها و الذين يحاولون محاكاة لهجة الإمارات الأصيلة فلا يستطيعون إلا أن يغمسوا لهجتهم التي جلبوها معهم فيها ، إضافة للكثير من (ليّ اللسان و لوكهِ) ليثبتوا أنهم (مواطنون) تلك اللفظة التي (شَبَّعَتْ) الحكومة الإماراتية بها جو شعبها حتى صار كثير منهم يظن أن لفظة (مواطن) في أي مكان في الدنيا تعني فقط (شخص يملك الجنسية الإماراتية) و ليس غيرها .

من جهة أخرى أقول للساعين لنسب كل شيء لأنفسهم .. لا يضرنا أن أدعى بعض أولئك الذين يملكون شعورا كبير بالدونية بأن (ابن دريد) أماراتي و وأن (الخنجر) إماراتي و أن (الحلوى) إماراتية ، و (ناصر بن مرشد) أماراتي ، فالأمر طبيعي لأن كثيرا ما ينسب (الابن) لنفسه بعض ممتلكات (أبيهِ) ، لكن هذا لا يخوله التصرف فيه بطبيعة الحال .

ولا يضرنا أن سعت صحفكم ـ التي تعاني من كبت الحرية ـ لإظهار مفاسد حكومتنا ، والتي نعترف أن بها فساد نضيق به ، لكن نتمنى أن تلتفت صحفكم إلى الفساد في حكومتكم ، أم أن تخمة المادة تغطي على فساد الحكومة ؟ و حرمان أهل الوطن من ثروة وطنهم لأجل مطامع أفراد يحبوا أن يكونوا زعماء ، فلماذا تقسم الإمارات وتغرق أمارة منها في المال بينما لا تجد أمارة أخرى في ذات الدولة بيوت كريمة لأهلها . هل لأن أهل الإمارات ذوا أعراق و طوائف ؟ فوجب تقسيم الوطن ليستأثر كل عرق بثروات أرضه ؟ أين النظام القضائي المستقل ؟ و أين التنمية الحقيقة التي تضمن حق الأجيال في ثروات الوطن ؟ بدل من الاقتصاد الهش ، والإنفاق على المظاهر الباذخة الخاوية .

أما حين ينتقد (الابن) (أبيه) ـ لسوء أدب منه ـ فإنه في حقيقة الأمر ينتقد (نفسه) ، قد يغتر (الابن) بنفسه و يحاول إبراز نفسه بشتى الطرق منها (التمرد) على (والده) ، كأن يحاول أن يظهر لنفسه قبل غيره بأنه (شخصية مستقلة بذاتها) بعيدا عن شخصية (والده) ، وغالبا ما يعاني من هذه الحالة (المراهقون) ، حيث يسعون للخروج من (جلباب آبائهم) ، و لكن عندما يتقدمون في السن فإنهم ينضجون ، ويفهمون أن ما فعله كان (سفاهة) . لا ينجو من هذا إلا المراهق ذا الأدب الجم و الخالي من العقد النفسية . لذا نقول أن انتقدت (لغته) ـ أي والدك ـ أو (قيمهُ الثقافية) أو غيرها فأنت (تنتقد نفسك) ، لأنك **مهما تمردت على (والدك) فلن تستطيع أن تنسلخ من حقيقة أنك (ابنه) و هو (والدك)** . فلا سبيل للتمرد على هذه الحقيقة . لذا أنتبه أيها المغتر بماله و أنت تسعى لإيجاد (هوية) لك ، حتى لا يفضي بك غرورك من البحث عن (الهوية) إلى السقوط في (الهاوية) .

و أننا في (عُمان) لا يضرنا أي من تلك الأمور ، لكن (خط أحمر) نضعه لتلك الغربان الساعية لخراب الأوطان بمرضها ، إياكم و (أمن عُمان) ، فما تفعله أجهزتكم الأمنية مفضوح وهو تحت عين الرقيب ، وما يصول و يجول به سفيركم هنا هو مفضوح عند الشعب المحب لوطنه قبل الحكومة الحريصة على أمن الوطن . و أعلموا أنه حتى الصيد في الماء العكر لا يجدي لجعل (الأب) تحت وصاية (الابن) ، لكن أن كنتم تتوقون للوحدة فيمكن لـ (الأب) أن يعود لاحتضان (الابن) . وهذا هو المنطق .

و أقول لتلك الغربان الناعقة بالبين لَئِن بَسَطتَ إِلَيّنا لسانكَ لِتتنتقص من قيمة (والدكَ) أو لتحقيره ، فمَا نحن بِبَاسِطين ألسنتنا إِلَيْكَ بمثل ما بسطتم لأننا نَخَافُ اللّهَ رَبَّ

الْعَالَمِينَ ، فصمتنا ليس عيًّا ولا خوفا ، بل هو حُلم (الوالد) على (ولده) و ترفعهُ ، و أن لا قدر الله ـ وأسأل الله لكم الأمان ـ جر إليكم سفهاء شيوخكم حرب قومٍ عليكم ، فإننا سندافع عنكم ، كما دافع (جيش عُمان) عن (الكويت) في حرب تحريرها وكان في المقدمة وحكومة الكويت وكل الخليج يشهدون على ذلك ، ويشهدوا أننا أقدمنا حين أحجم (جيش الكويت) عن أطلاق أول رصاصات الحرب فكنا أول من أطلق وكنا دروعهم ، فأسلم روحه منا من أسلم وأصيب من أصيب وعاد لوطنه ليتم منحه تقاعد مبكر بسبب أصابته فما تأفف ولا ضاق ذرعا لأنه قام بواجبه اتجاه أخ من أخوانه ـ رغم أنه بخسهُ الجميع حقهُ ـ فكما أقدم لنجدة (الأخ) لا شك سيقدم لنجدة (الابن) ، فـ (الابن) أولى من (الأخ) في هذا و أحق .

تحية محبة مني لأهل الإمارات الكرام الطيبين المتواضعين الشرفاء ، و الذين ما التفتوا للغربان الناعقة ، وأنا على يقين أن تلك الغربان ستخرسها يد الشرفاء الإماراتيين . سلمكم الله من تخبط السفهاء .

رسالة إلى الرئيس المصري محمد مرسي[1]

{ وَحَسِبُواْ أَلاَّ تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ اللّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ }
القرآن الكريم ، سورة المائدة ، الآية 71



إلى سيادة الرئيس / محمد مرسي .

أيها الرئيس ...

رغم أنهم انقلبوا عليك إلا أنك أنت الرئيس الشرعي ، و أن الإمارة ليست سلطة وجاه ، بل أمانة يحاسبك الله عليها ، أني أوجه إليك حديثي لأنك الرئيس الشرعي ، و الرئاسة أمانة وأنها في الآخرة خزي وندامة ، وأن حساب الخلق عليك . فأوجه حديثي إليك لأنك أيضا رجل يؤمن بالله ، ومن آمن بالله وجب عليه أن يتقي الله . و أني أكاد أعلم أن رسالتي لن تصلك ، لكني أنما أبرأ ضميري بما أستطيع .

ناصرتم الفتن في (سوريا) فابتلاكم الله بها في داركم ، فما أحسنتم درءاها حتى أحالها نزغ الشيطان في نفوس البشر إلى (فتن) عمياء و أهدار للأنفس و الأموال .

[1] - الاثنين، 19 أغسطس، 2013

ليس من الضرورة أن ما نظن أحيانا أنه صوب يكون كذلك فعلا . و أنه بيدك كرئيس للدولة ، و كطرف رئيسي في الصراع ، وأجبك أن تسعى لعلاج الأمور و إيقاف الدمار ، و القتل ، و الفتن .

أيها الرئيس ..

عند احتدام الأزمات لا يجب أن نبحث عن من هو المصيب و من هو المخطئ بل نبحث عن أرشد القوم و أعقلهم ليكبح جماح الفتن ما استطاع . و إني أراك أصلحهم و أعقلهم و أرشدهم . فإن كانوا ـ أعني فريق العسكر ـ قوما يحبون (الدنيا) فأنت ممن يحبون (الله) أفلا تتقيه في عباده . فإن أساءوا فأحسن أنت ، و أرحم الضعفاء من أبناء وطنك .

{ وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ }[1]

يا سيادة الرئيس :

هل كان الإسلام يوما دين تفريق ؟ .

متى كان دم المسلم على المسلم حلال ؟

هل السلطة أحب إليك من دماء أبناء شعبك ؟ و من دماء قوم يشهدون أنه لا إله إلا الله و أن محمد رسول الله ؟ .

أم هل نزغ شياطين الإنس ممن يوسوسون بالتكفير و التجريم و أباحت دماء المسلمين و غيرهم ممن في ذمتهم أقرب إلى قلبك من صوت لسان يلهج بذكر الله ؟

أما و الله لقد قال عليه السلام لأسامة بن زيد : (ويحك يا أسامة ، فكيف لك بلا إله إلا الله ؟ ويحك يا أسامة ، فكيف لك بلا إله إلا الله ؟ . قال أسامة : فلم يزل يرددها عليَّ حتى لوددت أني انسلخت من كل عمل عملته ، واستقبلت الإسلام يومئذ من جديد . فلا والله لا أقاتل أحدا قال لا إله إلا الله بعدما سمعت رسول الله) .

و الله **ما يصوغ قتل المسلم ولا استباحة دمه إلا عصبية جاهلية غرسها الشيطان في قلوب أعوان له ظنوا أنهم أهل حق و جمعوا لأنفسهم (مبررات جعلوها عذرا)** ، فكذبوا على أنفسهم وصدقوها ، يفعلون كما فعل اليهود قبلهم يحورون الكلام و

[1] - الأنفال25

يخضعون الشواهد من القرآن و السنة ـ كرها و قسرا ـ حتى يسوقوا عذرا لا يستسيغه غيرهم .

فويل لمن أعماه هواه و نزْغُ الشيطان فما تاب و لا أناب لله صادق .

و ويل لمن أن قلت له : (أتق الله) أخذته العزة بالإثم ، لا يرى في نفسه إلا أنه الحكيم المصيب ، غرورا و كبرا ، و لا يرى غيره إلا فاسق أو كافر أثيم .

أفمثل هذا يسكن قلبه الإيمان ؟

أم مثل هذا يطاع و يتبع ؟

فأما من قال : {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ }[1]. فأقول : أتقي الله في تأويل آياته .

فإنه تعالى قال أيضا : { وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ }[2] .

و قال جل و علا : { وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ }[3]

أيها الرئيس ..

ما نال وطنٌ من التحزب إلا الدمار و سفك الدماء ، و عصبيات لهذا الحزب أو ذاك ، أليست عصبيات الأحزاب كالعصبيات الجاهلية ؟ . فهل ندعو لنبذ العصبيات لنعود و نبني غيرها ؟ .

سيادة الرئيس ...

أن بعض الدول التي تدعم هذا الفريق أو ذاك هي دول لا خير فيها و أنما هم أعوان الشيطان . أما شعوب تلك الدول فقلوبهم حزينة لما يحل بإخوانهم في مصر و سوريا . وكيف لا يحزن الإنسان على دمه و هو يجري في الشوارع ليرتوي بها غرور نفوس لا تتقي الله . و كل فريق منهم بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ .

---

[1] - البقرة193
[2] - البقرة217
[3] - البقرة191

أين هم بأموالهم حين كانت بلادك تحتاج المال لتنهض ؟ تركوها نهبا للبنك الدولي و غيره ، أين أموالهم لبناء الجامعات و المدارس في دول عربية تحتاج للدعم ؟ أين أموالهم في طريق الخير لتستغني أمتهم عن الركوع لمؤسسات دولية تركعهم إذلالا باسم النهضة الاقتصادية و العمران ؟ .

كانوا يبخلون بأموالهم ؟ و يتنمرون لأبناء أمتهم . ولا ينفقون أموالهم إلا تباهيا و رياء . أو لإشعال الفتن ، فتن ترضي غرورهم و كبرهم ، أن سألتهم من أموالهم لأجل الخير فإنهم يبخلون ، و أن سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا ، و ينفقون بسخاء ، فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ بإذن الله تعالى .

أن حكام تلك الدول ـ وأن نفوا هذا ـ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ ، يرغبون في تصفيات حسابات بينهم ، فبدلا أن تكون تلك التصفيات في بلدانهم ، قاموا بتصفيتها في بلادك و في و (سوريا) .

سيادة الرئيس ..

العاقل من رأى الأمور ببصيرة و قلب نقي ، لتكون أنت خير الفريقين ، دع أهل الفتن و أصدح بالحق فأنت اليوم قائد لفريق ليس قليل . استغن عن وجاهة الدنيا ، و أترك (السياسة) الآن ففيها كر وفر يمكن تداركه لاحقا ، أما (الفتن) فإنها منزلق وعر ، وغياهب مدلهمة .

ليكون عملك هذا لله وحده ، فوالله ما ترك امرؤ أمرا لله إلا عوضه الله بأحسن منه . فإن لم تكن وجيها في الدنيا ، فإني أرجو أن تكون عِندَ اللّـهِ وَجِيه . ففي الأزمات تعرف معادن الرجال .

كن مقتديا بالنبي الأمين صل الله عليه وسلم ، انظر ما فعل يوم الحديبية ، وقومه يومئذ مشركين . فكيف أنت مع قومك ؟

كن بعظمة عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ حين سأله نافع فقال : يا أبا عبد الرحمن ، أنت أبن عمر و أنت صاحب رسول الله ، و أنت و أنت ، فما يمنعك من هذا الأمر ـ يعني نصرة علي .
فأجابه ابن عمر : يمنعني أن الله تعالى حرم دم المسلم ، لقد قال عز وجل :
{وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِله }
ولقد فعلنا وقاتلنا المشركين حتى كان الدين لله ، أما اليوم ففيم نقاتل ؟ لقد قاتلت و الأوثان تملأ الحرم من الركن إلى الباب ، حتى نضاها الله من أرض العرب ، أفأقاتل اليوم من يقول : لا إله إلا الله ؟ .

و كان رضي الله عنه و أرضاه يقول كان ابن عمر يقول : (من قال : حيَّ على الصلاة أجبته ، و من قال : حيَّ على الفلاح . أجبته . و من قال : حيَّ على قتل أخيك المسلم ، و أخذ ماله . قلت : لا) .

قال مروان لعبد الله بن عمر : (هلُمَّ يدك نبايع لك ، فإنك سيد العرب و ابن سيدها . قال له ابن عمر : (كيف نصنع بأهل المشرق ، قال مروان : نضربهم حتى يبايعوا . قال ابن عمر : (و الله ما أُحبُّ أنها تكون لي سبعين عاما ، و يُقتل بسببي رجل واحد .

قال الحسن رضي الله عنه : (لما قُتل عثمان بن عفان ، قالوا لعبد الله بن عمر : إنك سيد الناس ، وابن سيد الناس ، فاخرج نُبايع لك الناس ، قال : إني و الله لئن استطعت لا يُهْرَاقُ بسببي مِحجمة من دم ، قالوا : لتخرُجنَّ ، أو لنقتلنك على فراشك ، فأعاد عليهم قوله الأول ، فأطمعوهُ ، و خوّفوه ، فما استقبلوا منه شيئا) .

أيها الرئيس المؤمن ..

كن مثل أبي ذر الغفاري ـ رضي الله عنه ـ يصدح بالحق لكنه لم يحمل سيفا و لم يحمل على عاتقه وزر دماء المسلمين و ما قاد فتنة ولا سعى فيها. و قد حفظ وصية نبيه و معلمه الكريم صل الله عليه و سلم .

أيها الرئيس ..

كن مثل الحسن بن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنهما ـ حين رأى الفتن تزداد ، و دماء المسلمين تنساب ، رفع يديه من الزعامة خوفا من فتن وخشية أن يغرق في دماء المسلمين فيسأله الله عنها ، ترك السيادة وتنازل لمعاوية ، **ليس لأن معاوية على (حق) ، و لكن لأن الحسن (يخشى الله)** ، ذلك هو السمو الإيماني في أجل معانيه.

لم يكن موقف الحسن ـ رضي الله عنه ـ جبن ، و لا ضعفا ، و لا تقصيرا ، و لا انحرافا عن الحق ، و لا تهاونا فيه ، لكنه رأي الأمور بعين (البصير) المؤمن ، وقاسها من باب سد الذرائع ، فرأى الترك خير من السير على أجساد المسلمين . و هو الذي لو مضى لمضت أمة محمد خلفه . لكنه أتقى الله فيهم.

أيها الرئيس ..

اليوم يوم ، و غدا تكون أمور ، فأتقي الله في رعيتك ، يبدلك الله خيرا {وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً }. باسم السياسة حكم الجبارون ، وباسم السياسة قتلوا شعوبهم ، و بالعزة الآثمة تسلطوا ، و بتأويل الأمور أرضوا غرورهم ، فلا تكن ـ يا حفظك الله ـ مثلهم .

أيها الرئيس ..

لو أن الشيخ حسن البنا ـ رحمه الله ـ بيننا اليوم ، أتظنه يخوض في دماء المسلمين ؟ .

لستُ أخوانينا ، لكنـي قرأت سيرة الرجل فرأيت فيه رجلا صالحا وطنيا ، ظلمه أتباعه بانحرافهم عن نهجه ، كما ظلمه أعدائه بتحميله ما لم يقله وما لم يفعله ، وما لم يسنه .

أيها الرئيس ..

الآمال معلقة بك ، و أني أعلم أنك حين تعلن أغماد السلاح سوف يسفهك سفهاء القوم ، ممن يتبعون شيطان هواهم ، {الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً }[1] .

فأمثال أولئك سفَّهُوا من هُمْ أقدر منك و أجلُّ منزلة ، لقد سفهوا عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ و سفهوا الحسن بن علي ـ رضي الله عنهما ، حين رفضوا الفتن ، فأصبر لحكم ربك ، فقد جعلك الله في هذا المقام ليبتلي إيمانك ، و أن ما عند الله باق . ولا تلتفت للجاهلين ، فأولئك أن أتاهم رجل بِمَا لاَ تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقاً كَذَّبُواْ وَفَرِيقاً يَقْتُلُونَ .

أن لم يتبعك إلى السلم جميع من هم تحت أمرتك اليوم ، فإنه لا شك سيتبعك بعضهم ، وذلك البعض هم أصلحهم ، و يكفيك شرفا أنك أغمدت السلاح ، وحملت الدلاء لإطفاء نار الفتن ، فذلك بإذن الله شرف لك في الدنيا و الآخرة .

{ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ }[2]

يظن البعض أن القتال و التصارع بالألسن و الصراع هو الصواب و هو الحق ، بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ . { أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً فَإِنَّ اللَّهَ

[1] ـ الكهف104
[2] ـ الأنفال73

يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ }[1] .

سيادة الرئيس ..

لستُ مصريا ، لكني (عربي مسلم) ، يؤلمني كل جرح نازف في أجساد أخواني . و **أسأل الله أن لا يخيب ظني فيك** . فاليوم تطفئ نار الفتن في (مصر) و غدا يقتدي بك أهل العقول و البصيرة في (سوريا) . حتى لا ندمر أوطاننا بأيدينا و أيدي الأعداء . فيكون لك أجر عملك و أجر من اقتدى بك بإذن الله تعالى .

قال النبي عليه السلام : (إنَّ السعيد لمنْ جُنِّبَ الفِتنَ) .

أسأل الله أن تنطفئ (نار الفتن) في وطني العربي الغالي ، وطن الإسلام و السلام و الصلاح بإذن الله . اللهم ألطف بقومي و أهدي زعمائهم . رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ، اللهم أسألك لوطني العربي الأمن و الأمان و السلام ، اللهم ورد كيد من عادى هذا الوطن في نحره وكفيه شره ، اللهم أنك أنت القوي المهيمن الجبار المتكبر ، اللهم وشد أزر أهل الصلاح ، و أعن أهل الخير ، اللهم آمين .

---

[1] - فاطر8

ابْكِ أيها الوطن الحبيب[1]

" فَتَناثَرَتْ دُرَرُ الشؤونِ على خَدِّي كما يَتَناثَرُ العِقْدُ

لَهْفي على "دَعْدٍ" و ما خُلِقَتْ إلاّ لِطولِ تلَهُّفي "دَعْدُ" "

ذو قلة المنبجي ، شاعر عربي .



ماذا أقول يا وطني الحبيب[2] ؟! و أنا أعلم كم يحمل قلبك العظيم من الأسى ، و كم يتألم تُرْبُكَ الطهور من رجس خطواتهم . ابكِ أيها الوطن الحبيب ،، فما زال البشر منذ العصور القديمة لا يُجيدُون حلّ قضاياهم إلا بالشتم و سفك الدماء و الدمار . و أصوات العقلاء الرخيمة الحكيمة تضيع وسط ضجيج الدهماء .

ابكِ يا وطني الغالي ،، فحقٌ لك البكاء ، فمنذ سنتين و نحن لا نسمع إلا مقطوعة الموت الصاخبة . جميعهم يرفعون (قميص عثمان) ، فجميعهم (معاوية) و غاب (علي) عن الميدان .

---

[1] - الثلاثاء، 24 سبتمبر، 2013

[2] - عنوان المقال هو اقتباس عن اسم فلم جنوب أفريقي .

ابكِ يا وطن ،، فإن الحزن العظيم جَثَمَ على صدرك فأخرسك . ابكِ يا وطني الحبيب ،، فكلهم ضباع تهرول نحو جرحكَ النازف ، سواء المتربعين على السلطة باسم حاكم أو الصاعدين باسم الوطنية . تحجبهم أنانياتهم عن الحق .

كم نقرع الأسنة ندما على سعادة أطلقنها يوم ثار الشعب بالحق . فقد أنستنا نشوة السعادة غباء القوم . و أطماع الخونة ، وتربص العدو الذي لا يمكن له أن يدخل أوطاننا إلا بترحيب الخونة منا . قبح الله أعذار ساقوها ليدخلوا عدونا لدارنا ، و قبح الله دهماء سارت خلف الخائن بجهل منها تردد ما يقوله .

ابكِ يا فداك جميعهم ،، فقد صَدَّقنَا أن هناك (ثُوَّار) . و تفاجئنا أنهم (ثِيران) . و ما أغبى الثيران حين تتصارع . ليتسلى الجمهور التَرف . ثم يكسب أحد أولئك المترفين أموال الرهان بينما تسيل دماء (الثور) أو يموت .

ابكِ يا وطني الحبيب ،، جميعهم يدَّعُون أنهم وطنيون و الآخرون خونة و متمردون ، جميعهم يدعون أنهم على حق و الآخرون ظالمون ، جميعهم يبررون وحشيتهم و بربريتهم ، و جميعهم يعتبرون موتاهم شهداء و موتى الآخرين في الجحيم . ضعنا يا وطن لا نعلم وسط كل هذا إلا أنهم (جميعا كاذبون) .

ابكِ أيها الوطن العظيم ،، فقد اثبتوا أن الوطن لهم مجرد (لعبة) و أنهم لا يمكن أن يحكمهم إلا جبار ، كل واحد منهم يسعى لإثبات تهمة الخيانة على أخيه ، و يسعى لزيادة أضرام النار . ولا أحد يسعى لإصلاح ذات البين . أصبح الشتم و تبادل التهم هو البديل للبناء والإصلاح ، و أصبح هذا هو شعارا لحبهم المزعوم و الكاذب لك .

ابكِ أيها الوطن الغالي ،، كل (إمارة) فيك تسعى لتكون (دولة عظمى) على بعضها بينما هم مجرد (شركات) و (بقرات حلوب) أمام أعداء الوطن . و حكام يرى كل منهم نفسه إمبراطوراً ، (أُسُودٌ) على بعضهم وعلى شعوبهم و (نعام) على أعداء أمتهم ، يعينوه عليك أيها الوطن . تنقصهم الرجولة و المروءة ليتكاتفوا لأجل نزع شوكة من خصركَ الموجوع ، و تنقصهم ليكونوا عادلين ، بينما يتكاتفون لجلب العدو لك ليملكوه خناقك . ليحسب عليك وعلى أبناءك أنفاسهم و أنفاسك .

ابكِ أيها الوطن العربي ،، يا عشقي العظيم ، شعب كل قِطْرٍ فيك يرى نفسهُ (ملاكا) في الجمال ، (نبيا) في الصفات ، و يرى أخوانه في الأقطار الأخرى (مسخا) في القبح ، و (شيطان) في الصفات و الخصال . وحين تحل بها مصائب ، قالوا : أين العرب ؟ أن العرب متخاذلون . و حين يتحدث عربي بصوت المخلص ، قالوا : ما دخلكم بنا ، و نحن في وطننا أحرار نفعل ما نشاء .

اقتلوا بعضكم يا (أهل مصر) ، لأجل أن يحيا (العسكر) و (الإخوان) ماجدين . واقتلوا بعضكم يا (أهل سوريا) ليحيا (البعثيين) و (المجموعات الكثيرة) التي

تحمل سلاحها ضد البعثيين ماجدين ، واعلموا أن مصيركم كمصير (مِصْرَ) بل والله انه كمصير (العراق) و سأذكركم بذلك قريبا جدا . ستكفرون بعض ، وتقتلون بعض ، لأن (الكعكة) لن تكفي جميع الطامعين المتسلقين ، و الخونة الغادرين ، و أنتم حينها ستظلون كما أنتم الآن (تنزفون الدماء) ، وتشربون مُرَّ الدموع ، أعلم أنكم (صم بكم عمي) ، و أنكم (لا تبصرون) . و أعلم انك ستكذبون وتكذبون إلى أن تصدقوا أنفسكم ، و قبل أن تصدقوا ستصعقون بصواعق (الموت) و (الفرقة) التي لن تنتهي قريبا ، وستبكون و تتباكون . دوروا حول أنفسكم ، و كرروا نفس القصة . الطامعين و الحكام لن يرحموكم . و الحل (بأيدكم وحدكم) . و انظروا إلى تاريخ من سبقكم لعلكم تعقلون . { وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ }[1] .

مات أجدادكم نضالا ضد (الاستعمار) ، و انتم اليوم تسلمونهُ الوطن بدون تعب . ثم يخلف على الكراسي طامعون يتقاتلون و انتم (وقودهم و أيديهم) ، و في النهاية انتم الخاسرون في كلا الطرفين . و سادات المتخاصمين هم الرابحون مهما كانت النتائج . ستباع دمائكم باسم اتفاقيات سلام ليس فيها أي جديد ، ولا يراد منها تحقيق السلام و أنما يراد منها مكاسب أولئك السادات . سيذهبون لتوقيعها سينالون هدايا و إكراميات ، وهم أساسا مرتاحين يلبسون و يتمتعون ، و أبنائهم في أمان فارهين .

لا اعلم يا وطني من هو الظالم و من هو المظلوم فقد ضعت مثلك بين الحاكم والمحكوم ، و أنا ضعيف قليل الحيلة لا أقوى على فعل شيء ، و قومي لا يسمعون ولا يرون .لكني مثلك أعلم أنهم كلهم كاذبون ، الحاكم و من يدعي الوطنية ، و بينهم (ثعلب) يُذْكِي النار لتزداد وهجا ، يكِرُّ و يفِرُّ دون أن يراه احد .

ابكِ يا وطن ،، حاكم غبي لا يجيد غير التعالي و الثرثرة . و خونة بثوب وطنية مزعومة . لم يتحدث احد عن كيماوي العدو ولا عن سلاحه و قتله . ليس لأنه لا يملك خونة . فما من وطن إلا و به ألف خائن . لكن يا وطني الخونة هناك في ديار العدو لا يجدون مهدا لهم ، و لا تسمينا من عدو بلادهم . بينما الخونة فيك يجدون ألف مهد ، و ألف مُسَمِّنٍ لهم . ويحهم أيُّ وجوه قبيحة يملكون ؟! . يخونون ثم يدَّعُون أنهم بَرَرَةَ بكَ .

ابكِ يا وطني الحبيب ،، فأنت لست يتيما ، لكن أبنائك عاقون . ابكِ ،، فأن من يتصارع عليك هم الظلمة . و الشرفاء (سُدَّجٌ) يتبعون اللئام . ابكِ ،، فكلٌ يَدَّعِي أنه وَصِيٌّ عليكَ . لكنهم كاذبون . ابكِ ،، فجميعهم يمزقونك و لا يأبهون لآلامكَ . ابكِ ،، فلا أحد يحزن لحزنك أنما يبكون مصالحهم .

---

[1] - الشورى30

أعلم يا وطني الغالي انك قد ضقت ذرعا بهم وبقبيح أفعالهم . فكلا الفريقين قبيح . وأعلم أن الحاكم الغبي أحب إليكَ من الخائن الحقير . مع أنهم جميعهم خونة . كم هو قبيح مسعى الفريقين .

بل أقبح منه تلك (الغوغاء) التي تتناحر باسم هذا أو باسم ذاك . بينما أسيادهم ينعمون بالملذات ، و الأمان ، و الدفء ، والهدوء ، و راحة البال استعدادا لنيل المغانم التي سينالونها بالسير فوق جثث الأغبياء .

ويلكم كم من دماءٍ تنزف في الوطن (باسم الوطن) وانتم كاذبون . ويحكم تقتلون بعضكم لأجل حقير هنا أو حقير هناك سيأتي لنيل المجد وحده ، وأنتم لن تنالوا إلا أثم الدماء التي تلوث أيديكم و أثم خطايا (اقترفتموها بألسنتكم) لدعم هذا أو دعم ذاك . قبيحٌ مسعاكم يا (أيدي الشيطان) . تثبتون مِرَاراً أنكم مجرد (أعوان للشيطان) ، و أنكم (وقود النار) بجهلكم . تَدَّعُون السياسة ، و الساسة من خلفكم يُقَهقهون من سذاجتكم و جهلكم . تتناحرون و العدو أمامكم ينهب وطنكم .

تكذبون بملايين الحجج لتبرروا خطاياكم ، و تناسيتم بجهلكم أن الله (ديَّان) . يا أعمياء البصيرة قفوا لحظة وانظروا بعين الصادقين . بعين لا يعميها الغباء و لا الشيطان . بعين لا يشتت صفاء تركيزها نعيق غربان السوء المتقاذفة عليكم .

أواه يا وطن ،،

لو كان يدري ما المحاورةُ اشتكى
و لكان لو عَلِمَ الكلامَ مُكلِمي[1]

لا تبكِ أيها الوطن العظيم ،، لا تبكِ يا عشقي الكبير ،، فجميع مناديلي لا تكفي لمسح دمعة واحدة من دموعكَ . لا تبك أيها الجبار ،، فإني رغم الدجى الداجي أرى في أخر الحِنْدِسِ ضوء النهار . ستغدو ندوبكَ في ذاك النهار جَمَالا يُزين جسمكَ الطهور كأكاليل الزهور و قلاداتها . سيصحو أبنائك من سُكْرِ الغرور ، و تنطفئ نار الفتن و عصبياتها ، لأن الحشائش الضارة لا تنتصر أبدا على ثَاراتِ الزهور .

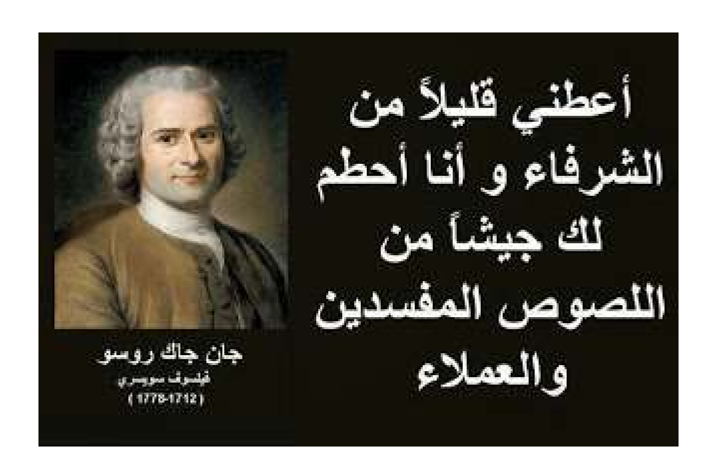
اللهم أني أبراء إليك من كِلا الفريقين ، و من أعمالهما . اللهم اهديهم و احقن دمائهم وارفع عنهم غشاوة الحقد الشيطاني و وساوس (المتسلقين) و (شياطين الخونة) الذين صدق ظنهم بقومي . اللهم أهدهم فإنهم لا يعلمون . اللهم ارزقهم إعْمَال العقل قبل نُطق اللسان ، و قبل سعي الأفعال ، اللهم كُفَّ أيديهم و ألسنتهم عن بعضهم . اللهم آمين رحمةً منكَ بنسائنا و أطفالنا .

---

[1] - البيت من قصيدة عنترة بن شداد العبسي ، فارس و شاعر جاهلي .

نقطة تقاطع الفساد في الوطن[1]

(لا تبحث عن عيوب الجيش داخله ،
و إنما أبحث عنها في المجتمع)
إليكس دي توكفيل ، سياسي و كاتب فرنسي .



ما هو الوطن بالنسبة للكثيرين ؟ للأسف الموضة الحالية تقول : أن الوطن هو دولة تقوم ـ كالأم ـ بكل شيء ، ولا يحق لها أن تفطم أولادها ، ولا تستحق الاحترام منهم ، فقط تستحق التعالي و التطاول عليها . و رفع الصوت .

هذا النوع من المفاهيم لا نريده ، ولتذهب الوطنية للجحيم أن كانت كذلك ، الوطني الصادق هو إنسان صاحب مبادئ و أخلاق رفيعة ، مبادئه هذه (تبدأ منه هو) ، يطبقها على نفسه ، يثور ضد نفسه أن قصرت ، يحاسبها أن توانت ، ثم يسعى أن يكون (قدوة خير) ، و يد بناء في وطنه . يعلم أنه ـ مهما كانت منزلته في وطنه ـ ذا أهمية ، وأنه ذا تأثير في وطنه سواء بالسلب أو الإيجاب في وطنه . ما يطالب به لابد أن يطبقه على نفسه أولا هكذا كان نبينا صل الله عليه و سلم .

حتى ذلك الهندوسي الشهير المهاتما (غاندي) ، لم يلقبه أتباعه و مريديه باسم (مهاتما) إلا لأنه جدير بها ، كان يبدأ بنفسه ليعلم أتباعه ، لأن القضية بالنسبة له كانت أخلاقية وقضية مبادئ ، لأنه إنسان صاحب فكر ، و صاحب ضمير حقيقي . أتته امرأة في أحد المرات ، ومعها أبنها الصغير ، وطلبت من المهاتما أن ينصح

---
[1] - الثلاثاء، 1 أكتوبر، 2013

أبنها عن أكل الحلوى ، فقال لها غاندي : أرجعي لي بعد شهر . أخذت أبنها وذهبت ، وثم عادت بعد شهر إليه ، فأدني الطفل منه ، وقال : بني لا تأكل الحلوى . فتعجبت المرأة منه و غضبت ، قالت : أنتظر شهر كامل لتقول هذه الكلمات فقط . فأجابها بروحه السمحة الحليمة الحكيمة بأنه كان قبل شهر يحب أكل الحلوى ، وقد توقف خلال هذا الشهر عن أكلها ، ليتسنى له نصح الطفل بصدق .

أرأيت كيف يتعامل هذا (الهندوسي[1]) الشريف ، صاحب الروح العظيمة ، لا ينهَ عن ما يفعله ، و يعمل بجهد حتى يكون (قوله) متناسب مع (فعله) ، مبادئه تبدأ منه ، ولا يبحث عن مبررات لنفسه . أما معلم البشرية العظيم ، محمد - صل الله عليه و سلم - فهو أبلغ و أعظم سموا ، فهو محمد المحمود في السماوات و الأرض وهو قدوة عظيمة في هذا . يقول أبي الأسود الدُؤلي :

لا تَنهَ عَن خُلُقٍ وَتَأتيَ مِثلَهُ
عارٌ عَلَيكَ إِذا فَعَلتُ عَظيمُ

ابدأ بِنَفسِكَ وَانَها عَن غِيِّها
فَإِذا انتَهَت عَنهُ فَأَنتَ حَكيم

أن كنت (وطنيّ بصدق) فدعنا نتحدث بصراحة ، الحقيقة تقول أن الحكومة فعلا مقصرة ، ومقصرة كثيرا . لكننا أيضا نساهم في أسلوبها اتجاهنا ، و نساهم في الوضع المزري في الوطن ، أنا لا أدافع عنها لكني أوضح نقطة يحب الغالبية تجاهلها ، و النظر لقضية الوطن بعين واحدة فقط . و الحقيقة أنه يتقاطع الفساد من فوق و من تحت ، فكيف يزدهر الوطن ؟

من حق المعلمين أو غيرهم أن يقوموا بإضراب أن لم يكن هناك وسيلة أخرى لرفع الظلم عنهم غيرها ، (مع أني بصراحة ضد الإضرابات و ضد الاعتصامات ، لما لها من ضرر كبير نحن في غنى عنه) . لكنها حاليا موضة . ومادام أغلب الناس ليسوا أصحاب فكر مستقل ، و هم مجرد مقلدين ، و مادامت الصفوة قليلة ، فلن تستطيع تغيير الموضة إلا بموضة أخرى تصرفهم عن الأولى .

القضية بطبيعة الحال يشترك فيها طرفين : الحكومة (ممثلة في وزارة التربية و التعليم ، و مجلس الوزراء) ، و العاملين في الوزارة (ممثلة في موظفي الوزارة الإداريين و المعلمين) .

[1] - قصة غاندي ملهمة فعلا ، أتمنى أن تقرأ عن أفكاره في كتابه البسيط العميق (قصة تجاربي مع الحقيقة) لغاندي و هو متوفر على النت . صحيح أن في الكتاب بعض الأفكار التي تنطلق من الدين الهندوسي لكنها واضحة ، و يمكن لأبسط إنسان تميزها فلا ضرر في ذلك ، لكن جمال الكتاب هو في روح كاتبه وأيمانه بمبادئه ، وسعيه لأجلها ، وهي تستحق الاحترام .

بخصوص الوزارة ، فالحديث يطول وليس هنا مقامه ، و لنا معه وقفة أن شاء الله في وقت آخر . و لكن باختصار نقولها أن الوزارة تحتاج أعادة هيكلة كاملة ، و عمل تصفية لموظفيها ، على الوزارة أن تتخلص من 40% من موظفيها الإداريين الذين لا فائدة منهم وهم نوعين : نوع هم أصحاب عقول جامدة و عقيمة لا ترقى لما تطمح له البلد ، و الثاني يمثلون بطالة مقنعة . كما أن الوزارة تحتاج للتخلص من 10% من المعلمين المهملين و المستهترين ، و عدد كبير منهم يحصلون على (أجازات مرضية كاذبة) باستمرار لذا فمن الجيد أن تريحهم الوزارة من البحث عن الكذب و التزوير . و على الوزارة أن ترسي على بر فيما يخص المنهج ، ويكفي هدرا للأموال في مجال طباعة المناهج .

لنعود الآن للمُضْربين عن العمل . أقول مادام هناك مظلوم لا يمكنه بلوغ حقه إلا بهذه الوسيلة فليس إذن أمامه إلا أن يقوم بها ، لكن أتمنى من كل قلبي أن يكون هذا المظلوم من جهته غير ظالم ، و عليه أن يمنح العدالة كما يطالب بها . بل و قبل أن يطالب بها . فمن يطلب العدل عليه أن يكون هو أيضا عادل .

ليُضْرِب الصادق ، وليبتعد أصحاب الضمير الضعيف ، أولئك الذين يلفقون الأجازات بين أجازة اضطرارية كاذبة ، و أجازات مرضية مزيفة لأنه طفشان من التدريس ، أو لأنه حاب يسافر ، أو لأن زوجها مسافر فهي تحب أن تتبعه ، أو لأن لها أولاد لا أحد عندهم أو لأنها تريد أن تتزوج وتسافر شهر عسل أو أنه يريد أن يتزوج ويذهب لشهر عسل و غيرها من الأسباب التي لا ذنب للطلاب فيها ، كل ذلك لأجل أن يحصلوا على الإجازة دون أن يتم (خصم الراتب) أو إيقافه ، فأي معلم هذا ؟ و أي مربي أجيال هذا ؟ الذي يرضى بالحرام . إلا يعلم أن هذا غش و تدليس وسرقة لأموال الدولة و فساد أيضا .

بعض الناس يظنون أن الفساد هو أن تسرق المبلغ الفلاني وتحوله على رصيدك ، وما عرفوا أن للفساد (وجوه كثيرة) ، أين الأمانة و الضمير ؟ تسوقون الكثير من المبررات لتخدعوا أنفسكم و تخدعون الناس ،

فهل تظنون أنه يمكنكم خداع الله ؟

لا حول ولا قوة إلا بالله .

و ليبتعد المعلمين الذين لا يتمتعون بأخلاق وسلوكيات راقية تليق به كمربي أجيال ، أناس تخجل بصدق من وجودهم في هذه الوظيفة ، و ليبتعد الذي لا يعلم طلابه بأمانة وضمير ويرتقي بعقولهم وفكرهم ، و لا يؤدي وظيفته بضمير و يتهرب من

مسؤولياته ، و ليبتعد المعلمين أصحاب الأسلوب السوقي المتدني لأنهم فعلا لا يستحقون هذه المكانة .

عدد كبير من المعلمين يتحايلون الحيل لأجل أن يخرجوا من دوامهم قبل انتهاء وقت الدوام مهملين بذلك حقوق الطلاب ، و يقصرون في أداء وظيفتهم ، يكذبون ويزيفون لأجل الحصول على أجازات لا حق لهم فيها ليضمنوا أن لا يتم قطع رواتبهم ، فأين هم من الله ؟ . (هناك كثير أيضا من الموظفين في مؤسسات الدولة يفعلون نفس هذا الأمر و ليس فقط المعلمين بينما يطالبون برفع الرواتب وغيره) .

أعلم أنك ستنبري تدافع عن نفسك ، لكن قف و أنظر نسبة المعلمين الذي لا يليقون بمقام معلم . المعلم الذي (يفحط) و الذي يدخن ، و الذي لا يتمتع بحس مسؤولية في تربية و تنشئة هذه الأجيال ، و المعلم الذي يتحدث عن الضمير متجاهلا أنه أخر شخص يعمل بضمير لكنه ينزه نفسه زورا ، و المعلم صاحب الفكر البسيط جدا ، و الذي لا يرقى لمستوى هذه المكانة الراقية (مكانة المعلم) . و المعلم صاحب الأسلوب السوقي ، و اللسان القذر .

قلة قليلة هم المعلمين الذين يستحقون الاحترام ، الذين يعملون بضمير و أمانة ، و الذي يتمتعون بشخصية حكيمة مثقفة ونفس طاهرة و حس عظيم بالمسؤولية تجدها تتجسد في تصرفاته و في كلامه و في أعماله و في لباسه .

أن كنت أيها المعلم تتعامل مع مهنتك (الخطيرة) من منطق ماذا أعطتني الحكومة ؟ و كم سيكون الراتب ؟ و ماذا سيعطوني مقابل عملي ؟ فأنت للأسف لا تصلح أن تكون معلم ، لكن تصلح أن تكون سمسار أو (دلّال) في السوق .

أي جيل هذا الذي سينتجه هذا المعلم ؟

من حقك أن لا يتم بخسك حقك ، و من حقك أن تحرص على رزقك ، لكن ليس بذاك الأسلوب . ليس بأسلوب السماسرة . فمهنة (التعليم أرقى) بكثير من السمسرة .

تستطيع أن تسوق لي الأعذار ، لتبرأ نفسك ، لكنك ستكذب على نفسك فقط ، لأن الواقع يعطيني جواب آخر . المصيبة أن عدد ضخم من المعلمين لا يحاسبون أنفسهم ، وأن تحدثت إليهم تجدهم يسوقون المبررات و الأعذار ليبرروا ما يفعلونه ، وفي الحقيقة كلها أعذار أشر من الذنب نفسه . و تجدهم يحولون الكلام لاتجاه أخر و كأنه هو ليس ضمن المجموعة السيئة . للأسف فالذي لا يملك روح نقية لن يحاسب نفسه ، ولن يلتفت لأخطائه ، و يحب أن يكذب على نفسه بأن تصرفاته الخاطئة هي صواب و مبررة .

هكذا يلقي الشيطان مواعظه على أتباعه .

المعلم مثل شيخ الدين ، أخلاقه هي أساس مهنته ، و حياته الشخصية ترتبط برسالته برابط وثيق ، كل همسه و كل نفس يخرج منه لابد أن يتمتع بحس مسؤولية عظيم ، لأنه تحت أعين الناس و بصرهم ، أن سن سنة حسنة فله أجرها و أجر من عمل بها ، وأن سن سنة سيئة فله وزرها و وزر من عمل بها . أن كنت لست كفئ فدع التدريس عنك ، ولا تلوث هذه المهنة الشريفة . أن كنت تبحث عن راتب بدون جهد فأذهب أبحث عنه بعيدا عن التعليم .

التعليم مهنة خطيرة أخطر من الطب ، لأن الخطأ الطبي قد يتأثر به شخص واحد أو أشخاص محدودين ، بينما خطأ (المعلم) يؤثر على وطن و أمة كاملة ، يبقى أثره أجيال . أفلا تتقون الله ؟!.

لو يحاسبون أنفسهم ، لو يعملون بضمير .

صاحب المبادئ يطبقها على نفسه أولا ثم يطالب بها الآخرين ، و إلا كان كالحمار الذي يحمل أسفارا . احترم كثيرا الشخص الذي يعي أهمية (موقعه في الوطن) ـ مهما صغر أو كبر ـ فيعمل بضمير و يعلم أن الوطن يبدأ منه .

أكثر من يمكنك أن تشفق عليه هو إنسان يظن أنه لا يخطأ أبدا ، و إنسان لا يحاسب نفسه بضمير صادق ، يرى خطأ الآخرين ولا يرى أخطاءه أبدا . لا يمكن أبدا أن يقتنع أنه على خطأ . غالبا ـ حسب ما رأيت ـ هذا النوع من الناس يقوم بإسقاط أخطاءه على الآخرين .

هذا النوع من الناس لا يتذكرون الأخلاقيات و المثاليات إلا في المواقف التي يكون لهم أهواء و مصالح شخصية فيها . لأنهم غالبا لا يعملون بضمير ، و أما أن وجدت موقف لهم يعملون بإخلاص فإنك ستفاجأ بعد برهة بأن وراء ذلك الإخلاص مصلحة شخصية هنا أو هناك .

وحين يتوقف دور هذا النوع من الناس على الحياة العادية فالأمر هين ، لكن المصيبة حين يحاولون ممارسة دور الوطنية ، وحين يخرجون لمطالبة الحكومة بحقوق معينة.

و أكبر مصيبة أن هذا الإنسان المطالب بحقوقه لا يفرق بين معنى اعتصام و معنى إضراب . لماذا ؟ لأن الغالبية ليسوا أصحاب فكر و مبادئ حقيقية إنما أهواء ومصالح شخصية ، و الغالبية صارت تمشي مع موضة السب و الشتم للحكومة ، و مع موضة المطالبة بالحقوق .

و تأسف أشد الأسف حين يمارس البعض هذه الأمور لأهواء شخصية ، دون تفكير في العواقب . و أبسط تلك العواقب أنك (كمعلم) فأنت قدوة ، و أنت بفعلك هذا تغرس في (عقول الطلاب) صفة التمرد و الإضراب ، و الذي قد ينتج في المستقبل صور جديدة ، مثل المظاهرات التي لا شك تتحول إلى تدمير و اقتتال . و فتن .

كثير من الناس يفكرون تفكير سطحي في مثل هذه الأمور ، و لا يحاولون منح أنفسهم بعد نظر في التفكير . و لا يعتبرون مما حل بغيرهم ، يريدون التغير ، ولكن باستخدام عصى موسى ، لأنهم لا يهتمون بالوطن ، و أنما يهتمون بمصالحهم الشخصية .

و لأختصر على البعض المسافة ، فأنا لست مع الحكومة ، حتى لا تضطر لتأويل كلامي على حسب هواك . و لكني أيضا لست مع كثير من الفوضى التي أراها هنا و هناك بزعم المطالبة بالحقوق .

أنا مع الحق ، مع الإصلاح الصادق ، مع بناء وطن يحتوى أبناءه بالعزة و الأمان و الازدهار . لكن كيف نبلغ هذا الوطن الذي نريده و نحن نرى أن الشعب لا يختلف عن الحكومة بل هما (وجهان لعملة واحدة) ؟! .

(التعليم أمانة عظيمة ، يسألكم الله عنها ، ليست مجرد وظيفة لكسب المال) اتقوا الله .

أجعلوا الطلاب بمقام أبناءكم ، هل تقبلون أن يُعَلّم أبنكم مُعَلّم مستهتر يحضر يوم و يغيب أيام ؟

هل تقبلون أن يعلم أبناءكم معلم كل ما يهمه هو إنهاء المنهج و تلقين طلابه فقط ، حتى لا يتم مسائلته من مسئوليه ، ولا يهتم بغرس العلم وحب العلم و تنمية العقول و إلهام الأجيال ليكونوا خير جيل لأمتهم بعقولهم و أخلاقهم ؟ .

هل تقبل أن يعلم أبناءك معلم صاحب سلوك سيء و لسان بذيء ، و عقل طائش ، و فكر سطحي ؟ .

أيها المعلم ،، أخاطب فيك الضمير الصادق ، ضمير المسلم الصادق ،، هذا التلميذ الذي يجلس اليوم أمامك لتعلمه ، غدا (سيكبر) ، و سيكون منهم أطباء ومهندسين ، و مشاهير ، و قد يصبح زميلك أو ربما رئيسك أو موظف ذا شأن أو شخصية مرموقة في المجتمع . و قد تجمعك به الأيام بشكل من الأشكال ، (فأي صورة)

تريد أن يتذكرك بها هذا التلميذ حين يلتقيك حينها ؟؟. و أي ذكريات تحب أن تسمع منه ؟

(أنت اليوم تسجل) ما تحب أن يتذكره هذا التلميذ (عنك غدا) ، فلا تسجل في عقله ذكريات لك سيئة ، قد تكره سماعها منه في المستقبل . كم من معلم عرفناه سمع من تلاميذه ذكريات في مواقف سببت له الإحراج ، قد نسيها هو ، لكنهم لم ينسوها هم .

مازلت أتذكر الذين علموني رغم انقضاء السنين ، عدد منهم لا يستحق الاحترام لكني أتعامل معه باحترام لأني احترم نفسي و ليس لأنه يستحق . و بعضهم يستحق تقبيل رأسه احتراما له على ما قدم لنا ، و ما ألهمنا به لنصبح مواطنون يحبون وطنهم ويسعون لأجله ، و يحبون أبناء وطنهم و يحرصون على مصلحتهم . لأنه غرس فينا السعي لتحقيق الذات ، وليس البكاء و التباكي ، و رفض الفطام من الدولة . ما زلت كلما تذكرت أولئك المعلمين أدعو لهم بالخير .

لا تقل : (طفل و لن يتذكر) . فذاكرته ليست ذاكرة عجوز خَرف . بل هو إنسان يعي و يسجل ، حتى و أن رأيته صامتا ، و سيأتي يوم لن تنتبه إلا و أنت فيه و ستجد هذا الطفل قد صار كبيرا . و ربما (أكبر منك مقاما) . عامل هذا الطالب على أنه إنسان و سيرشدك عقلك حينها كيف تتعامل معه باحترام و تقدير و مسؤولية . علمه حسن السلوك و حب الوطن و الإبداع . علمه التميز . ليشكرك و يدعو لك هو و الوطن لأنك بهذا الإنسان سننت سنة حسنة سيشكرك الله عليها ، فهذا الإنسان سيكون أيضا قدوة في حياته ، في أي مركز سيتبوؤه - صغر أم كبر - لأبد أن يكون قدوة لأحدهم .

قبل أن تسعى للبحث عن تبريرات أرجوك ..

فكر بينك و بين نفسك بأمانة ،

فكر في الوطن ،

فكر في محاسبة الله لك .

فكر في أطفالك كيف تريد أن يكون المجتمع الذي تتمنى أن يعيشون فيه مستقبلا .

أنت المهندس ، و أنت البنّاء . أظهر لي أبداعك ، أظهر لي عقلك .

لا تظهره بالكلام و المبررات و الثرثرة . أظهره (في أفعالك) ، (في الجيل) الذي ستنتجه للوطن . لا يمكن لأحد أن يعرف مهارة (البنّاء) أو أبداع (المهندس المعماري) و عبقريته إلا من خلال (أعماله التي أنتجها) .

سلاحك ثقافتك ، و أخلاقك ، و وعيك ، و ضميرك ، و إيمانك ، و مبادئك الصادقة ، و في رقيك ، و ورقي أخلاقك ، و ورقي أسلوبك . و لك في معلمنا العظيم رسول الله خير قدوة . فبهداه أقتده .

أو أترك التعليم و أتق الله

لا تأمن مكر الله .

حاسب نفسك بينك وبين نفسك .. ليس مطلوب منك أن تفضح نفسك أمام أحد ، وليس مطلوب منك أن توبخ نفسك أمام أحد . ولا تحقر نفسك . أنما أسعى للثورة على نفسك أسعى للإصلاح ، أبرز نفسك من خلال عملك المخلص ، وأجعل الله وكيلك ، و الله أنه لا يخذل أبدا من أخلص بصدق العمل لأجله . و سيأتيك أجرك في الدنيا و الآخرة ، ثق بهذا أن كنت تعبده بصدق .

أنت القادر أن تصنع لنا (جيلا من الشرفاء العقلاء المثقفين) ليشكلوا (حكومة راقية) ليبنوا دولة مزدهرة . لا تنتج لي جيلا لا يفهم إلا التمرد وقلة الاحترام و الإضراب .

الاعتصام و الإضراب و المظاهرات لا تفعل شيء ، (هي تشفي عرضا ولا تشفي مرضا) ، وطني تعب من المُسكِنات ، و يحتاج للدواء الشافي . يحتاج للقليل من (الشرفاء المثقفين) ، (الوطنيين الصادقين) ، الذين يحبون وطنهم أكثر من مصالحهم ، يتبعون العقل بدلا من الأهواء و المصالح الشخصية التي تأخذ باسم الوطن .

فقط (القليل من هؤلاء) يمكنهم بناء (وطن رائع و عظيم) .

كل ذلك بيدك أيها المعلم ،،

أن كُنتَ مخلصا ،،

أن كنتَ مثقفا ،،

أن كنتَ أمينا ،،

أن كنتَ حكيما ،،

أن كنتَ تحب وطنك بصدق .

وطننا العربي ـ و ليس عُمان وحدها فقط ـ يحتاج للصادقين المخلصين ، عندما (تحب بصدق) فأنك (ستمنح بحب و أخلاص) . هكذا تفعل (الأم) مع أبناءها ، و هكذا يجب أن نفعل مع الوطن .

ليس دورنا هو (معاداة) الحكومة وجعلها في الضفة الأخرى ، و نظل نسب و نشتم ، أو نحمل السلاح و نتناحر ، بينما نحن نمارس كل ما نعيبه عليها ، دورنا هو التغيير ، و التغيير للأفضل ، ولن يكون ذلك إلا انطلاقا منّا نحن أبناء الوطن .

لا يجب أن تكون الحكومة (عدو) .. بل يجب أن تكون الحكومة هي (الآلية) التي تحقق مبتغانا نحو (وطن سامٍ) ، و لن يكون السمو الذي نريده إذا استمرت الأحوال على هذا المنوال ، فنحن ندور في دائرة مغلقة .

أنظروا ببصائركم .. فنحن نريد وطن عزيز ، لا فتن و ضياع .. نملك بعض النعم ، نريد لها أن تزداد ، لا نريد أن يمحقها الله لنرجع للوراء ..

أنظروا للصومال كيف كان و كيف صار ..

أنظروا لليمن أين كان وأين صار ..

أنظروا السودان أين كانت وكيف صارت .

صارت لحال يرثى لأنهم بطروا النعمة ، و لأنهم ما عرفوا كيف الحفاظ عليها ، ولأنهم اقتلعوا عيونهم حين أرادوا أن يبصروا وطنا أجمل .. وما هكذا تورد الإبل .

أن كنت تكره شخصا في بيتك ، أو كنت تكره أثاث البيت أو طلائه ، فهذا لا يعني أن تحرق البيت أو تدمره ، بل اصبر عليه ، ورممه و حسنه . فذلك خير من أن تجد نفسك بدون بيت ولا مأوى آمن .

كلامي ليس للمعلمين في سلطنة عُمان وحدها ، فهي حبي ، لكني لا استطيع إلا أن أعشق كل الوطن العربي . العاقل يعلم أن مصيرنا واحد . وكل (سقم هناك) لابد أن (يوجع هنا) .

طلبي ..

هو أن (لا) تقرأ مقالي و أنت قد قررت مسبقا برفض ما فيه .

(لا) تقرأ مقالي و كل همك هو تحديد الجبهة التي ستضعني فيها عندما تنتهي من قراءته .

(لا) تقرأ مقالي لتبحث عن مبررات أو ثغرات ترد علي من خلالها . فلسنا أعداء.

فأنا لا أوجه كلامي للسوقة ولا للعامة ولا للدهماء . لأنه من المفروض أن مقالي موجه لشخص (مثقف) . يقرأ بـ (حياد) ، ثم يفكر بـ (منطق) ، ثم يحكم بـ (عقلانية) . و من صفات الجاهل : العناد الأعمى ، و الإصرار على الرأي ، و عمى البصيرة .

و لا أطلب منك أن تقر بما أقوله ، كل ما أريده هو (وقفه صادقه مع الذات) ، و مراعاة (صادقة للأمور و الأحداث) . و الأمانة كل الأمانة في (التفكير و الاستنتاج) .

كان المقال طويل لأن الحديث ذو شجون .

كونوا ضيوف كرام على الحَرَمْ[1]

(كان التأمل الروحي يعوز ذلك المكان الذي يتوقع المرء أن يجده فيه . فكان عليه أن يلتمس ذلك الجو في صميم نفسه)
مهاتما غاندي ، الرئيس الهندي الأسبق .


مكة حماها الله

أن قصدتُ بيتكَ و حللتُ ضيفا عليكَ ، فأنك بلا شك تتوقع مني سلوكيات و آداب معينة ، أحترم فيها ضيافتك ، و أتخلق فيها بآداب الضيافة أو (الزيارة) و أخلاقها . و كل إنسان منّا يطالب ضيوفه بمثل هذه الأمور . قد لا نطلبها بشكل صريح ، لكن هذا ما نتمناه فعلا ، و ننزعج كثيرا حين يكون الضيف غير مهذب ، أو أنه لا يحافظ على النظافة أو أنه مزعج و غيرها من الأمور .

هذه قواعد عُرفية يتداولها البشر (ضمنيا) بدون أتفاق مبرم ، و يسعى كل منّا لتطبيقها حسب أخلاقه و تربيته التي نشأ عليها ، لأن سلوكنا يعكس ـ بلا شك ـ تربيتنا و أصلنا و أخلاقنا . في المقابل نحن نطالب ضيوفنا أن يمارسوا تلك الآداب .

[1] ـ الجمعة، 4 أكتوبر، 2013

هذا بيننا نحن الناس (العاديين) ..

لكن كيف لو حللت في ضيافة (ملك أو سلطان أو أمير) ؟؟

بلا شك فأنت ستنتهج أسلوبا أكثر صرامة لتطبيق تلك الآداب في حضرة ذلك الملك أو ذلك السلطان أو ذلك الأمير . ستحرص أن لا ترتكب أي إزعاج أو سوء أدب أمامه ، و أن لا تسيء له ولا للضيوف الذين يحضرون مجلسه معك ، و أن لا تنشغل بالعبث بهاتفك أو بأي شيء آخر . أليس هذا صحيح ؟؟ .

إذن ،، ما بالك بـ (ملك الملوك) ، و أنت تحضر ضيفا عليه ؟؟؟

أليس أجدر بك أن تمارس (آداب الزيارة) بكل تفاصيلها ، و بصرامة أشد من صرامة ممارستها في ضيافة (ملوك) البشر ؟؟

تصبح (مكة) ـ حماها الله ـ في موسم الحج ممتلئة بالأوساخ و القاذورات بسبب مخلفات الحجاج . و في مواقع أداء المناسك يقوم الحجاج بالتدافع الشديد بينهم ، ورفع الأصوات في الدعاء و التسبيح و التلبية و التهليل ، أو بقراءة القرآن بصوت مرتفع تُفقد الإنسان تركيزه و تجعل (الخشوع) مسألة صعبة بعض الشيء .

كل ذلك هو (سوء أدب) في حضرة مُضيفك العظيم . ليس في تلك السلوكيات مراعاة لآداب الزيارة و الضيافة أبدا .

تبذل (الحكومة السعودية) مساعٍ جبارة لرعاية (ضيوف الرحمن) ، و هناك خطوات نتمنى أن تقوم بها مثل إزالة كل متاجر بيع الهدايا التي حول الحرم ، و الاكتفاء فقط بالمطاعم و محلات الحلاقة . و المحلات التي تبيع الاحتياجات الضرورية . لأن وجود تلك المحلات تسبب زحاما كبيرا في الشوارع .

مساعي الدولة و حدها (لا تكفي) لجعل موسم الحج موسما (روحانيا) بامتياز ، و ليس موسم سياحي أو تجاري . لذا يجب أن يكون (الحاج مؤدباً) . و هدفه من سفره هو (العبادة) و ليس أي شيء أخر .

أنت لا تسافر من بلدك تاركا أهلك خلفك لتذهب لـ (مكة) لتجني ذنوبا ، فهناك الذنب مضاعف و الأجر مضاعف ، أنت تسافر هناك لـ (ترفع رصيد حسناتك) ، لتريح روحك من متاعب الدنيا ، للتواصل مع (ربك) بعيدا عن المغريات . لتمحوا السيئات التي جنيتها فيما مضى ، أو لترقع ما قصرت فيه في جناب ربك بدون قصد منك .

أجعل سفرك هذا (سفرا روحانيا) ، سفرا للقاء الحبيب العظيم و نبيهِ الكريم ، لتريح روحك بلقائهِ و قربهِ ، لتمحي خطايا جنيتها في ما مضى بقصد أو بغير قصد ، علمتها و لم تعلمها . لتسد خلل تقصيرك في طاعتهِ ، ليكون هدفك السعي بكل ما يمكن لترضي حبيبك .

إلا تخجل حين تلقي القاذورات ، و الأكياس و بقايا الطعام في الأرض ، ألا تستحي من ربك الذي نزلت ضيفا عليه في أرضه المقدسة ؟؟

ألا تخجل حين تكون أناني تدفع الناس حولك لتبلغ هذا المكان أو ذلك فتسبب أذى لإخوانك المسلمين ؟ وقد حرم الله أذية عباده بأي شكل من الأشكال .

ألا تخجل حين تكون أنانيا فتتعلق بالباب و الملتزم وتمكث متعلقا وقتا طويلا تحرم غيرك من بلوغه ؟ و قد جاء كل منهم في فرصة ربما لا تعوض ليعود لزيارة هذه الأرض الطاهرة مرة أخرى ،

ألم يعلمنا نبينا الحبيب (حب لأخيك ما تحب لنفسك) ؟

إلا تخجل حين تكون أناني وترفع صوتك بغير داعٍ بالدعاء و العبادة بصوت عالٍ كأنك تنادي أصم بعيدا ، و ليس سميعا قريبا ؟؟ . فتؤذي أخوانك و تشوش عليهم فلا يستطيعون الخشوع .

إلا تخجل حين تنشغل بالتصوير بهاتفك أو العبث به أو الحديث و الثرثرة في غير داعٍ بدلا من استغلال كل دقيقة بل كل ثانية بالخشوع و الصلاة و قراءة القرآن و التأمل و الذكر في تلك الأيام المباركة ؟؟

ألا تخجل حين تقصد النزول ضيفا على ربك ، بينما قلبك تملئه أوساخ الدنيا ؟ كرها لهذا ، وعداوة لذاك ، و نصبا و احتيال على أولئك .. أو أخذ حقوق الناس .

حين تنزل ضيفا على إنسان لابد أن تكون نظيف الثياب ، و حين تنزل ضيفا على ربك لابد (أن تكون نظيف الثياب و القلب و اللسان) .

أجعل وقتك في تلك الديار (كلهُ) لله ، (كلهُ) ما استطعت .

يا ضيوف الرحمن ،،

أنتم لا تحتاجون لـ (كتب الدعاء) لتقرءوها أنتم و تطوفون و أنتم وتسعون ، بل تحتاجون إلى قلب نقي طاهر ، (يحب الله) و في (لقاء المحبوب) نحن (لا

نحتاج) أن نقرأ ما يجب أن نقوله له ، بل أن (القلب) وحده يأمر اللسان فيلهج بما يُكِنُّهُ ، فيعبر عن حبه لمحبوبهِ ، ويشكوا له همه وحزنه . فتسمو روحك بروحانية متألقة تسمو إلى أن تكاد تلامس السماء ، فتمسح رحمات السماء على قلبك المضني بالحب و الألم و الأحزان ، فتزيح الهموم وترفعك في المنزلة ، و تبلغك مقامات حميدة ، و تحميك من هموم الدنيا وتزيح دخان الهموم العالق بالقلوب ، وتطهر النفوس من رجس الآثام و الخطايا .

سافر لبيت الله (من أجل الله وحده) ، فكر فيه هو (وحده) ، أشتاق له هو (وحده) ، وأزح من خيالك و من تفكيرك كل الدنيا ، ستجد أنك عدت من سفرك غانما بغنائم عظيمة تخص الدنيا و الآخرة .

لا تسافر (له) لأجل الدنيا ، لأنك ستعود خائبا ، كما عاد بخُفيهِ حُنين .

أحترم عباده و أفسح لهم يفسح الله عليك ، ساعدهم يساعدك ، أنه يحب عباده كثيرا ويحب من يحبهم ، و يرفق بها ، و يرحمهم ، و يساعدهم ، وأنه خير من يكافئ الحسنة بالحسنة . و خير من يحفظ المعروف الذي تقدمه (لأجله) و (فيه) .

عَبّر عن (حبك له) هناك في كل خطوة تخطوها ، في كل نفسا تتنفسه ، بأفعالك وأقوالك و بالتعامل مع كل ما حولك هناك من بشر ودواب و جمادات ، لأنها ضيفة تحضر معك في حضرة (ملك الملوك) ، وعارٌ عليك أن تسيء لها .

أن غفلت عن أن الله (موجود معك) ويراك فأنك عندها ـ لاشك ـ ستسيء الأدب في ضيافته ، لكن أن استشعرت وجوده ، وتيقنت أنه يراقبك فستحرص على كل فعل حميد و قول حميد ، بل ستغرق في العبادة و الطاعة بانتشاء .

طلب ، بل هو رجاء ،،

أن كنت سبق لك السفر للحج ، أكتفي بتلك السفرة ، ودع المجال لغيرك ليصل لتلك البقاع الطاهرة ، فهي أمنية يتمناها كل مسلم ، فلا تحرمه .

ولا تسبب الزحام بـ (تكرار السفر للحج) ، لأن ذلك الزحام يؤثر على نفسيات الحجاج ، وعلى خشوعهم و على صحتهم ، لأن فيهم العجوز و فيهم النساء .

أن (صَدَقَتِكَ) في العشر أيام من ذي الحجة أعظم بكثير من (تكرار الحج) بعد الحجة الأولى ، فإن النبي قال: (ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام) يعني أيام العشر . قالوا: يا رسول الله ! ولا الجهاد في سبيل الله ؟ قال : (و

لا الجهاد في سبيل الله ، إلا رجل خرج بنفسه وماله ، ثم لم يرجع من ذلك شيء) ، لذا تصدق بها تنال القربى بفعلك مرتين :

- مرة لأنك (أفسحت) لغيرك ممن أراد الحج لبيت ربه .
- ومرة لأنك (تصدقت) على عباده فأدخلت فيهم السعادة و البهجة .

أحتسبها لله ، و الله ستجدهُ يعبر لك عن امتنانه و حبه فوق ما كنت ستجنيه من حجة ثانية فليس مثله شكور . أفعلوا كل شيء لأجل الله ، فسيأتيكم بأضعاف ما كنتم تتوقعون و تحتسبون .

أن كنت لن تنزل ضيفا على الديار المقدسة ـ حفظها الله وشرفها ـ هذا العام ، فأنصح بما قرأته هنا من سينزل ضيفا على تلك الديار الطاهرة ، فسيأتيك الله أجرها وأجر من عمل بها بإذن الله .

دعوة للبناء[1]

(العمل و العمل والعمل طالما أن أحد
لن يمد لك يد العون و المساعدة)
تشيخوف ، أديب و كاتب روسي .



"الراحمون يرحمهم الله " نرددها ، لكن هل نؤمن بها ؟ (الإيمان) بالشيء يقتضي (العمل به) ، فأنت أن أحببت شيء ما ، وأمنت به فإنك لا شك ستمارسه ، كذلك الحب و الرحمة ، فأنت أن أحببت إنسان سعيت للوفاء له بالأفعال و ليس بالكلام فقط ، ستسعى لإسعاده بأفعال تنتج حسب مقتضى الموقف ، أن كنت تؤمن بالرحمة فإنك سترحم حتى الدواب وتشفق عليها من موقف قد تتعرض لها تلك الدواب ، فمثلا أن وجدت قط يكاد يغرق فأنك من رحمتك له ستسعى لمساعدته و ليس فقط التفرج و الندب على حالته .

أنظر حولك هناك من يحتاج لك ، هم أخوانك في الوطن و في الدين و في الإنسانية أن لم يكونوا أخوان في الدم ، ضع نفسك مكانهم ، صدقني أن لم تجرب يوما ما ماذا يعني أن تكون جائع و لا تجد ما تأكله فلن تفهم مدى قسوة ما يعانون ، أن لم تجرب سياط البرد القارس و أنت لا تجد ما تتدفىء به أو تلوذ به عنه فلن تفهم معنى قسوة البرد بلا دفئ ولا ملجأ .

---

[1] - الثلاثاء، 10 ديسمبر، 2013 م .

لي مقترح بسيط لكنه فيما لو عملنا به بإخلاص و إجادة فإننا سنحقق نتائج عظيمة ، ستكبر تلك النتائج مع الوقت و تصبح إنجاز يحتسب لنا كأخوة و أحبة في هذا الوطن العظيم ، بعيدا عن المتخاصمين على غنائم الوطن و الذين يسعون دوما لتفريقنا . كل ما نحتاجه هو العمل الصادق و الجاد و المخلص ، العمل ليس لأجل (التداول الإعلامي) أو (تحقيق شهرة) ، فكم هو قبيح أن تفعل الخير لأجل أن يزداد رصيدك الجماهيري ، أو لأجل (كسب مصالح) مادية أو معنوية . عمل الخير لأجل الخير ولأجل الله يجعل البركة تعم الوطن وتعم الأفراد فوق ما تتخيلون .

المقترح ببساطة[1] هو أن كل قرية مثلا أو كل حي من الأحياء في المدن يتم اجتماع أهلها على اختيار (شخصية ثقة و تتصف بالأمانة) ليكون هو أمين الصندوق ، ويتم جمع التبرعات لدية ، بحيث يتوجب على كل فرد دفع (دولار أمريكي واحد) كل شهر للصندوق ، وعليه الالتزام بهذا شهريا .

تخيل لو أن كل قرية بها (ألف شخص) ، هذا يعني أن شهريا يمكننا جمع (ألف دولار شهريا) و هكذا ، المبلغ زهيد ، و لكن كما تقول العرب (الذود للذود أبل) .

يكون دور الأمين على الصندوق ـ ومعه أناس آخرون يتم الاتفاق عليهم ـ اختيار طريقة لتصريف المال ، مثلا :

- أن وجدت جمعية لرعاية الأيتام أو الفقراء في نفس المدينة ، يتم التبرع بأموال الصندوق لها شهريا .
- أو العمل على إحصاء الفقراء ونوع احتياجاتهم ، و البحث عن سبل تكون مصدر رزق للفقراء بدلا من الاكتفاء بمدهم بالمعونات الشهرية ، وكما يقال : أن تعلم الإنسان الصيد خير له من أن تعطيه كل يوم سمكة .
- في بعض الدول العربية يحتاج الأطفال للمال ليستطيعوا مواصلة دراستهم في المدارس ، ويحتاجون لشراء الكتب المدرسية ومستلزمات المدرسة ، نحتاج جدا لدعم هؤلاء الأطفال ؛ لأن الوطن بحاجة لمواطنين أقوياء بالعلم والمعرفة ، وبناء العقول ، كم يؤلمني منظر الأطفال الذين يضطرون للعمل وترك الدراسة ، ليس لأجل نظرية عدم تمتعهم بالطفولة ، فلا يوجد مفهوم محدد للمتعة ، ولكن لأن هؤلاء سينتجون في المستقبل جيلا أميا ، و ربما جيلا من المتسكعين و المتشردين الذين يكونون عبء ثقيل على الوطن من نواحي عديدة .
- أن كان المبلغ الذي يتم تجميعه جيد لدرجة يمكن معها تأسيس مشاريع وقفية يعود ربحها لصالح الصندوق فهذا سيكون أمر جدا رائع ، لكن المشاريع هنا نحبذ أن تكون مشاريع من النوع المضمون الذي لا يتعرض للمخاطر الاقتصادية الكبيرة ، مثلا المشاريع العقارية ، هي مشاريع آمنة من نواحي

[1] ـ لقد سبق أن اقترحت ذات المقترح في مقالات سابقة ، وفي كتابي (تأملات مواطن عربي ..) .

كثيرة ، وربحيتها شبه مضمونة . ثم بعد ذلك يتم تحويل عوائد هذه المشاريع للصندوق مع استمرار مساهمة الناس في الصندوق طبعا ، وهكذا نحقق دخل ثابت و مستمر و كبير للصندوق يمكن توجيهه لإصلاح حال فقرائنا بطريقة أكثر مثالية وكفاءة .

- في بعض الأحياء أو القرى يكون عدد الفقراء قليل جدا ، أو ربما معدوم ، هكذا يتم تحويل أموال الصندوق للأحياء التي بها فقراء ، فلا نقول أن حينا أو قريتنا ليس بها فقراء و نكتفي ، لا ، فإن لم يكن حولك فقراء فإنه يوجد فقراء في مكان أخر في وطنك .
- أن أمكن البحث عن حلول جيدة لإيواء الأطفال المتشردين و النساء ، وهؤلاء لهم الأولوية في الإيواء ، بأن يتم إنشاء (دار) لهم بدلا من تركهم للنوم في الشوارع أو المقابر. وعندما أقول (إنشاء دار) ، أنا هنا لا أتحدث عن أنشاء (سجون) تحت أسم (دار أو مأوى) ، فكم هو قبيح التحكم بالإنسان الذي سلبه القدر أمكانية العيش بعزة نفس وكرامة ، نحتاج لمأوى يكون بمثابة (بيت) يملئه العزة و الدفء و الكرامة ، هذا ما أعنيه بالضبط . لا استغلال فيه ولا قهر ولا تحكم لؤلئك الذين سلبهم القدر نعمة الحياة الكريمة .
- في مرحلة متقدمة يمكن صرف هذه الأموال في مساعدة الناس الذين يحتاجون للعلاج و ليس لديهم إمكانيات مادية كافية .

هذا مقترحي البسيط أحبتي الكرام ، و من له أضافه فمن الجميل تعريفنا بها ، ليعمل كل منّا عليها من موقعه ، ومن بلده . تخيلوا معي أيها الأحبة لو أن كل قرية و كل حي من الأحياء أو كل مدينة من المدن تفعل هذا الأمر ، سوف نستطيع تقليص (الفقر و الجهل و التشرد) من أوطاننا ، و سيستطيع كل منّا مهما كانت مكانته الاجتماعية أو وضعه المادي في المساهمة في أعمار هذا الوطن عبر (تعزيز مستوى الإنسان) فيه . وبهذا نستطيع بناء وطن سليم الجسم .

الجوعى في أفريقيا يحتاجون مساعدة ، و في باكستان وأفغانستان ، لكن علمنا ديننا أن (الأقربون أولى بالمعروف) ثم الأبعد ثم الأبعد . لأننا هكذا سنكون أقوى في منح الخير لأخوتنا في الدول الأخرى . أما غير ذلك فهي كالفاكهة النضِرة الجميلة المنظر الخارجي لكنها من الداخل خاوية و جوفاء .

كثيرا ما أجد أن السعي للأعمال (التطوعية و الخير) يتم الترويج له وحصره غالبا لـ (ذوي الاحتياجات الخاصة) أو (المرضى) ، بينما يترك (الجوعى) و (المشردين) ، و رغم أيماني بحق أولئك لكني أيضا أؤكد على حق هؤلاء ومدى خطورة وضعهم الإنساني وكذلك وضع الوطن معهم .

وأني أدعو أخوتي الذي منحهم الله نعمة المال أو الوجاهة و المشاهير أن تكون لهم زمام المبادرة بين جمهورهم ومريديهم و أتباعهم ليكونوا قدوة خير ، و أتمنى من كل قلبي أن لا يكون فعلهم للخير لأجل زيادة أتباعهم أو لأجل زيادة شهرتهم ، بل لأجل حب الله ، وحب البشرية ، فوالله ليس (أرقى) من إنسان يعطي (لوجه الله) . و ليس أوفى من الله سبحانه في جزاء الإحسان بالإحسان .

للأسف هناك (بعض) من الناس ـ ولا نعمم ـ لا يعطون إلا (رياءً) ، وكم هذا قبيح ، ليس بسبب الرياء وحده ، ولكن لأن هذا الإنسان (يقتات على كرامة) غيره ممن سلبهم الله نعمة العيش بكرامة و عزة نفس ، وجعل لهم حاجة في أيدي الناس . ولا يعلم هؤلاء أن الله ديان .

أخيرا أيها السادة الكرام ..

لنترك السجالات المذهبية لعلماء الأمة لان دخول العامة فيها تحلق الدين ، و اهتم أنت بطاعتك و رفع شأن نفسك من ناحية دينية و تحرى الحق ما استطعت .

لنترك السجالات السياسية فإنها تحرق الوطن ، الحمقى يتقاتلون و اللصوص السياسيون وحدهم ينعمون بالغنائم و الأمان ، و بين الاثنين وطن يحترق ، و مواطن مشرد ، و جائع ، و خائف .

دعوا الساسة يصفون حساباتهم بين بعضهم ، فلينزلوا هم وأبنائهم للشوارع ليتقاتلوا بعضهم بعض ، ولينزل أهل الشقاق المذهبي ليناظروا بعضهم بعض إلى أن يتوصلوا لقرار حاسم يؤكد من منهم ستكون له الجنة ومن سيكون في النار .

و تعالوا نحن أبناء هذا الوطن لنبر به ، لـ (نبني) بدل من أن (نبكي) ، لـ (نعمل) بدلا من أن (نشجب) ، لـ (نتعاون) بدلا من أن (نتناحر) . لـ (نطرح الأفكار) بدلا من أن (نتلاسن بالسب و الشتم وحصد الآثام باللسان) في جدالات عقيمة ، لا يمارسها إلا الجهلة ، وصغار العقول .

لأن أولئك الساسة و المتعصبون مذهبيا و سياسيا وطائفيا حالنا معهم مثل الذي نشبت في بيته حريق ، فبدلا من أن يتركوك لتطفيء الحريق فإنهم يقومون بنشب خلاف و شجار ليشغلوك بفك الشجار بدلا من أن يتركوك تطفيء النار . و بعد أن تنتهي من فض عراكهم و شجارهم ـ الذي يستمر في التفرع ـ ستنتبه أن البيت قد صار رماداً ، و لات حين مندم .

أيها السادة ..

دعونا من النقد لأجل النقد ، فليس أسهل من التفلسف ، و دعونا من التذمر و الشكوى و تحقير الذات و الوطن ، لأنها عادة العاجز الذي يبحث عن (شماعة) يعلق عليها فشله ، و دعونا من تأييد أهل الشقاق و النفاق .

ما نريده حقا هو (البناء) . و العمل ، ثم العمل ، ثم العمل ، فالوطن يكون بالمواطن وليس فقط بالحكومات ، وتذكروا أنه (كما تكونوا يولى عليكم) .

لا تجعلوا سوريا عراقاً ثانٍ[1]

(إنَّ السعيد لمنْ جُنِّبَ الفِتنَ)
النبي محمد صلَّ الله عليه وسلم.



المملكة السعودية تدفع بشبابها للقتال باسم " الجهاد " و تُسهل للأهالي جمع التبرعات للمجاهدين ، هي لا تفعل هذا لأجل فلسطين بل لـــ (سوريا) ليس بدافع الدين ـ كما يعتقد العامة ـ ولا لرفع الظلم عن السوريين ، و لا لأجل ديمقراطية ، و لكن لأن بينها و بين "بشار الأسد " عداوة :

الأولى / بسبب موت رفيق الحريري ، فهي تحمل بشار قتل الحريري .
و الثانية / بسبب علاقة سوريا الوطيدة بإيران العدو اللدود للسعودية .

عادة ما يتم تبرير الصراعات السياسية بين أقطاب الحكم في البلد الواحد أو بين بلدين بمبررات (وطنية أو إنسانية أو دينية) ، بينما في الحقيقة هو مجرد كذب لخداع العامة من الشعب ، والذي غالبا ما يصدق ما تقوله حكومته . لكن من يتتبع سلوكيات تلك الحكومات بشكل قريب يفهم جيدا معنى كل موقف من مواقفها ، ويعرف جيدا متى تكذب و متى تصدق في إدعاءاتها .

أنَّ السعودية تُخْطِئ في (سوريا) نفس خطأها في (أفغانستان) . هي تخطأ خطأ سبق أن ارتكبته في أفغانستان في أواخر الثمانينات و جنت منه الإرهاب و تنظيم

---
[1] - الجمعة، 10 يناير، 2014

القاعدة . كل هذا لأنها أرادت إسقاط (بشار) ـ بنفس حماسها لإسقاط (صدام حسين) ـ بدون أن تتدخل بشكل رسمي وبدون أي تورط عسكري أو سياسي مباشر ، الأمر نفسه حدث في (أفغانستان) أيام الاحتلال (السوفيتي) لها . ولكن ماذا كانت النتيجة ؟

لماذا نكرر ذات الخطأ ؟ .

إسقاط (بشار) الدكتاتور الدموي لن ينتج عنه سوريا (وردية) بل سينتج عنه (عراق) آخر . نفس الأمر الذي حدث للعراق ومازال إلى يومنا هذا بعد إسقاط صدام حسين . أن التركيبة الاجتماعية و السياسية لـ (سوريا) تؤكد هذا[1] ، و هو أمر يعرفه الخبراء في هذا الشأن جيدا ، و هم يشهدون على كلامي .

(المعارضة الشريفة) في سوريا (ضعيفة) ، لا تملك الإمكانات لتصدح بصوتها و لتكون حاضرة في المشهد السياسي بقوة - حالها حال المعارضة الشريفة في العراق ـ مقارنة بـ (الخونة) الذين لا يختلفون في فسادهم عن (بشار) حتى قبل أن يصلوا إلى السلطة ، بل أن بشار ربما أحسن منهم بأنه لم يسلم بلاده للأمريكان و اليهود ، أما هؤلاء فحتى قبل أمساكهم بالحكم قاموا بتسليم كل شيء .

كيف يمكن للشعب أن يثق في هؤلاء ؟

أتمنى من الساسة في السعودية و عُمان و قطر ، أن ينظروا بعدل في هذه المسألة ، و ليتركوا تصفية الحسابات السياسة و التي تتم فوق أجساد المستضعفين وعلى دمائهم ، يكفيهم تشردا و قتلا ، لا تكرروا خطأكم في العراق . كذلك أن تأزم الوضع في (سوريا) يعني تأزم الأمن في (لبنان) .

بإمكان (الثقل السياسي السعودي) و (الدبلوماسية العُمانية العالية) أن تحل معاناة الشعوب العربية وتحتويها في مصر ، و سوريا ، بل و في اليمن أيضا . و أقولها بكل ثقة .

أنا ممن يحترمون الملك (عبدالله بن عبد العزيز) فهو رجل صاحب مروءة و له حرص على الوطن وله سابقات جميلة في لم الشمل العربي أيام كان ما يزال وليا للعهد ، و لكن غضبه من (شخص واحد) يجعله يتخذ قرارات مؤلمة اتجاه (وطن كامل) ، و (شعب تام) ، لذا أناشد مروءته أن يحكم بحلمه لا بغضبه .

---

[1] ـ أيام انتفاضة الشعب الليبي حذرت من عدة أشياء ومنها عدم السماح لدول أجنبية بالتدخل ، لكن أحدا لم يلتفت لكلامي ، وفعلا حدث ما توقعته . و كذلك اليمن ، فقد حذرت من العودة لليمن خطوات واسعة للوراء إلى التفرقة وزيادة حضور القبيلة ـ رغم عدم غيابها التام في عهد علي عبدالله صالح لكم كان هناك نوع من الاحتواء لها ـ و كذلك مخاوف انفصال الجنوب ، لكنني تعرضت لانتقادات لاذعة ، وهاهو الحال الذي حذرت منه وقع . يجب أن نحكم على الأمور وفق معطياتها لا وفق أحلامنا أو تعصباتنا .

يا أهل الحُكم و السياسة ،،

أن حساب الخلق عليكم ، و الله سائلكم عنهم فلا يغرنكم انخداع شعوبكم بخطاباتكم و مبرراتكم التي تسوقونها لتسوِّقوا قراراتكم ، فالله يعلم ما في صدوركم . فإن استطعتم بمكر السياسة خداع العامة فإنكم لن تستطيعوا خداع الله .

الكل صار ـ في خضم الظروف الراهنة ـ يبحث عن خائن بين الأفرقة المتناحرة . و الكل يتهم الآخر أنه خائن ، مازال مقالي (إلا خيانة الوطن) هو الأكثر قراءة منذ أن كتبته في 11 مارس 2011 م ، أغلب الواصلين إليه كانوا عن طريق (محركات البحث) تحت عناوين تدل أنهم يبحثون عن خائن ، أو مقولات عن الخيانة أو أشعار و ما إلى ذلك ، سبحان الله !! .

يا أخي ،،

لا تبحث عن (خائن) بل ابحث عن إصلاح الحال في الوطن ، فالبحث عن الخائن لتبادل التهم فقط أو من هو المخطئ لا جدوى منه . لأننا بذلك ندور في حلقة مفرغة.

الحماس الذي ينتاب البعض في الدول العربية لصرع الحكومة السورية و إسقاطها يدفعني للتساؤل :

ماذا لو حدث في بلادك نفس ما يحدث في (سوريا) الآن ؟ و قامت دولة أخرى بدعم الثوار أو المتمردين ـ أيًّا كان مسماهم ـ و مدهم بالمال و الشباب للقتال ؟ و قامت هذه الدولة بتأليب المجتمع الدولي عليكم لقصف بلادكم بنفس حماس حكوماتكم الآن ؟ ماذا سيكون موقفكم ؟

سأجيبك :

سوف تتذمرون وتشتمون هذه الدولة وشعبها ، و ستقولون نحن لا نحتاج لتدخلكم في بلادنا ، وهذا شأن داخلي يخصنا وحدنا ، وأنتم ليس لكم دخل فينا .

أليس كذلك ؟؟

هكذا نحن البشر نحكم دوما بازدواجية معايير و بنظام (حلال علينا حرام على غيرنا) و نسوق المبررات دائما حسب رغباتنا و مصالحنا . و نبرر لأنفسنا مالا نبرره لغيرنا ، حتى على مستوى حياتنا العادية البسيطة نفعل هذا .

هذه الدول التي تتحدث عن سياسات (بشار) اليوم هي نفسها تمارس ما يمارسه ، فقط ما يختلف هو القالب الخارجي لممارساتها فقط . وحين ثارت شعوبها قمعتها ، وغضبت من تدخل الآخرين في الوضع حينه . خذ مثلا : إيران ، و السعودية . إيران في حين بررت للشعب (البحريني) ثورته ضد الحكومة و الملك فإنها استنكرت ثورة الشعب (السوري) ، بينما السعودية و التي استنكرت ثورة الشعب (البحريني) تقوم بدعم الثورة (السورية) . وهاتان الدولتان (إيران و السعودية) حين ثار الشعب داخلها قامت بنفس ما قامت به كلاً من (سوريا و البحرين) ضد الشعب المنتفض داخلها . فسبحان الله كيف يحكم البشر ، وكيف يجدون المبررات لإعطاء شرعية لمواقفهم .

أخيرا ..

أيها القارىء الكريم لا تجهد نفسك في تصنيفي ، فليس هذا ما أرجوه منك ، أنا لست (مع) أو (ضد) ، أنا مع الوطن مع الحق ما استطعت ، حيثما أبصرته سعيت له ، و نحوه .

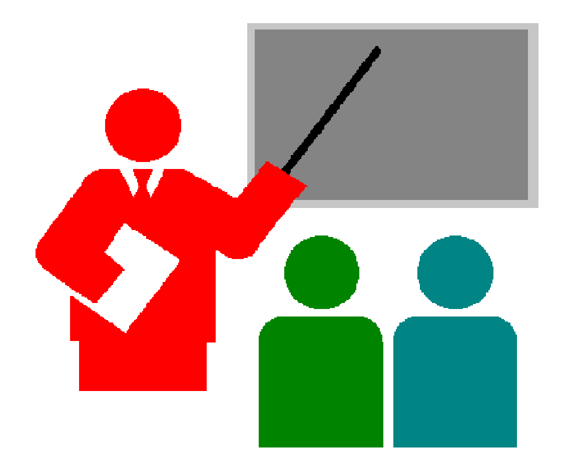
أنا لست ضد دول أو أشخاص أنا ضد قرارات بعينها و مواقف بعينها ، الوطن يحتاج الآن أن نبصر الأوضاع بحكمة ، يحتاج أن نقول الحق و الحكم به ، و أن كان مُـرًّ ، وليس الحكم بالأهواء ، و التعصبات ، و الحماس الصبياني الذي يثيره فينا هذا الفريق أو ذاك ليحركنا نحو تحقيق مآربه عبر سذاجتنا .

البعض قد يحكم على كلامي بأنه تخاذل أو جبن و تثبيط و ما إلى ذلك ، لكنك لو رأيت الأمور بعيدا عن أهواء التعصبات و الحماس المبالغ فيه و الفلسفات الزائدة لفهمت أني أرى الأمور من زاوية أخرى أوسع من زاويتك الضيقة ، هدفي بلوغ هدف سامٍ مثلك لكني لا استسيغ الانطلاق المستقيم الذي لا يراعي ظروف الطريق ، لأنني لا أريد أن تكون نهاية مسيرتي الارتطام و التحطم ، ولا السقوط في هاوية ، يكفينا تحطم و سقوط . أنا واثق أن معي الكثير من العقلاء يشاركونني رأيي هذا .

أسأل الله العظيم أن يعم السلام وطننا العربي و يعمه الأمن و الأمان ، اللهم أنّا نسألك بالمستضعفين فينا أن تصلح شأننا كله ، و نبرأ إليك مما يفعل السفهاء باسمك و باسم الوطن من ظلم و اقتراف مظالم ، أكان جهلا منهم أم عمدا . ربنا فلا تأخذنا بجور المترفين منّا ، و لا تأخذنا بما فعل السفهاء منّا ، اللهم آمين .

استخدام الدارجة في التعليم[1]

لسانُ المرءِ يُنبيءُ عن حِجَاهُ
وعَيُّ المرءِ يَسْتُرُهُ السُّكُوتُ
القاضي الفاضل



هناك من يقدم دعوة - في بعض الدول العربية - على هيئة (مقترح) لاستخدام اللهجة (الدارجة) في التعليم ، و رغم أن مقدمو هذا (المقترح) يدَّعون أن الفكرة هي وسيلة للتخلص من الأمية ، وأنها فقط ستكون محصورة على مرحلة تعليمية محدودة لأجل إنتاج طبقة من العمال البسطاء القادرين على القراءة و الكتابة ، و غيرها من الإدعاءات ، إلا أن هذا الكلام مرفوض جملة و تفصيلاً .

لا أعرف الخلفية الشخصية لمقدم هذا المقترح ، ولا أرغب حقيقة الخوض فيها ، لكن مثل هذه المقترحات - رغم ما قدمه من مبررات لتمرير مقترحه - لا تخرج إلا من أحد عقلين :

- عقل متعصب .
- أو عقل محدود الفكر ضيق الأفق .

الإبداع ليس مرتبط بلغة دون أخرى ، ولا بلهجة دون أخرى ، لكن (الفصحى) هي لغة (راقية) جدا ، و كل أمة تهتم بالتعليم و تهتم بتطويره هي أمة ترغب في (الرقي بأبنائها) ، و ليس الهبوط بهم . نحن هنا لا نحتقر أي لهجة ، لكن في كل أمة

[1] - الخميس، 16 يناير، 2014 م .

تكون هناك (لغة علم وثقافة) وهناك (لغة عامة و دهماء) ، وهذه الأخيرة هي ما نصطلح على تسميتها بـ (الدارجة أو العاميّة) . فهل يتساوى النور و الديجور ؟

صاحب المقترح يقول أنه يرغب ـ عبر مقترحه هذا ـ بمحو الأمية ، فأين المنطق في كلامه هذا ؟

فأنت أن استخدمت الدارجة أو الفصحى فسوف تضطر في كلا الحالتين أن تعلم هذا الطالب أساسيات الكتابة و القراءة . معناه سوف تضطره لتعلم الحروف ، حسنا ، الآن أخبرني هل الحروف التي سوف تستخدمها في تعليمك له للدارجة تختلف عن الحروف التي تستخدمها في تعليمك له في الفصحى ؟ قطعا (لا) .

أن كنت تظن أن الدارجة أسهل في التعليم من حيث القواعد اللغوية و النحوية ، فأنت تتحدث أنك تريد فقط (محو الأمية) ليتم استخدام هذه الفئة في مهن بسيطة جدا ، و ليس لتقوم بتخريج أطباء و مهندسين و علماء وغيره . إذا معنى هذا أنه لا توجد أبدا إشكالية فيما لو علمتهم (الفصحى) ، ومحوت أميتهم بها . لأنك كل ما ستقوم به هو تعليمهم القراءة و الكتابة دون الحاجة للخوض في القواعد اللغوية ، و البلاغية ، و النحوية ، و الأدبية و غيرها .

أما مسألة أننا سنقوم بتعليمهم بـ (الدارجة) ثم من أراد منهم مواصلة دراسته فإنه ينتقل للتعلم بالفصحى ، فهذا كلام به (مغالطة) واقعية :

1. أن التعلم بالدارجة في المرحلة الأولى سيؤدي لصعوبة فيما بعد عند تعلم الفصحى ، لأن الأمر سيختلط على كثير من الأفراد المتعلمين .

2. أنكَ أن واصلت معهم التعليم بالدارجة معناه أنكَ تبترهم عن امتدادهم القومي و تجعلهم يغرقون في ذاتهم و يتقوقعون أكثر .

3. بل و ستبترهم من انتماءهم الديني و سيؤول الحال عندنا كما آل عند اليهود و المسيحيين الذين أصبح الكثير الغالب فيهم لا يجيد قراءة كتبه المقدسة بلغتها الأم ، فالعاقل يعلم ماذا تفعل الترجمة بأي نص أن أنت حولته من لغة إلى لغة أو من لهجة إلى لهجة ، و أنت تعلم أنما أعجاز القرآن في لغته بامتياز . و ليس فقط على مستوى قراءة القرآن بل وحتى الكتب المكتوبة بالفصحى أكانت قديمة أم حديثة .

مشكلة كبيرة حقا حين يكون المسئول عن التعليم هو (إنسان سطحي) و ذا عقل ضعيف ، لأنه سوف يقيس الجميع بنفس مستواه . في الواقع أن المناهج الدراسية جدا سطحية ، وخاصة مناهج اللغة العربية ، ودائما العذر (أننا لا نريد التصعيب على الطلاب) ، أو (أن الطلاب لن يستطيعوا فهمه) . هذا يدل على مستوى المسئولين عن هذه المناهج و مدى سطحية عقولهم و ضعفها :

1. فأي علم سهل ؟! فأنتم تدرسون للطلاب الرياضيات و الفيزياء فهل هذه مواد سهلة ، مهما حاولت تبسيطها ؟! إذن هل اللغة العربية ستكون أصعب من الفيزياء ؟!. أن دور التعليم و قطبيه الأساسيين (المعلم و المُتعلم) هو التفوق على صعوبة العلم لبلوغ الهدف المنشود منه ، وهو السمو بالعقل .

2. أنظر الفرق بين المدارس التي يديرها بعض (شيوخ الدين) و أهل العلم أيام العطلة الصيفية ، و التي تستخدم أسلوب (التعليم التقليدي) المتوارث منذ عقود ، و التي تهتم باللغة العربية و العلوم الدينية ، فعلى الرغم من أن فترة التعليم فيها قصيرة جدا مقارنة بالمدارس العصرية إلا أن المحصلة التي يخرج بها الطلاب هي اكبر بكثير من تلك التي يجنيها حتى أفضل الطلاب عقولا في المدارس العصرية . لماذا ؟ **لأنها تستخدم أسلوب يؤمن بالعقول العظيمة ، و رفع شأن البسيطة ، و ليس أنزال العقول العظيمة إلى مستوى البسيطة .**

3. سياسة المناهج التي تراعي و تخدم أصحاب المستويات الدُنيا و التي تؤدي إلى إنزال أصحاب المستويات العليا إلى مستوى الدنيا لا تنتج إلا مجتمع (بليد) ، ليس فيه تقدم و لا أنتاج ، اللغة ليست فقط مجرد فلسفة و أدب ، بل هي (هوية) و هي (أداة) أنتاج و عطاء ، و المستوى اللغوي لأي أمة يعتبر مقياس (حضاري) لها .

استغرب ممن لا يجد حرجا من حضور (لغة أجنبية) ـ كالفرنسية و الإنجليزية و الأسبانية و غيرها ـ بكل تلك القوة في حياته ولا يراها مسألة تدل على التبعية و الضعف ، بينما يجد حرجا اتجاه (الفصحى) ولا يراها امتداد له رغم أنها لغة له معها نسبا قويا بل هي ذاته ، و هويتهُ ، و تاريخهُ . بل و استغرب من يدَّعي أنه يريد أصلاح التعليم فيهتم بالشكليات بدلا الاهتمام بالعمق . ما نحتاجه حقا :

- بيئة مدرسية تمنح قابلية للطلاب على الإقبال على التعليم ، وهنا لا أعني المباني الفاخرة و الأثاث الفاخر ، بل المباني التي تحترم قيمة الإنسان ، من حيث اتساع الفصول وعدم الازدحام فيها ، ومن حيث توفر الأثاث لكل طالب من الطلاب ، فهذا يساعد الطالب على العمل بأريحية ، ويشعره أنه مهم و ليس عبأ على أحد ، في بعض الدول العربية لا يجد الطلاب مقاعد و لا

طاولات للجلوس عليها مما يضطرهم الجلوس على الأرض أو الازدحام على الكراسي المتوفرة .

- نحتاج مناهج تبني العقول وتسمو بها ، وليس مناهج تزيد العقول تبلدا ، ونحتاج توفر الكتب لجميع الطلاب ، ففي بعض الدول العربية لا يجد الطلاب كتب أو لا يتمكنون من شراءها لضعف أحوالهم المادية .
- نحتاج كادر تعليمي يؤمن بالمهنية و الأمانة في بناء العقول ، و الإخلاص في ذلك . كذلك نحتاج توفير لذلك الكادر ، في بعض الدول العربية حتى الكادر هذا غير موجود ، اللهم نجد أحيانا بعض الأفراد يقومون بالتطوع لتعليم هؤلاء الطلاب ، الأمر الذي يعني عدم التزامهم معهم بشكل نظامي لأن هؤلاء الأفراد عادة مرتبطون بوظائف أخرى .
- نحتاج مراعاة مدة مكوث الطلاب في المدرسة خلال اليوم الدراسي و مدته ، لأن الإطالة غير المعقولة تجعل الطالب و المعلم يشعران بالتعب و الملل ، فمهنة التعليم مهنة جدا منهكة جسديا وذهنيا . حين تتحدث للمسئولين عن هذا فإنهم يبررون أن الغرب لديه هذا الأمر ، لكن كلمني بالمنطق ، هل أنت في باقي الأمور التي تخص التعليم تفعل كما يفعل الغرب ، فأي إجابات سطحية هذه التي تعطيني إياها وأي منطق هذا ؟؟! . كذلك أن بقاء الطالب أغلب يومه في البيئة المدرسية -و التي يقضي فيها أغلب أيام الأسبوع - مقارنة بما يقضيه في البيت أو البيئة الخارجية تتسبب في حدوث فجوة ثقافية و قيمية بين ذلك الجيل الذي مازال في مقاعد الدراسة وبين بيئته وعاداتها وقيمها ، فينشأ مشوه القيم و العادات ، فيتلقف من هنا وهناك بعيدا عن رعاية الأهل بشكل دقيق .
- نحتاج إلى الاهتمام الحقيقي في تنمية العقول و تحفيزها ، و تبني المبدع منها ، في الحقيقة أن ما يقدم من أنشطة ومسابقات في المدارس هي أمور شكلية بامتياز . و غالبا تلك المنافسات غير شريفة و غير جادة ، وهي تنمي النفاق فقط وليس الحماس ولا الإبداع ، كما أن الطلاب لا يُقبلون عليها بحماس بل مُكرهين ، لأنه لا يوجد بها ما يحمسهم أساسا .

دموع غرداية[1]

خَلوا التَّعصب عنكم واستووا عُصباً
على الوئام لدفع الظلمِ تعتصبُ

هذا الذي قد رمى بالضعف قوتكم
وغادر الشّمل منكم وهو منشعبُ

شعر عربي



من لم يطلع على تاريخ الجزائر فإنه لن يتذكر إلا أحداث نزف الدماء الجزائرية في التسعينيات من القرن الماضي على أيدي أبناءها المتشددين أو من أدعو أنهم أهل الدين .

في 5 مايو/ ماي عام 1931 م ، تم تأسيس أكبر جمعية دينية في الجزائر ـ بل و أهم جمعية ـ في العاصمة الجزائرية (الجزائر) و هي (جمعية العلماء المسلمين) ، صاحب فكرة هذه الجمعية هو الإمام (عبد الحميد بن باديس[2]) و هو أكبر أقطاب المذهب (المالكي) في الجزائر حينذاك ، و كان من رواد هذه

[1] - تم النشر 23 مارس 2014 م .
[2] - ولد في 1889 م في قسنطينة و دفن فيها عام 1940 م .

الجمعية و مؤسسيها الكبار الإمام (إبراهيم بن عمر بيوض[1]) و هو قطب المذهب (الإباضي) في الجزائر يومئذ .

إمام المالكية (ابن باديس) ابن (قسنطينة) ، و إمام الإباضية (بيوض) ابن (غرداية) ، تحالفا معا ، كانا (توأم) أصلاح ، و علم ، و اعتدال ، كانا قرآن يمشي على الأرض . العالمان الكبيران كانا قطبين كبار في (جزائر الاحتلال الفرنسي) ، كانا يؤمنان معا أن الجزائر واحد لا يتجرأ ، و أن الجزائر للجزائريين ، و أن وحدة الجزائر و استقلاله لا تكون إلا بمحاربة الجهل و نشر العلم ، و بتوحد الجزائريين و تلاحمهم . الكبيران رفضا تماما الوظائف الكبيرة التي عُرضتا عليهما في الجزائر الفرنسية يؤمئذ ، لأن (حب الجزائر) كان في قلبيهما أسمى من كل كنوز الدنيا . الكبيران تشاركا الإعجاب بمصلحين كبار أمثال : جمال الدين الأفغاني ، و محمد عبده ، و عبد الرحمن الكواكبي ، وغيرهم ممن برزوا في تلك الفترة .

رحل الكبيران ، و هاهي (غرداية) تذرف الدموع اليوم حزناً و أسفاً على أبنائها الذين يقتلون بعضهم ، ويخربون بيوت بعضهم ، فقط ، لأن هذا (مالكي) و هذا (إباضي) ، كم من الخزي يحمله مشعلو الفتن ؟!! .

كم من العار يحملون ؟!

ترى لو كان الرجلين العظيمين بيننا ما كان موقفهما مما فعله أبناء وطنهم ومذهبهم ببعضهم ؟

سحقا لأهل الفتن و التعصب ، كم من حماقة لهؤلاء دمرت الوطن ؟

وكم هي صغيرة عقولهم ؟ و حقيرة نفوسهم ؟ و ضعيفٌ إيمانهم ؟!

ثق تماما أن التعصب لا يكون إلا في قلب خليٍّ من الإيمان . فالمؤمن الصادق مُحِبّ ، و ليس متعصب ، و الفرق بين الاثنين هو فرقٌ بين السماء و الأرض . و لكم في محمد بن عبدالله ــ صلَّ الله عليه وسلم ــ قدوة في ذلك ، و بيَاناً بيِّناً .

من المؤسف ــ حقاً ــ أن تُقْتَل لأجل معتقدك الديني ، و الأكثر أسفاً هو أن يكون موتكَ على يد أبناءِ وطنكَ و باسم الدين ، و الأشد حزنا أن يكون موتك على يد من تتشارك معهُ الدين نفسه في كافة تفاصيله (الربانية) ، و لكن يقتلك لأنك

[1] - ولد في 1899 م في مدينة القرارة بولاية غرداية ، توفي في 1981 م .

تختلف معه في تفاصيل (بشرية) وضعها بعض العلماء في هذا المــذهب أو ذاك .

**

قبل أيام زار وفدٌ جزائري رسمي سلطنة عُمان ــ زعيمة المــذهب الإباضــي ــ لتوضيح ملابسات مقتل الإباضية في غرادية ، لكن عُمان ــ و كما هــو مــذهبها الرسمي ــ لا تحمل تعصبا تجاه أحد ، لذا كانت المبادرة العُمانية للدخول بمساعي للصلح بين الأطراف . لم يبلغني موقف الحكومة الجزائرية من المبادرة العُمانية ، لكني على ثقة أنها ستوافق ، لأن الرئيس (عبد العزيز بو تفليقة) وضع ضــمن مبادئه حقن الدماء الجزائرية بما استطاع .

كذلك من مصلحة الحكومة الجزائرية حقن الدماء سلميا وبــشكل عاجــل فــي (غرداية) لضمان استقرار الأمن ، لأن الحكومة الجزائرية تواجه مــساعٍ للتمــرد عليها عبر ما يعرف (الجيش الحر) الذي يسعى عبــر موقعــه فــي الإنترنــت لاستقطاب الجزائريين و خاصة فئة الشباب . و الذي سعى مؤيدوه لنشر موقعــه عبر مواقع التواصل الاجتماعية و خاصة (الفيسبوك) .

شخصيا لا أتمنى حقا أن يكون لهذا الذي يدعى (الجيش الحــر) أن يكــون لــه واقعيا أي وجود في الجزائر ولا غيرها ، لأن الجزائر تتشابه واقعيا إلى حد كبير مع سوريا و العراق ، و وجود خلاف من هذا النوع فيها يعني سنوات طويلة من نزف الدماء و الدمار و الفوضى كما هو حاصل الآن في العراق . لكن المؤســف أن الحكومة الجزائرية لم تلتفت لمطالب الشعب الجزائري (المادية) على الأقــل أن لم تكن ترغب في تحقيق مطالبهِ السياسية .

أخير ...

الإمام الكبير (ابن باديس) ــ رحمهُ الله ــ و الإمام الكبير (بيوض) ــ رحمــهُ الله ــ لم يكن اختلافهما المذهبيُّ (خلافاً) ، بل كان (تكاملاً) يغمرهُ الاحترام و التعاون .

لله درُّ تلك العقول العظيمة ، و القلوب المؤمنة الصادقة .

اللهم أحفظ (الجزائر) من الفتن ما ظهر منها وما بطن ، و أحفظ (أهل الجزائر) و ألف بين قلوبهم و سخر لهم المُخْلِصين و الأمناء من أهل الــسياسة و أهــل العدل . و بارك لهم ما وهبتهم من الخيرات و أنفعهم بها ، اللهم برحمتك آمين .

في ذكرى الاستقلال[1]

(ترى أتفتح أبواب قبور مئات الألوف من الرجال الذين لقوا حتفهم على الجبهة لترسل أشباحاً تنتقم لأرواحهم ؟!) .

أدلف هتلر ، المستشار الألماني الأسبق " قالها وهو في غاية الأسى عندما عرف بانهيار الملكية و هو في المستشفى ، و علم بهزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الأولى وقبولها للهدنة المذلة ، والشروط المهينة ".



في تاريخ 5 يوليو (أو كما يسمى في الجزائر "جويلية") في عام 1962 م نالت الجزائر استقلالها عن الاستعمار الفرنسي . سنوات طويلة تحت نير الاستعمار الوحشي و العنصري دامت أكثر من 130 عام[2] ، لم يزد الجزائريين فيها إلا وطنية و شجاعة و اعتزازا بالوطن و الدين .

زرعوا حُب الوطن في أفئدتهم ، و سقوه غدقاً من دمائهم ، دماء مليون ونصف مليون شهيد بل هو أكثر من ذلك ، فأينعت شجرة الحب استقلال الجزائر و حريتها من قيد الاستعمار الفرنسي ، ذلك الاستعمار الذي تقوده دولة مازال البعض يتغنى باسمها على أنها " قائدة " لواء الحرية و المساواة و العدالة في العالم ، و لكن فرنسا

[1] - تم النشر السبت 5 يوليو 2014 م .
[2] - احتلت فرنسا الجزائر عام 1830 م .

لـم تثبـت يومـا - وحتـى يومنـا هـذا - أنهـا كـذلك إلا وفـق عنـصرها الغـارق فـي العنصرية .

فـي ذكـرى استقلال الجزائـر تثيـر المشاعر المتداخلـة و المتناقضـة ، تتخـالط مشاعر الفـرح و الحـزن و الحنـق ، لـيس فـي الجزائـر وحـدها بـل فـي قلـب كـل عربـي أحـب الوطن العربي و بكى على دماء بلدانه ، و سعد بتحريرها يوما ، و فرح لفرحها .

في مدة الاستعمار الفرنسي الطويل للجزائر قامت مجموعة ثورات لتحرير الوطن[1] ، لكـن الثـورة الأخيـرة[2] و التـي تكـاتف فيهـا أغلـب الـشعب الجزائـري بمختلـف طبقاتـه الاجتماعية و الثقافية و رجال و نساء و صغار وكبـار هـي مـن جعـل فرنـسا تخـضع ، استسلمت فرنسا العظمى ، ولم يستسلم الشعب العظيم ، فانكسرت أمامه .

كانـت الجزائـر -ومازالـت - مضرب المثـل فـي ثورتهـا تلـك ، رغـم أن كـل البلـدان العربية كانت تحت استعمارٍ ما و كانت تمـارس نـضالها ضـده ، لكـن الجزائـر أعطـت مثال عظيما لحب الوطن و السعي للحرية ، لم يكن الدرس من رجال الجزائر وحدهم ، بل من نسائه ، حرائـر الجزائـر ، رمـز البطولـة و العفـة . لـم تكـن فقـط (جميلـة بـو حيرد) وحدها هي الرمز ، لكن كانـت هنـاك نـساء جزائريـات كـنَّ رمـزا بعفـتهن ، و حفظ أعراضـهن ، ومرابطتهن في قُرَاهُن أيام كان رجـالهن يقـودون لـواء النـصر ضـد المحتل القاسي ، نضال أبهر جنود فرنـسا ، فمـا اسـتطاعوا أن يتجـاهلوا تلـك المواقـف العظيمة فكتبوا عنها في مذكراتهم ، لتظل شهادة للتاريخ عن شعب كانـت حتـى رمالـه تناضل ضد المحتل .

لكن ماذا حدث ؟؟؟

تحررت الجزائـر ، فانتقلـت مـن ظلـم المستعمر إلـى (ظلـم ذوي القُربـي) ، وكـل مـا ناضلت الجزائر لأجله أعاده "من أدعو أنهم أبنائهـا المناضـلين " ، ناضـلت الجزائـر من أجل عروبتها ودينها وحريتها واستقلالها ، فمـا نالـت إلا لـصوصا سـرقوا أمنهـا و سفكوا دمها ، و اغتصبوا حق أهلهـا ، وحـاربوا دينهـا ولغتهـا ، وسـعوا لاغتيـال صـلة رحمهـا .

صـلة رحمهـا بـالوطن العربـي .. أن (جميلـة بـو حيـرد) المناضـلة الكبيـرة ، الرمـز العظيم ، انطلقت لنضالها بالدرجة الأولى بسبب (أمها) ، أم جميلـة لـم تكـن جزائريـة ، لكنها زرعت بقوة في قلب أبنتها الوحيدة - بين السبعة شبان - حـب الجزائـر العميـق ، و شدة على يدها يوم قررت السعي للنضال من أجل الجزائـر ، كانـت أم جميلـة (تونسية) ، ماذا دفعها لذلك ؟ أنها (صلة الرحم) . أنه وطـن واحـد ، و مـصير واحـد

[1] - كان أبرزها بقيادة (عبد القادر الجزائري) في 1832 م ، و أخرى بقيادة (أحمد بو مرزاق) في 1872 م .
[2] - اندلعت الثورة في 1 نوفمبر 1954 م ، و دامت 7 سنوات .

، نصرك نصري ، والخير الذي ستنعم به لابد أن ينالني قسطا منه ، وحزنك حزني ، و الأذى الذي سينالك سينالني منه ، أنها صلة الرحم .

كتب أدولف هتلر في كتابهِ كفاحي : (لقد أدرك اليهود و البلاشفة وأسيادهم اليهود أن الأمة التي تتمسك بدينها لن تدع مغامراً أجنبياً يتسلم قيادها) . كل عدو يعلم أن الشجرة المرتبطة بتربتها لا يمكن امتلاكها إلا أن نزعتها من تربتها ، لأجل ذلك راج في فرنسا مقولة : (أن العرب[1] لا يطيعون فرنسا إلا إذا أصبحوا فرنسيين ، و لن يصبحوا فرنسيين إلا إذا أصبحوا مسيحيين) . فرنسا العلمانية قررت أن تصبح مبشرة[2] للمسيحية ، و سعت بكل جهدها لفرض الثقافة الفرنسية و اللغة الفرنسية ، و الدين المسيحي ، كانت الترقيات الاجتماعية تمنح لمن يصبح (فرنسيا) بثقافته و لغته ، شجعت فرنسا على رواج اللهجات العامية ، و ورجت للتعصب للقوميات المحلية كالأمازيغية ، واعتنت بالكنائس ، رغم اختلافها المذهبي معها .

لكن الوطني الصادق المخلص يقرأ الأحداث بعين الفاحص و يتصدى للعدو بكل السلاح ، ويقاتل في شتى الميادين بيقظة تامة ، برز أشخاص جمعهم حب الوطن وكره المستعمر رفعوا لواء الوحدة ، كان هؤلاء المنادين من الكبار أمثال الإمام ابن باديس الذي رفع شعار : " الإسلام ديننا ، و العربية لغتنا ، و الجزائر وطننا " . ذلك الرجل الذي قال ـ يوما ـ بكل صراحة : (والله لو قالت لي فرنسا : قل : لا اله إلا الله . لما قلتها) . لأنه كان واعيا تماما لمكر العدو ، واعيا تماما لمعنى الوطن وأين تكمن مصلحته ، أسس (جمعية العلماء المسلمين) فضمت أقطابا من جميع مذاهب الإسلام في الجزائر ، كان من المؤسسين معه الشيخ (إبراهيم بيوض) ، كان هذان العالمان الكبيران يعلمان تماما أن العدو ما كان لتقوى شوكته لولا أنه وجد من يسانده من أبناء الوطن ، و **دائما لا ينتصر العدو على الشعب العظيم إلا بالخيانة** .

كانا يناضلان كلاً من منبره هذا في الغرب و ذاك في الشرق من الجزائر ـ مع التنسيق و الاتصال المتواصل بينهما ـ ينددون بالمتفرنسين ، و يذكرونهم أن (الجزائر هي أمهم) و ليست فرنسا ، و ويلٌ للعاق من عقاب الزمن .

كان الشيخ (بيوض) يكتب في كبريات الصحف ـ حينذاك ـ تحت اسم مستعار وهو (أفلح) ، كان ينتقد بشدة (المتفرنسين) ، كان يدعو لنشر العلم و المعرفة واللغة العربية و الدين الإسلامي وروح التسامح القبلي ، ونبذ العنصرية ، لتكون الجزائر هي النسب ، وهي الأم وهي الأب ، كان الإمام بن باديس يفعل ذات الشيء .

---

[1] ـ في تلك الفترة كانت فرنسا تحتل أجزاء كبيرة من الوطن العربي ، منها : المغرب و الجزائر و تونس و لبنان ، وأجزاء من سوريا ، وكانت تطمح للمزيد قبل أن تعقد مع دولة استعمارية ثانية وهي بريطانيا اتفاقية عرفت باسم اتفاقية (سايكس ـ بيكو) عام 1916 م ، تم تقسيم المستعمرات بينهما .

[2] ـ التبشير للمسيحية يعني نشر المسيحية و الدعوة لها من أجل أن يعتنقها الناس ويؤمنوا بها .

و بعد استقلال الجزائر كان الوطنيون الصادقون رافعين رؤوسهم ينتظرون أن يرو علم الجزائر خفاقا ليس بالاستقلال هذه المرة ، ولكن بالازدهار و العزة ، سعوا لترسيخ العربية كأساس ليكون قطيعة مع زمن الاستعمار ، لكن (المتفرنسين) و وكلاء الاستعمار كان لهم رأي أخر .

لقد سُئِل الرئيس الجزائري الأسبق (أحمد بن بلة) ـ مرةً ـ عن موقفه من اللغة العربية و البربرية . و لماذا لجأ في عهده إلى محو الأمية باللغة الفرنسية ؟ ، فأجاب : (أعتبر أنه من العيب أن نأتي بعد ربع قرن لنسأل عن موقفنا من اللغة العربية ، أنا ضدّ من يطرح أي لغة أخرى مهما كانت ، فعلى مستوى اللغة العربية فهي لغتنا الوطنية ، ولا يمكن التخلي عنها أو تشجيع أي لغة أخرى منافسة لها ، أنا بربري في الأصل وتراثي البربري تدعيم لأصالتي العربية و الإسلامية و من ثمّة لا أسمح بوجود لغتين وطنيتين : عربية و بربرية ، أنّ اللغة الوطنية الوحيدة هي اللغة العربية ، أما البربرية فتدخل في حيّز التراث الذي يتطلب منا إثراؤه و الدعم الايجابي منه).

وردّ على الاتهام بقوله : (بدأنا بمحو الأمية بالفرنسية ، و لم يكن عندنا ما يكفي من المعلمين باللغة العربية لتسيير مؤسسة تربوية واحدة وقد لجأنا لاحقا إلى التعريب ، لقد أحضرنا جيشا من الأساتذة من مختلف الأقطار العربية وشرعنا في إعداد برنامج وطني للتعليم في مختلف مستويات التعليم . و كنّا نعد لإصدار قرار بعد قرار التسيير الذاتي يقضي بتعريب الجامعة ، وقام السيد الطاهر الذي كلفته بإعداد المشروع القاضي بدراسة مختلف المؤسسات التعليمية واحتياجاتها وبرامجها إلاّ أن الانقلاب كان أسبق من الإعلان عن المشروع الوطني للتعريب وكنا ندرك جيدا أهمية تعريب الجامعة و هذا لا يعني أنه لم يكن هناك برنامج للتعليم بل لقد بدأنا بالتعليم الأصلي).

كان من الممكن أن يكون وطنا مثل الجزائر هو من الأوطان الغنية ، المزدهرة لو أنه قيض لها من يتولى السيادة فيها من الشرفاء ، لكن يبدو أن فئة ما كانت مولعة بخبث الفرنسيين ، و طرق السرقة و التنكيل التي مارسوها ضد الجزائر ، و لم يهتموا أن تكون الجزائر اليوم ندا قويا يقف ضد أوروبا و فرنسا تحديا ، ليعود ويحتضن أبنائه بعد الشتات و يغمرهم بالأمن بعد الخوف ، ويجبر جراحهم .

كان الوطنيون الصادقون واعون تماما لمعنى الوطن ، ومعنى ما عانى الوطن ، حتى أنك لتجد رجلا ناضل من أجل الديمقراطية بكل ما أمكنه يقول : (لو خيروني بين الجزائر و الديمقراطية ، لاخترت الجزائر) . أنه (سليمان عميرات) ، أحد المناضلين الكبار عن الجزائر ، و الذي لم يمت برصاص فرنسا ، بل مات بألمه العظيم على ما يفعله أبناء الجزائر بالجزائر و بشرفاء الجزائر ، ألم نقل :

(و ظلم ذوي القربي أشد مضاضةً
على المرء من وَقْع الحُسامِ المُهنَّدِ)

حين وجد هؤلاء (الأعداء الجدد) أنفسهم في مأزق سياسي ، ما ترددوا في الاختباء خلف عباءة الشرفاء ، الذين ما توانوا يوما عن خدمة الوطن بكل ما أوتوا ، كان عشقهم للوطن أكبر من أن يدفعهم لرد طلب نداء الجزائر لهم ، حتى وأن علموا أن النداء جاء من أصوات تحمل الباطل في كل خلاياها و نبراتها ، أمثال أولئك الشرفاء مثل الرئيس (محمد بو ضياف) .

عاد (بوضياف) بقلبه المحب ليمسح الحزن بكفه الصادق المخلص عن وجه الجزائر المعفر بالدماء و تراب الحزن ، لكن حماسه الكبير ليعجل برسم الابتسامة على وجه الجزائر الذي طال حزنها ، و التي حتى فرحة استقلالها كانت برائحة الدماء ، جعله لا يدير بالا للقطط السمان المختفية خلف الستار ، و التي كانت عيونها ترمقه بوجل و ترقب ، و كانت عيونها تتسع كلما سمعته يهدد بمعاقبة كل من جرح الجزائر ، وكل من سبب الحزن و الألم للجزائر . فما كان منها إلا أن أطلقت مخالبها لتسكتهُ ثم لتنطلق خلف جنازته جاعلة من نفسها و ريثا شرعيا ، لمجد ذلك الرجل الشريف .

لو أن الرئيس الجزائري (محمد بو ضياف) تعامل بحكمة أكثر مع خصوم الوطن ، و الذين يعرفهم هو جيدا ، و لو أنه ترك التهديد و سعى للمناورة ضد خصومه ليشعرهم بالطمأنينة ، ثم قام بتحيديهم بدون أن يشعروا ، لكان خير له و للوطن ، فواجب القائد أن يعي أن الحرب خدعة وأن المناورة وسيلة ضرورية لبلوغ الهدف المنشود ، فالقائد الذي يرغب في كسب المعركة عليه أن يعلم جيدا متى يكر و متى يفر . للأسف استعجل (بو ضياف) في التصريح بكل ما ينوي به ، الأمر الذي أشعر (تجار الوطن) بالخوف على أنفسهم ومصالحهم فكانت النتيجة اغتيال (بو ضياف) .

أن عدم المقدرة على المناورة المرنة التي تمكن ذلك القائد من احتواء تلك اللوبيات ثم تقييد حركتها ثم تخليص الوطن منها ، و بسبب الصراحة الزائدة ـ و التي كثيرا ما تكون مضرة في السياسة ـ و بسبب التصريحات الكثيرة يسقط غالبا كثير من القادة المخلصين قبل أن يحققوا أي أنجاز للوطن ، وهذا ما حدث بالضبط للرئيس الجزائري (محمد بو ضياف). لأن تلك اللوبيات لن ترتاح حتى تتخلص من ذلك الزعيم الذي يشكل خطرا على مصالحها الأنانية سواء بالاغتيال ، أو الانقلاب عليه و إسقاطه ، أو بتأليب دول معاديه ضده .

ما كادت الدماء تجف بعد الثورة ضد فرنسا ، حتى خرج أناس من (ذوي القربى) يجدون ألف عذر لسفك دماء بعضهم ـ قبيحة أعذارهم ـ وطالت سنين النزف حتى أتى الرئيس (عبد العزيز بو تفليقة) ، الحقيقة كنت ممن تفاءلوا خيرا حين كنت اسمع كلامه قبيل الانتخابات ، رغم معرفتي الجلية بسلطة العسكر في الجزائر ،

ورغم معرفتي الجلية بأنَّ (لصوص الوطن) لا يمكن لهم أن يتركوا للساعين الصادقين ـ أن صدق هؤلاء الساعون ـ المجال .

استطاع (بو تفليقة) حقن الدماء ، و قطع الطريق على الذين كانوا يقتلون أهلهم باسم الدين (لا أحبذ استعمال لفظة إسلاميين لأمثال هؤلاء) . وكنّا ننتظر منه أن يبدأ بتقليم أظافر ثم أجنحة العسكر و اللصوص ، لتتنفس الجزائر ، لكنه لم يفعل ، لا استطيع الخوض في نوايا الرجل . لكني استطيع أن أقول أن الجزائر مازال حزين ، و أنه يغلي بطريقة يتغافل عنها المتربعون على عرشها الناهبون لخيرات أهلها ، ويوم ماء سيفور مرجلها ليسلخ جلود هؤلاء المتربعين الناهبين لها ، و سيكون لات حين مندم .

أخيرا ،،

الجزائر أنموذج ـ ربما ـ جلي لجميع الوطن العربي ، حتى وأن اختلفت بعض الحالات و التفاصيل في هذه الدولة أو تلك . خذ ما قلته عن الجزائر في مقالتي و تأمل بلدك ، تاريخه و حاضره ، سترى أن الصورة واحدة ، لا تختلف إلا في التفاصيل و المسميات فقط .

الأمر لا يقتصر على الجزائر وحدها بل يمكنك أن تقيس كل الدول العربية على ما حدث في الجزائر أيام الاستعمار و الاستقلال و ما بعده ، سواء من استعمرته فرنسا أو بريطانيا أو أسبانيا . ستجد أننا لم نستفد شيء برحيل الاستعمار ، فمثلا الثقافة الفرنسية تحضر بقوة في بعض البلدان العربية رغم رحيل الاستعمار ، و ربما بشكل أقوى منه أيام الاستعمار ، فمثلا في تونس تشير الدراسة إلى أن 72% من التلاميذ يجدون صعوبة في الحديث باللغة العربية الفصحى بينما لا يجد صعوبات في الحديث باللغة الفرنسية سوى 50% فقط ، و فيما يتعلق بالكتابة فإن 37% من التلاميذ يجدون صعوبة في الكتابة باللغة الفرنسية في حين تصل نسبة الذين يجدون صعوبة بالكتابة باللغة العربية 60% . و أصبحت بعض الدولة علمانية أكثر من فرنسا نفسها ، و أصبحت بعضها بريطانية أكثير من بريطانيا نفسها ، و صرنا نسفك دمائنا تحت مسميات كثيرة ، وسجون التعذيب مازالت مستمرة ، فقط تغير من يديرونها ، وهلم جر .

يقول أدولف هتلر : (و كلما فكرت بما انتهى إليه الوضع في ألمانيا أشعر بالحقد يغلي في صدري ، الحقد على الذين سببوا هذه الكارثة) .

الفهرست